



الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة ابن خلدون تيارت



كلية الآداب واللغات-قسم اللغة العربية وآدابها

مخبر الخطاب الحجاجي أصوله ومرجعياته وآفاقه في الجزائر

محددات القوة الإنجازية، حجاجية سلطة الإقناع في ضوء تحليل الخطاب

أطروحة مقدمة لنيل درجة الدكتوراه الطور الثالث LMD في تخصص التداولية وتحليل
الخطاب.

تحت إشراف الأستاذة:

- أ.د. فضيلة قوتال

إعداد الطالب:

- مصابيح حسين

أعضاء لجنة المناقشة

رئيسا	جامعة تيارت	أ.د. مكيفة محمد جواد
مشرفا ومقررا	جامعة تيارت	أ.د. فضيلة قوتال
ممتحنا	جامعة تيارت	أ.د. أحمد الحاج أنيسة
ممتحنا	جامعة تيارت	أ.د. عزوز ميلود
ممتحنا	جامعة تيسمسيلت	أ.د. عطار خالد
ممتحنا	جامعة غليزان	أ.د. براهيمي بوداود

السنة الجامعية 2021-2022



الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة ابن خلدون تيارت



كلية الآداب واللغات-قسم اللغة العربية وآدابها

مخبر الخطاب الحجاجي أصوله ومرجعياته وآفاقه في الجزائر

محددات القوة الإنجازية، حجاجية سلطة الإقناع في ضوء تحليل الخطاب

أطروحة مقدمة لنيل درجة الدكتوراه الطور الثالث LMD في تخصص التداولية وتحليل الخطاب.

تحت إشراف الأستاذة:

- أ.د. فضيلة قوتال

إعداد الطالب:

- مصابيح حسين

أعضاء لجنة المناقشة

رئيسا	جامعة تيارت	أ.د. مكيفة محمد جواد
مشرفا ومقررا	جامعة تيارت	أ.د. فضيلة قوتال
ممتحنا	جامعة تيارت	أ.د. أحمد الحاج أنيسة
ممتحنا	جامعة تيارت	أ.د. عزوز ميلود
ممتحنا	جامعة تيسمسيلت	أ.د. عطار خالد
ممتحنا	جامعة غليزان	أ.د. براهيمي بوداود

السنة الجامعية 2021-2022

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

شكراً واحساناً

نشكر الله عزوجل ونحمده أن منّ علينا بنعمه لننجز هذا العمل

واصطفانا من بين خلقه لنعيش هذه اللحظات المباركة.

كما نشكر أستاذتنا الفاضلة الدكتورة: فضيلة قوتال التي لم

تدّخر جهداً ليرى هذا العمل النور فكانت ولازالت الناصحة

الموجهة المرشدة فشكراً لك أستاذتي.

وأشكر والدي -حفظه الله- على ما يقدم لي من دعم في سبيل

أن يراني في الصفوف الأولى.

أشكر أعضاء لجنة المناقشة الموقرة على تجشّمهم عناء قراءة هذا

العمل وإنفاقهم من وقتهم لمناقشته وتصويبه في سبيل نشر العلم.

كما أشكر كل من نصحني ووجهني وقد مر لي يد العون من

قريب أو من بعيد، أقول لهم بارك الله فيكم جميعاً.

مقدمة

مقدمة

لقد ظلّت العلوم اللسانية بمختلف اتجاهاتها ومدارسها مُوجّهة جهودها نحو التواصل، على الرغم من الاختلافات التي شهدتها طوال عقود من الزمن، والتداخلات التي عرفتھا مع الكثير من العلوم النقليّة والأدبيّة والبلاغية وغيرها.

فالسانيات التي ابتدھا الباحثون والمهتمون انطلاقا من اتجاهين بارزين، أولهما عربي تمثل في فقه اللغة و النحو والصرف والبلاغة والمعجم وتطبيقاتھا في الشعر والنثر، أمّا ثانيهما فغربي التفت إلى النظام اللغوي فاصلا إيّاه عن سياقه التواصلی الاجتماعي، لدرجة أنّه اصطدم بجدار صلب أوقفه عن الحركة نهائيا مما جعل العديد من الباحثين يفكرون في مخرج ينقذ اللسانيات الشكلانية البنيوية من أزمتها وانغلاقها على نفسها، ونظرا لكون اللسانيات تدرس اللغة البشرية كان لزاما عليها أن تراعيها في جانبها الأساس وهو التواصل الاجتماعي، وبالتالي العودة من جديد إلى السياق الذي كانت قد عُزلت عنه من قبل.

وهنا فقط برز إلى مضمار البحث الاتجاه التواصلی مهتما بدراسة اللغة من خلال منجزها اللفظي في سياقاته المحددة، معتمدا في ذلك على مناهج علمية متعددة على رأسها تحليل الخطاب بشقيه النسقي والسياقي، اللسانيات النفسية واللسانيات الاجتماعية واللسانيات التداولية.

وما يعيننا في بحثنا هذا هو اللسانيات التداولية بدرجاتها الثلاث المستلهمة من نظريات التلفظ، والحجاج، وأفعال الكلام، وهي بذلك تداوليات وليست تداولية واحدة، وتعد من أحدث العلوم اللغوية التي ظهرت وبانت على صعيد الدرس اللغوي الحديث والمعاصر، إذ تجاوزت ما ظلّت كلّ من اللسانيات البنيوية والتوليدية التحويلية تقوم بدراسته من توصيف لنظام اللغة في جانبها الشكلي النسقي لدى البنيويين، والتعمق في مقتضيات النفس البشرية لدراسة الملكة اللسانية ككفاية وأداء لدى التوليديين التحويليين، تجاوزت كل ذلك لتهتم بدراسة اللغة أثناء الاستعمال، وفقا لمقتضيات الحال وضمن أسبقيتها المختلفة.

ومع ذلك لا يمكن القول إنّ التداوليات كاتجاه قد اكتملت نضجا وبحثا، بل لا تزال تحتاج إلى جهد وعمل دائبين لا سيما ضمن الدرس العربي، وهذا ما يبرر الاهتمام المتزايد لدى الباحثين حول

هذا الحقل الخصب الذي اعتمد في قدومه إلى الجامعات العربية على جهود ومبادرات بعض المترجمين الذين يُعدُّون على رؤوس الأصابع، ويحتاجون إلى دعم أكبر كي تكون لهم القدرة على العمل الدؤوب والمركز حول مجالات وتشعبات هذا الحقل الحيوي الذي لا يمكنه أن ينبني ويتوسع إلى آفاق تضاهي أفقه في مواطن نشأته إلا بجهود حثيثة وصارمة.

لذلك أجدني طالب بحث من بين أعضاء مشروع "التداوليات وتحليل الخطاب" الذي يضطلع بالعمل الموسع والبحث والاستقصاء في مجال التداوليات وعلاقتها بالخطاب، هذا المجال الذي جُزئ إلى مباحث كبرى نال الطلبة الباحثون أقساطهم منها بغية إضافة لبنة أخرى جديدة -على الأقل- فيما يخص الجانب الاصطلاحي الذي يعرف شيئا من الفوضى والتذبذب، ناهيك عن بعض المفاهيم التي تختلف من مؤلّف إلى آخر، الأمر الذي يقتضي البحث من المصادر وليس المراجع المترجمة، لكن عائق اللغة يحول دون ذلك لا سيما وأنّ المصادر معظمها باللغة الإنجليزية.

حيث كان قسطي من البحث يتناول مجموعة من قضايا التداولية المترابطة والمتكاملة مع بعضها البعض، يصب مؤداها في مدى "قوة الإنجاز بالكلام"، وقد صيغ الموضوع وفق جزئيات كانت كالآتي: "محددات القوة الإنجازية، حجاجية سلطة الإقناع في ضوء تحليل الخطاب" وهو عنوان مرشح للبحث في مضمونه بعد الاسترشاد بكلماته المفتاحية المستنبطة كمايلي: "القوة الإنجازية- الحجاج- الإقناع- سلطة الإقناع- التداولية- أفعال الكلام- الخطاب- تحليل الخطاب"، وذلك من أجل تحقيق وإثبات حركية الحجاج ضمن الأساليب الخطابية، لا سيما تقنيات وفنيات الخطاب السياسي الذي من أجله اخترنا أن نطبق ما توصلنا إليه من مذاهب تداولية لتتخذ منها تمثيلا وتحليلا يترجم النظرية إلى تطبيقات عملية تتماهى والواقع التواصل السياسي، وذلك بتناولنا لآخر ما نُسب إلى الرئيس الجزائري السابق من خطابات سياسية.

وقد وقع الاختيار على هذا النموذج لأنّه جاء في فترة حساسة شهدت فيها الجزائر مطالبة بالتغيير، وكذلك لأنّه خطاب مشحون بمحدّدات القوى الإنجازية وأساليب الإقناع.

وقد تصدر عنوان البحث مصطلح **القوة الإنجازية** التي تعني فيما تعنيه: قوة الأداء باللغة، والذي يتأتى بترجمة مقصدية "الباث" إلى فعل حقيقي، أو إنجاز ما، نعزوه إلى الفعل الكلامي، ومنه

فالقوة الإنجازية متعلقة بنظرية أفعال الكلام وتطبيقاتها، وهي نظرية لا يمكنها أن تنسلخ عن "نظرية الحجاج"، الحجاج الذي يوحي بالجدل في القاموس العربي، ويهدف إلى الدفاع عن أطروحة أو قضية باستخدام الحجج والبراهين، ويرمي إلى إقناع المتلقي بذلك، بل ويتطلع إلى انخراطه في القضية والطرح. وبذلك أصبح للإقناع سلطة قائمة بذاتها، ليست سلطة ردع بقدر ما هي سلطة حجة وتفنن في الإبلاغ، موطنها الخطابة وأدعياؤها الخطاباء، ووسيلتها اللغة، ولن تكون هناك سلطة حقيقية للإقناع ما لم تقم لها قائمة الحجاج مستقيمة ومستندة إلى أدوات تداول الخطاب.

ومن هنا تتبين أهمية البحث وقيمه العلمية والمعرفية التي تروم التوحيد والمواءمة بين سيل جارف من البحوث الأكاديمية في خضم التداوليات والحجاج، وذلك من حيث المفاهيم والمصطلحات التي اختلفت وشكلت نوعا من الفوضى والضبابية على الأفهام، لسبب وجيه هو اعتمادنا في هذه المباحث على مصادر مختلفة من الترجمات المنفردة التي لاتزال تحتاج إلى تنقيح ومراجعة حتى تتمكن من الإلمام بالأفكار التي عكفت على نقلها إلى لغتنا العربية، ومن جهة ثانية محاولة أجراً أدوات الدرس التداولي وتفعيلها تطبيقياً على نصوص خطابية، وهو الأمر الذي تفتقر إليه الكثير من الدراسات التي تعتمد الجانب النظري والتمثيل البسيط، في حين أنّ الطالب والباحث يحتاجان إلى أعمال تطبيقية تترجم وتعكس ما أنتجته الرؤى والنظريات.

وعلى هذا الأساس فالأهداف التي يرومها بحثنا في هذا المقام هي إعادة النشر والتبسيط لمجمل القضايا النظرية الواردة في العنوان والمتضمنة في الموضوع بشكل فيه من الشمولية ما يقرب المفاهيم أكثر ويوائم فيما بينها من مؤلّف أو مترجم إلى آخر، للخروج بتصوّر مفهوم وواضح للتداولية والحجاج وتطبيقاتهما الإقناعية في الخطاب عموماً والسياسي منه على وجه الخصوص.

لذلك فالدافع إلى اختياري العمل على هذا الموضوع ينبع من أهميته التي أشرت إليها آنفاً، ومن أهدافه التي يرومها، وذلك قناعة مني بأن "التداولية والحجاج" على الرغم من التعامل الواسع معهما والاهتمام الكبير بحيثياتهما من قبل الباحثين إلاّ أنه لا تزال تغشاها من الضبابية ما تجعل منهما شيئاً مبهماً يبدو لنا أنّه مفهوم في حين لانقدر على الغوص والتماهي مع جزئياته وحيثياته، وعليه فقد آثرت المغامرة في خضم هذا المجال حتى أشبع الحيرة المعرفية لديّ وأبدّد ذلك الغموض إلى حد ما.

وقد رأيت أن تكون إشكالية البحث في شكل سؤال كبير مفاده: كيف تتحدد القوة الإنجازية للفعل الكلامي وما هي مظاهر الحجاج في ضوء سلطة الإقناع؟

وهي إشكالية لا يمكننا أن نجد لها كل الإجابات المقنعة والكاملة -على أية حال- ولكن بإمكاننا أن نرصد من خلالها مجموعة من الأسئلة البسيطة لنقدم لها فروضا تناسبها وتقارب المبتغى منها، ومن هذه الأسئلة:

- سؤال حول ماهية الفعل الإنجازي في اللسانيات التداولية.

- سؤال حول الإقناع في النظرية الحجاجية.

- سؤال حول كيفية تمييز الإنجاز والإقناع ضمن خطاب سياسي.

هي أسئلة ثلاث لا يمكن -بأية حال من الأحوال- أن نصل إلى الإجابة عنها بدقة، كما أنّها ستثير جملة من المفاهيم والأفكار التي تجعل -ربما- جمهرة من الباحثين المتخصصين تختلف حولها وحول الإجابة في حد ذاتها، لذلك فنحن نجتهد في تصميم فروض نقارب من خلالها ما طرح من تساؤلات، وقد رتبناها في شكل خريطة طريق لبحثنا تمثلت في الآتي:

أولا: مدخل تناولنا فيه الدرس التداولي ومفاهيمه كتوطئة معرفية استباقية تمهد لما سنخوض فيه من مقاربات، وقد جزأته إلى مباحث:

- التداولية وعلوم اللغة.

- الخلفية الفلسفية والفكرية للتداولية.

- فروع التداوليات اللسانية.

- السلام والروابط الحجاجية.

ثانيا: فصل أول تناولنا فيه مفهوم القوة الإنجازية في اللسانيات التداولية، وقسمناه إلى مباحث كالآتي:

- نظرية الأفعال الكلامية.

- القوة الإنجازية للفعل الكلامي، مفهوما، مميّزاتها وضوابطها.

- العلاقات الدلالية للأفعال الإنجازية.

ثالثا: فصل معاضد عاجنا من خلاله مفهوم سلطة الإقناع في النظريات الحجاجية، وقسمناه حسب المقتضى إلى مباحث جاءت كالآتي:

- الحجاج واللغة.

- الإقناع مبادئه وأساليبه البلاغية.

- استراتيجيات الإقناع وعوامل تأثيره.

- الحجاج والالزام وحجة السلطة.

رابعا: فصل تطبيقي أشرنا فيه إلى الخطاب والخطاب السياسي تحديدا وتحليله، وقد حاولنا أن نلامس فيه مواطن القوة الإنجازية، ومظاهر سلطة الإقناع، من خلال خطاب مطّول لرئيس الجمهورية الجزائرية السابق، وقد جُزئ هذا الفصل إلى محطات متنوعة تشير إلى ألوان الإقناع وأشكاله منها:

- الحجاج في الخطاب السياسي.

- مفهوم السلطة وتلون الخطاب.

- سفسطة الخطاب المغالط.

- السلام الحجاجية في الخطاب.

- الروابط والعوامل الحجاجية.

- الخطاب السياسي النقدي.

- الخطاب والعنصرية.

- الأفعال الكلامية وقوتها الإنجازية في الخطاب.

وقد انتهجنا في عملنا هذا الوصف والتحليل والاستنباط حسب ما تقتضيه الحاجة وطبيعة العمل من مبحث إلى آخر.

أما فيما يخص الأعمال والدراسات في هذا المجال (التداوليات وتحليل الخطاب) فهي كثيرة لا يمكن حصرها، لكنها في معظمها تفتح إلى التنظير على حساب التطبيق أو تتمثل في ترجمة لمصدر أو مرجع غربي، إذ لم تستطع أن تفرد فصلا خاصا للإجراءات التطبيقية وتكتفي بالإشارة إلى شذرات وتلميحات بسيطة لا تفي بالغرض، خاصة بالنسبة للباحث المبتدئ؛ أو نجدها عبارة عن تجميع لمداخلات في شكل كتاب جامع، وهنا نذكر بعضا منها على سبيل المثال لا الحصر:

كتاب التداولية عند العلماء العرب، مسعود صحراوي.

التحليل الحجاجي للخطاب (بحوث محكمة)، إشراف أحمد قادم وسعيد العوادي.

الكتابة والسلطة (بحوث المؤتمر الدولي الثالث)، إشراف عبد الله البريهي وآخرون.

كتاب بلاغة الإقناع، عبد العالي قادا.

كتاب الحجاج في الخطاب السياسي، عبد العالي قادا.

كتاب الأفعال الإنجازية للعربية المعاصرة، علي محمود حجي الصراف.

كتاب لغة الخطاب السياسي، محمود عكاشة.

كتاب نظرية الأفعال الكلامية، طالب سيد هاشم الطبطبائي.

كتاب نظريات في أساليب الإقناع، علي رزق. وغيرها من العناوين التي تؤثت للدرس التداولي والحجاجي، لكنها تحتاج إلى المزيد من المراجعة والضبط من أجل مجارة البحث وتعيينه في هذا المجال الذي لا يزال خصبا وملائما للاشتغال عليه.

وككل عمل بحثي لا يمكن أن تُمهّد لنا الأرض فنسلكها سهلة طيبة، بل حتما لا قينا عوائق وصعوبات حالت دون بلوغنا المبلغ الذي كنا نأمل الوصول إليه، والصعوبة تكمن في كون هذه العلوم -وبهذه الشاكلة- علوم غربية، وفدت إلينا عن طريق الترجمة، خاصة الترجمة الأحادية التي لم تخضع لتمحيص المخابر أو المجامع اللغوية العربية، ولم تُرصد لها مشاريع تستقطب المحترفين وذوي الاختصاص من مشارب متعددة وفق ما تقتضيه الترجمة العلمية، الأمر الذي صعب الفهم من خلالها نظرا للاختلافات التي برزت فيها حول المصطلحات والمفاهيم، في حين هي مفاهيم بسيطة ومصطلحات واضحة في لغتها المصدر، والعائق الثاني والأساس هو افتقارنا كطلبة بحث إلى التحكم في اللغات

الأجنبية، لاسيما وأن معظم ما يتوفر من مصادر في مجال التداوليات والبلاغة الجديدة مكتوب وصادر باللغة الإنجليزية.

وفي الأخير لا يسعني إلا أن أقدم شكري وامتناني لمشرفتي وأستاذتي فضيلة قوتال التي تجشمت معي متاعب هذا العمل الأكاديمي بالإرشاد والتوجيه والتصويب إلى أن وصل إلى نهايته الحتمية التي لا أدعي أنها الكمال ولكنها تبقى محاولة بحثية سنسعى إلى تطويرها مستقبلا بتخطي مذكرنا من عوائق، وأشكر أساتذتي أعضاء لجنة المناقشة على تفضلهم بقراءة وتصويب هذا العمل ونصائحهم وتوجيهاتهم التي سيسدون بها إلي، والله من وراء القصد.

المدخل

الدرس التداولي مساءلة في المفاهيم:

- التداولية وعلوم اللغة.
- الخلفية الفلسفية والفكرية للتداولية.
- فروع التداوليات اللسانية.
- السلام والروابط المجاجية.

1- التداولية وعلوم اللغة:

أصبح سجل اللسانيات اليوم ثريا بالعلوم والمعارف التي توالدت عنه تباعا منذ مطلع القرن العشرين، حيث تربعت اللسانيات الحديثة انطلاقا من محاضرات دي سوسير في علم اللغة (Cours de linguistique générale -F.de Saussure) على عرش اللغويات وامتدت لتطال كل ما له علاقة باللغة والتواصل، طالما أنّ اللغة هي الوسيلة الوحيدة لبلوغ الغايات المختلفة من إنتاج معرّفي أو نقد أو خطاب أو حوار أو تعليم وتعلم وبالتالي تعددت وظائفها بين اجتماعية ومعرفية وتواصلية، ومع كل وظيفة تعمد إلى استخدام معجم خاص وآخر مشترك، مراعية كل السياقات اللازمة.

حيث إنّ كرونولوجيا اللسانيات المعاصرة أثبتت أنّه "عقب بلومفيلد Bloomfield كانت اللسانيات تعني علم وظائف الأصوات والفونيتيك والوحدات الفارقة Phonemics، ولو كانت لنا الجرأة لقلنا: كانت تعني الدراسة الصرفية الإعرابية morphophonemics، إلا أنّ التركيب النحوي كان يعتبر على درجة كبيرة من التجريد حتى أنّه عد بالفعل وراء كل أفق للاكتشاف، وكل هذا قد اختلف مؤخرا بعد سنة 1950" (1)، عندما طور تشومسكي Noam Chomsky مركزية التركيب النحوي، لكنه لم ينتبه مثل البنيويين إلى البعد الدلالي للغة، الذي بقي مشوشا إلى ما بعد 1960 لما جاء كاتز² Katz ومعاوناه فودور Fodor وبوستال Postal بين عامي 1963 و1964 وبدأوا يكتشفونه، وهكذا رسمت الدراسات التداولية على خريطة الدرس اللساني نهائيا. (3)

¹ - جيوفري ليتش، مبادئ في التداولية، تر: عبد القادر قنيني، أفريقيا الشرق، 2013، المغرب، ص9.

² - كاتز (Jerold J. Katz)، وفودور (Jerry A. Fodor) تلميذا شومسكي، رائدا التحليل التكويني والسمي، قدما بحثا شهيرا في 1963، بعنوان (بنية نظرية علم الدلالة)، (The structure of semantic theory)، أما بوستال (Paul Martin Postal) فهو لغوي أمريكي وعضو هيئة التدريس في جامعة نيويورك، وهو شخصية مهمة في التطور المبكر للقواعد التوليدية، وأصبح مؤيدا لحركة علم الألفاظ التوليدية إلى جانب جورج لاکوف، وجيمس ماكاييلي.

³ - ينظر: جيوفري ليتش، مبادئ في التداولية، مرجع سابق، ص 10.

ومن هنا التفت إلى الفعل الذي يمكن أن تحدته اللغة والعناية بها أثناء الاستعمال والتي طورت فيما بعد إلى مفهوم مندمج اصطلاح على تسميته "التداولية" أو "التداوليات" أو "علم استعمال اللغة" كما يسميه البعض، كيفية إدماج علم الدلالة في النظرية اللسانية الصورية، ولم يحدث لهم ذلك إلا بعد صراعات بحثية قادها لايفكوف Lakoff وآخرون بيننا من خلالها أنه لا يمكن الفصل بين التركيب النحوي ودراسة تداول اللغة واستعمالها والتي ما يزال يكتنفها الغموض لدى الكثير من الباحثين والمبتدئين، نظرا للتخوف من الخوض في حيثياتها وتعالقها مع العديد من الحقول المعرفية، رغم أنها أحدثت ثورة منهجية على النماذج اللسانية البنيوية بفضل محاضرات أوستن John Langshaw Austin وتلميذه سورل John Rogers Searle التي أحدثت عهدا جديدا للدراسات اللسانية⁽¹⁾ تحت مسمى التداولية، الذي جاء ليحل محلها من الانسداد الذي شكلته الشكلائية .

فالالتجاه التداولي دراسة لغوية بامتياز "حيث تتلاقى فيه على وجه معين جملة ميادين من المعرفة المختلفة أهمها: علم اللغة الخالص، والبلاغة، والمنطق، وفلسفة اللغة، وكذلك علم الاجتماع، وغيرها من العلوم المهمة بالجزء الدلالي من اللغة"⁽²⁾.

تجاوزت التداولية حدود اللغة لتنتقل إلى مجال الأدب وتتحول إلى ما يسمى بالدرائعية الأدبية، ويعود الفضل كل الفضل في ظهور التداولية كنظرية ومنهج علمي إلى الفيلسوف الإنكليزي "أوستن" ضمن كتابه الموسوم بـ "كيف ننجز الأشياء بالكلمات How we do things with words"، حيث تتبين عنده التداولية على أنها "جزء من دراسة علم أعم: هي دراسة التعامل اللغوي من حيث هو جزء من التعامل الاجتماعي"⁽³⁾، ليحقق بذلك نقلة من المستويات اللغوية والنحوية والنفسية للغة، إلى مستوى آخر يجمع بين الاجتماعي و التواصل، في ضوء دائرة من التأثير والتأثر، من خلال تداول اللغة

¹ - ينظر: جواد ختام، التداولية أصولها واتجاهاتها، كنوز المعرفة، 2016، عمان، ص9.

² - فرانسواز أرمينكو، المقاربة التداولية، ترجمة سعيد علوش، مركز الإنماء القومي، ط1، 1987، ص94.

³ - فرانسواز أرمينكو، المقاربة التداولية، ص95.

لتحقيق التواصل بنظام لساني بالدرجة الأولى، "وللنظام بالنسبة لتواصلنا وتحادثنا، معنيان عام وخاص: فمعناه العام هو مجموعة العناصر المتعلقة الواحد منها بالآخر، والتي تقول في نهايتها إلى تكوين الكل (وحدتان، وحدات، جملة نواتية، جملة مركبة، فقرة، خطبة، قصة، قصيدة، رواية) وهذه العناصر المفترض فيها الانضباط والانتظام وفق نظام قواعدي ونظام علاماتي كليتها البنيوية تفرض علاقات تبعية وتضامنا فيما بينها"⁽¹⁾

وفي ظل الدراسات اللغوية أثناء التعامل بها، ظهرت إلى الوجود مجموعة كبيرة من التيارات الفلسفية اللغوية، أهمها "التيار الأوستيني أو البراغماتية عند استعمال الكلمة"⁽²⁾، ومن أهم أعلامه الفيلسوف البريطاني "غرايس" وعن هذا التيار تكونت تيارات أخرى تبتعد عن فكر أوستن مرة، وتقترب منه مرة أخرى.

ومن أعمال غرايس أنه فرّق بين أشكال مختلفة للمعنى الخفي، وكان أهمها التضمين الخطابى أو الاستلزام الخطابى، ووفقاً لغرايس، لا يعتمد التضمين الخطابى على المقصود الدلالي الموظف في الكلمات، وإنما على كيفية استخدامها وتفسيرها، أي على معناها البراغماتي. ويجادل غرايس بأن سبب نشوء التضمين الخطابى يعود إلى الافتراض بأن المتحدثين متعاونين في جعل إسهاماتهم ملائمة لمغزى الخطاب الذي يشاركون فيه.

أما أوستن فأشار إلى استخدام اللغة لفعل الأشياء، أو تأكيدها، وأن نطق عبارة مثل "أعد بفعل كذا وكذا" تُفهم بشكل أفضل كفعل شيء عمل وعد ومن هنا جاء اسم أحد أفضل أعماله المعروفة: "كيفية فعل الأشياء بالكلمات"، أما أصل التسمية "ذرائعية" فإن جذورها تمتد إلى منظري السيميائيات أمثال، شارلز بيرس سندرس، وشارلز موريس، وجون ديوي، على وجه الخصوص، وتختلف

¹ - عبد الجليل مرتاض، اللسانيات الأسلوبية، دار هومة، 2013، الجزائر، ص32

² - فرانسواز أرمينكو، المقاربة التداولية، ص96.

دلالاتها حسب الحقل الذي تنبعث منه، إن كان فلسفة، أو لسانيات، أو اتصال، على أن سمتها الغالبة تظل في توجهها العملي.

وكخلاصة لهذه الثورة حظي الدرس اللساني باهتمام كبير منقطع النظير مشكلا مجالا خصبا أثرت فيه قضايا محورية مرتبطة بالتواصل الإنساني، ولعل ذلك يعود إلى مجال التقاطع بين الحقول المعرفية المختلفة التي يخترقها الدرس التداولي مثل الفلسفة واللسانيات وعلم الاجتماع وعلم النفس والأنتروبولوجيا⁽¹⁾ إضافة إلى إشكالية المصطلح المقابل للبراغماتية في اللغة العربية، إذ عندما نتطرق لمصطلح Pragmatique المقابل في اللغة الفرنسية، فهو يعني: "محسوس" و"ملائم للحقيقة" أما في اللغة الإنجليزية التي هي اللغة الأصل للبحوث البراغماتية عند ترجمتها للغة العربية تؤدي بنا إلى تذبذب كبير في ترجمة المصطلحات⁽²⁾ التي ساهمت في تعمية المفاهيم التداولية وأبعدت الباحثين عن الخوض في غمارها، الأمر الذي جعلنا نتأخر كثيرا في هذا المجال المعرفي الهام.

فبالنسبة لإشكالية المصطلح المترجم إلى اللغة العربية، يرى الباحث محمود عكاشة أن مصطلح التداوليات Pragmatics باللغة الإنجليزية هو نفسه مصطلح "التداولية اللسانية"،Linguistic Pragmatics ويقابله Pragmatiques باللغة الفرنسية، بدون تقييد وكان أول من وضع هذا المصطلح بهذه الصيغة السيميائي الأمريكي شارل سندرس بيرس، (Charles Sanders

¹ - ينظر: المرجع نفسه، ص 9.

² - مما أسفرت عنه الترجمات العربية لمصطلح Pragmatics نذكر منه: التداولية، التداوليات، التداولية اللسانية، اللسانيات التداولية، علم اللغة التداولي، علم التخاطب، علم المقاصد، التخاطبية، السياقية، المقامية، المقاماتية، الوظائفية (في مجال اللسانيات)، علم الذرائع، الذرية، الذرائعية، الذرائعيات، علم اللغة الذرائعي، مذهب الذرائع، الفائداتية، الفوائدية، الغائية، النفعية، الانتفاعية، العملية، مع الاستخدامات الأصلية للمصطلح معربا: البراغماتية، البراجماتية، البرغماتية، البرجمتية، البراغماتية، البراغماتزم، البراغماتكس، وأشهرها على الإطلاق: التداولية. للمزيد ينظر: محمود عكاشة، النظرية البراغماتية اللسانية، ص 13.

(Peirce)، وقد فرق الباحثون الأمريكيون بين التداولية Pragmatic والنفعية Pragmatism الذي يخص الفلسفة الواقعية.⁽¹⁾

ويعرفها باحث آخر تعريف مختلفا عن غيره فيقول: "أفضل ترجمة لمصطلح: (Pragmatics) هي علم التخاطب، وليس التداولية، أو النفعية، أو الذرائعية كما يفعل عدد من اللسانيين العرب توها منهم بأن، (Pragmatics) - (Pragmatism) شيء واحد، والواقع أن المصطلح الأول يطلق على الدراسات التي تعنى بالمعنى في السياقات الفعلية للكلام، وهو ما يتفق مع معناها الحرقي، وهو علم الاستعمال. وإذا نظرنا في تراثنا البلاغي والأصولي، فنلاحظ أن الاستعمال-الذي يقابل الوضع عادة- يطلق على النشاط الذي يقوم به المتكلم في عملية التخاطب. ولذا، فإن ترجمة (Pragmatics) بعلم التخاطب أنسب-في رأبي-من الخيارات التي اطلعت عليها حتى الآن. أما (Pragmatism) فهي مدرسة فلسفية ظهرت في أمريكا تذهب إلى أن الفكرة النظرية لا تجدي نفعا ما لم تكن لها تطبيقات عملية. وعلى الرغم من وجود صلة منهجية بين المجالين (والمصطلحين) تكمن في التقليل من شأن المجرد، والعناية بما هو عملي، وسياقي، ومتحقق فعلا؛ فإن اهتمام الحقل المسمى ب: (Pragmatism) يقتصر على اللغة خاصة، في حين يعنى الحقل الآخر بالفلسفة، وإن امتدت آثاره في السياسة، وعلم الاجتماع، وغيرهما".⁽²⁾

ظهرت التداوليات كدرس جديد متشعب الاتجاهات "يوحدها العنصر الشكلي لممارسة سلطة المعرفة والاعتقاد في إطار استراتيجيات توجه النقاش والحوار مادام ارتباط الحقيقة قائما على حركة التواصل واستهداف المعنى.

فلا غرابة إذن أن نصادف العديد من التداوليات:

- تداولية البلاغيين الجدد.

¹ - ينظر: محمود عكاشة النظرية البراجماتية اللسانية (التداولية)، مكتبة الآداب، القاهرة، 2013، ص 9.

² - محمد محمد يونس علي، مدخل إلى اللسانيات، دار الكتاب الجديد، ط 1 بيروت، 2004، هامش ص 102.

- تداولية السيكوسوسولوجيين.
- تداولية اللسانيين.
- تداولية المناطقة والفلاسفة " (1).

ومن التعاريف التي ذهب إليها بعض الباحثين:

التداولية هي: دراسة الأسس التي بها نستطيع أن نعرف لم تكون مجموعة من الجمل شاذة تداوليا أو تعد في الكلام المحال كأن يقال مثلا: أرسطو يوناني لكني لا أعتقد ذلك! أو يقال الشمس لو سمحت تدور حول الأرض. بحيث يكون الشذوذ سبيلا للوصول إلى نوع من الأسس التي تقوم عليها التداولية، مع أنه لا يعد تعريفا شاملا. (2)

التداولية هي: دراسة اللغة من وجهة نظر وظيفية، توضح جوانب التركيب اللغوي بالإحالة إلى أسباب غير لغوية، لكنها تبقى قاصرة أمام اتجاهات وظيفية فرعية كعلمي اللغة النفسي والاجتماعي. وقالوا أيضا: التداولية هي دراسة كل جوانب المعنى التي تحملها النظريات الدلالية. وقيل: التداولية هي دراسة جوانب السياق التي تشفر شكليا في تراكيب اللغة وهي عندئذ جزء من مقدرة المستعمل.

وجاء أيضا: التداولية هي فرع من فروع اللغة يبحث كيفية اكتشاف السامع مقاصد المتكلم أو هو دراسة معنى المتكلم، كأن يقول أنا عطشان، قد يعني أحضر لي كوب ماء. (3)

وقد توصل محمود نحلة إلى تعريف شامل لما سبق فقال: " من هنا كان أوجز تعريف للتداولية أو أقربه إلى القبول هو دراسة اللغة في الاستعمال In use أو في التواصل In interaction لأنه يشير إلى أنّ المعنى ليس شيئا متأصلا في الكلمات وحدها، ولا يرتبط بالمتكلم وحده، ولا السامع وحده،

¹ - فرانسواز أرمينكو، المقاربة التداولية، تر: سعيد علوش، مركز الانماء القومي، 1987 سوريا، مقدمة المترجم ص2.

² - ينظر: محمود أحمد نحلة، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، دار المعرفة، ط1، 2002، ص11.

³ - ينظر: محمود أحمد نحلة، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، ص11.

فصناعة المعنى تتمثل في تداول اللغة بين المتكلم والسامع في سياق محدد (مادي، اجتماعي، ولغوي) وصولاً إلى المعنى الكامن في كلام ما⁽¹⁾ وقد توصل الباحث إلى مجموعة من المميزات للتداولية ميزتها عن باقي اتجاهات البحث اللغوي، منها:

أ- التداولية قائمة على دراسة الاستعمال اللغوي القائم على السلوك الذي يولد المعنى.

ب- لا يوجد للتداولية وحدات تحليل خاصة بها.

ت- التداولية تدرس اللغة من وجهة نظر وظيفية عامة معرفية أو اجتماعية أو ثقافية.

ث- التداولية نقطة التقاء مجالات العلوم ذات الصلة باللغة.⁽²⁾

وفي كل الأحوال فإن التداولية تحاول الإحاطة بالنص الأدبي أو الخطاب عموماً لكنّه مقصديته

ومعناه ويتم لها ذلك بطرح مجموعة من الأسئلة المعتادة:

من المتكلم وإلى من يتكلم؟

ما الذي يجب أن يتلفظ به؟

كيف يرمي إلى شيء ويقول شيئاً آخر؟⁽³⁾

إنّ المتتبع للمسار التداولي يجد إرهاباته لدى الفيلسوف تشارلز موريس Charles Morris

في مؤلّفه "*Foundations of the theory of signs*" الذي خص به الموسوعة العلمية سنة

1938، يتحدث فيه عن مختلف الاختصاصات التي تعالج اللغة، ومما جاء فيه : علم التركيب

(وبالإجمال النحو الذي يقتصر على دراسة العلاقات بين العلامات)، وعلم الدلالة (الذي يدور على

الدلالة التي تتحدد بعلاقة تعيين المعنى الحقيقي القائمة بين العلامات وما تدل عليه)، وأخيراً التداولية

التي تُعنى في رأي موريس بالعلاقات بين العلامات ومستخدامها إذ يقول في هذا الصدد: "يساعد

¹ - محمود أحمد نحلة، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، ص 14.

² - ينظر: المرجع نفسه، ص 14.

³ - ينظر: فرانسواز أرمينكو، المقاربة التداولية، ص 2.

مصطلح التداولية في الإشارة إلى أهمية إنجازات بيرس وجايمس ودويوي وميد في مجال السيميائيات، في الوقت نفسه يجب أن تتلقى التداولية كمصطلح سيميائي صيغتها الخاصة، لأنه من خلالها يتم تحديد العلاقة بين الإشارات وملتقيها⁽¹⁾، كما يرى أيضا أنّ التداولية تقتصر على دراسة ضمائر التكلم والخطاب وظرفي الزمان والمكان -الآن، هنا- والتعابير التي تستقى دلالتها من معطيات تكون جزئيا خارج اللغة نفسها، أي من المقام الذي يجري فيه التواصل.⁽²⁾

وقد أسست تلك الإرهاصات الأرضية الصلبة للفيلسوف جون أوستين، الذي كان له الفضل في إرساء دعائم اختصاص فلسفي جديد يومها هو فلسفة اللغة، الذي شكل من خلاله بوتقة التداولية اللسانية، وذلك بإلقائه لمحاضرات (وليام جيمس) سنة 1955 التي أبانت عن مقومات الفلسفة التحليلية الأنجلوسكسونية التي ترمي إلى سؤال مفاده أن اللغة هدفها وصف الواقع.⁽³⁾

كما يرى أحد الباحثين من جهة أخرى " أن الفضل في إدراج مصطلح Pragmatics في الدراسات اللسانية يرجع إلى شارل موريس Ch.Morris ، وهو اصطلاح لكانط Kant كان قد

¹ - "The term 'Pragmatics' helps to signalize the significance of the achievements of Peirce, James, Dewey and Mead within the field of semiotic. At the same time, 'Pragmatics' as a specifically semiotical term must receive its own formulation. By 'Pragmatics' is designated the science of the relation of signs to their interpreters." Charles.W.Morris, Foundations of the Theory of Signs, International Encyclopedia of Unified Science, volume1, number 2, the university of Chicago press, 1938, p30.

² - ينظر: آن روبرول وجاك موشلار، التداولية اليوم علم جديد في التواصل، تر: سيف الدين دغفوس وآخرون، دار الطليعة، 2003، بيروت ص 29.

³ - ينظر: آن روبرول وجاك موشلار، التداولية اليوم علم جديد في التواصل، تر: سيف الدين دغفوس وآخرون، دار الطليعة، 2003، بيروت ص 29.

أخذ به بيرس Peirce في بناء نظرية عامة للعلامات، هذه النظرية التي تقوم على السيميوزيس Semiosis التي تعني سيرورة التدليل التي تشتغل عليها العلامة.⁽¹⁾

لقد ولج مصطلح البراجماتية (التداولية) إلى البحوث اللغوية العربية خلال الستينيات من القرن العشرين، وهي الفترة التي ظهرت خلالها البراجماتية اللسانية في الدرس العربي، وكانت أول ترجمة للمصطلح إلى العربية تلك التي قام بها العراقي (دنا طوبيا كوركيس) وأدرجها في المعاجم العربية تحت مسمى (الفائداتية) وبعضهم استخدم (الذرائعية) و(النفعية) و(العملية) كترجمة له، ومنهم من أطلق عليها لفظا دخيلا (البراغماتية أو البرجماتية أو البرجمتية) كالباحثين المبعوثين للجامعات الغربية من أجل الدراسات الفلسفية.⁽²⁾

وهكذا يفضل بعض الباحثين العرب³ المصطلح بلفظه الدخيل (البراغماتية) لأنه أدق تعبيرا عن مفهومه الذي يحمل دلالة في ثقافته الأصلية، ولا مقابل له في اللغة العربية الذي يحمل دلالة الفلسفية التي تعني تحصيل كل وجوه المنافع، وقد أزمه القرينة الوصفية (اللسانية) للتفرقة بينه وبين المصطلح الفلسفي (Pragmatism) التي تعد دخيلة على الثقافة العربية.⁽⁴⁾

ومادام الباحثون العرب قد أجمعوا تقريبا حول مصطلح (التداولية) كمقابل للمصطلح الغربي Pragmatics أو Pragmatiques، في كلا اللغتين الرائدتين في مجال البحث العلمي لكونهما أكثر انتشارا في العالم، الإنجليزية والفرنسية، فذلك الإجماع ناتج عن كون اللفظة في حد ذاتها لها إمكانية استيعاب المفاهيم التي تحيط بالدرس التداولي في شتى فروعها التي انبثقت عنه، وذلك اللفظ مستقى من

¹ - حافظ اسماعيلي عليوي، التداوليات علم استعمال اللغة (تأليف جماعي)، عالم الكتب الحديث، ط2، 2014 الأردن، ص19.

² - ينظر: محمود عكاشة، النظرية البراجماتية اللسانية (التداولية)، ص14.

³ - مثل الباحث المصري محمود عكاشة.

⁴ - ينظر: محمود عكاشة، النظرية البراجماتية اللسانية (التداولية)، ص15.

قوله تعالى: (إِنْ يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُ ۚ وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنْكُمْ شُهَدَاءَ ۗ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ). (الآية 140 آل عمران) ويعني بقوله: "نداولها بين الناس"، نجعلها دُولًا بين الناس مصرّفة، ويعني بـ"الناس"، المسلمين والمشركين، ويقال: "أدال الله فلانًا من فلان، فهو يُدِيله منه إدالة"، إذا ظفر به فانتصر منه مما كان نال منه المِدَال منه،⁽¹⁾ حيث إنّ لفظة داول يداول مداولة فيها دلالة على النشاط والحركة بين اثنين أو أكثر وهي أقرب وأنسب لأطراف الخطاب (المرسل والمتلقي)، كما أنّها توحى بالحوار أكثر من غيرها.

فالتداولية اليوم تتربع على تنوع كبير في التعاريف منها: كونها "فرعا من علم اللغة يبحث كيفية اكتشاف السامع مقاصد المتكلم، أو دراسة معنى المتكلم، فقول القائل "أنا عطشان" تعني: أحضر لي كوبا من الماء وليس من اللازم أن يكون إخبارا له بأنه عطشان، فالمتكلم كثيرا ما يعني أكثر مما تقوله كلماته"⁽²⁾، وبذلك فهي تتطرق للمعنى الضمني للخطاب أكثر من الصريح.

ولعلنا نلاحظ شيئا من الاختلاف والتضارب في تعريف المصطلح الواحد في انتقاله من حقل معرفي إلى آخر، ومرد ذلك إلى التحول السياقي بسبب الاستعمال، حيث "تخضع الاختلافات المفهومية إلى اختلافات شروط الإشباع القصدي للمصطلح التي تربط بين التمثيل الذهني والمستوى التواصلي اللغوي"⁽³⁾ وهو ما يسمى بالقصد البراغماتي الذي يتأثر بالسياق، حيث ميّز سيرل بين نوعين من القصد، أحدهما متعلق بتمثيل الأفعال أو الأشياء في الذهن، والآخر متعلق بعملية التواصل: أي إخراج التمثيل الذهني إلى الآخرين في شكل تواصلٍ ولذلك فمقاصد المعنى تتجسد في مظهرين هما مقاصد التمثيل الذهني ومقاصد التواصل اللغوي، ومقاصد التمثيل أسبق في وجودها من مقاصد التواصل.⁽⁴⁾

¹ - ينظر: تفسير الطبري للآية 140 من سورة آل عمران.

² - محمود أحمد نحلة، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، دار المعرفة الجامعية، مصر، 2002، ص 13.

³ - خليفة الميساوي، المصطلح اللساني وتأسيس المفهوم، منشورات الاختلاف ودار الأمان، الجزائر-الرباط، 2013، ص 218.

⁴ - ينظر: المرجع نفسه، ص 219.

حيث إنّ ضبابية المصطلح تعود إلى التوصيفات انطلاقاً من تداخل العلوم اللسانية والفلسفية "فقد نجد مثلاً البراغماتية الفلسفية أو البراغماتية اللسانية أو براغماتية الكلام لكن الفيلسوف وعالم المنطق تشارلز وليام موريس C.W.Morris ومنذ أن وضع عام 1938 نظريته السيميائية الثلاثية الأبعاد أشار بوضوح إلى المذهب الجديد المسمى "البراغماتية" فقط"⁽¹⁾ وقد أرادها كذلك لمعالجة العلاقات بين الإشارات ومستخدميها وتفسيراتها، وهي بالتالي غير مقيدة بعينه، بل تشمل كافة العلوم، فلسفية ولسانية واجتماعية ونفسية وغيرها، فكلها يمكن إخضاعها أثناء التحليل إلى الأبعاد الثلاثة: البعد التركيبي والبعد الدلالي، والبعد البراغماتي.

فالبراغماتية اشتقت من الأصل اليوناني براغما Pragma التي تعني فيما تعنيه، الفعل أو العمل، سندها فكرة بسيطة ظاهرياً لكنها معقدة بتنوعاتها وتقاطعاتها مع علوم كثيرة، تهدف إلى التركيز على العلاقات ما بين النشاط اللغوي ومستخدميه وفق سياقاته المختلفة، كما تتعرف على القصد اللغوي الذي يختفي في ظل الجمل والنصوص، وتتنظر إلى الكلام أو الخطاب أنه حمال أفعال تمتلك قوة إنجازية، وعليه فالتداولية أو البراغماتية الغربية منذ نشأتها كفكرة فلسفية ركزت وجهتها على "أفعال الكلام" لا غير.⁽²⁾

و من الباحثين والمهتمين بالدراسات التداولية من يرى أنها ليست علماً لغوياً بكل ما تحمله الكلمة من معنى، لأنها لا تكتفي بوصف وتفسير البنى اللغوية أو تقف على حدودها وأشكالها الظاهرة، لكنها علم جديد اختص بالتواصل يدرس الظواهر اللغوية في مجال الاستعمال، ثم يقوم بدمج معارف متعددة المشارب في دراسة ظاهرة التواصل اللغوي وتفسيره، كالبنية اللغوية، وقواعد التخاطب،

¹ - سامي كليب، البراغماتية القولفعلية في تحليل أفعال الخطاب السياسي، خطاباً ترامب والملك سلمان نموذجاً، دار الفارابي، 2017 بيروت، ص 125.

² - ينظر: سامي كليب، البراغماتية القولفعلية في تحليل أفعال الخطاب السياسي، ص 117.

والاستدلالات التداولية، وقبلها العمليات الذهنية المتحكمة في الفهم والاستيعاب والإنتاج اللغوي⁽¹⁾، لذلك فإنّ التداولية أقرب ما يكون إلى حقل اللسانيات في نظرهم، وعليه فلا بدّ من البحث في علاقة هذا "العلم التواصلي الجديد" بعلوم اللسان، وبغيرها من الحقول العلمية ذات العلاقة به في بعض الأسس المعرفية، سواء نظرية أو إجرائية، ومن بعدها يمكن الوصول إلى تعريف للتداولية أو تحديد مفهومها،⁽²⁾ ثم يطرح مجموعة من التساؤلات حول معايير تحديد المفهوم حتى تتميز التداولية عن غيرها من العلوم التي تقوم عليها.

وإذا ما عدنا إلى الخيار الذي ذهب إليه محمود عكاشة حيث فضل استخدام مصطلح "البراغماتية" بدلا من "التداولية" التي تحتل المرتبة الأولى من حيث الاستعمال، متذرا بمسألة الأصل الفلسفي للمصطلح وعلاقته بالثقافة الغربية التي لا تتلاءم وثقافتنا العربية الإسلامية، فنكتشف أن أمر "التداولية" من حيث الاصطلاح لدى الدارسين العرب لا يزال يحتاج إلى بحث وتدقيق.

وكذلك سامي كليب هو الآخر لم يقتنع تماما بمصطلح "التداولية" مفضلا استخدام مصطلح "البراغماتية" ذات الأصل الغربي، ومصطلح "القولفعلية" بدلا من مصطلح "أفعال الكلام" بانتظار أن تتفق مجامع اللغة العربية حول تعريف دقيق وموحد، وأن يجد بعض نحاة لغة الضاد تحديدا دقيقا يصف "فعل الكلام" مذكرا إلى أن الميل إلى الكلمة الأصل ليس جديدا مقدما أمثلة لمصطلحات كثيرة منها الليبيرالية والفاشية والدكتاتورية، وأنه بإمكاننا أن نفكر في مصطلحات ذات تركيب ثنائي كـ "القولفعلية"⁽³⁾، فهو يجمع بين القول والفعل في آن واحد.

وقد عرف الاهتمام بمجالات التداوليات تزايدا كبيرا، يشهد التطور في كل آن وحين، والتداوليات تتحدد أكثر وفقه، مبتعدة عن التعريفات الطافية والمعممة التي كانت تعتمد على بنيات تحتية لحقول

¹ - ينظر: مسعود صحراوي، التداولية عند العلماء العرب، دار الطليعة، ط 1، 2005، بيروت، ص 16.

² - ينظر: المرجع نفسه، ص 15.

³ - ينظر: سامي كليب، مرجع سابق، ص 127.

معرفية أخرى غير اللسانيات الأمر الذي جعل تعريفاتها تتعدد تارة وتتضارب تارة أخرى، وفي هذا المجال قيل: "إن التداوليات التي نشأت في حوض الفلسفة هي قبل كل شيء محاولة الإجابة عن أسئلة من قبيل: ماذا نفعل حين نتكلم؟ وماذا نقول بالضبط؟ ولماذا نطلب من جارنا على المائدة ما إذا كان في استطاعته أن يناولنا الملح، مع أن ذلك يبدو بإمكانه؟ من يتكلم إذن لمن؟ ومع من؟ ولأجل ماذا؟ من تظني أكون حتى تكلمني هكذا؟ ما الذي يجب معرفته لرفع الإبهام؟ ما هو الوعد؟ كيف يمكننا قول شيء آخر غير ما كنا نريد قوله؟ هل يمكن أن نقتصر على المعنى الحرفي لقضية ما؟ ماهي استعمالات اللغة؟ إلى أي حد يكون الواقع الإنساني محددًا بكفائته اللغوية؟"⁽¹⁾.

ومن الباحثين المعاصرين أيضا نجد طه عبد الرحمن ، وهو من أوائل الباحثين العرب في هذا المجال والذي استخدم مصطلح(التداوليات) مقابل ل Pragmatique والذي يقول: "وقد وقع اختيارنا منذ 1970 على مصطلح (التداوليات) مقابلاً للمصطلح الغربي (براغماتية)، لأنه يفى المطلوب حقه، باعتبار دلالاته على معنيين "الاستعمال" و" التفاعل" معا، ولقي منذ ذلك الحين قبولا من لدن الدارسين الذين أخذوا يدرجونه في أبحاثهم"⁽²⁾، فمن خلال ما مضى معنا من الشطط فيما يخص الاصطلاح نستنتج أن هناك فوضى وغموض لا يزالان يكتنفان مفهوم التداولية على صعيد الدرس اللساني أو التداوليات على مستوى البحث التداولي في شتى المجالات المعرفية التي هي فروع للتداولية. نلاحظ تباينا واضحا بين مواقف المهتمين بالدرس التداولي من حيث المفاهيم والمصطلحات، باعتبار أن البراغماتية حطت رحالها بيننا متأخرة بعدما قطعت أشواطاً لدى الغربيين منذ أن انحدرت من الفلسفة الذرائعية الأمريكية، وككل مرة يحدث فيها النقل المعرفي من لغات الغرب إلى اللغة العربية، فالمشكل إذن مشكل ترجمة بالدرجة الأولى" وهذه الحقيقة اللغوية في تحقيق الاتصال تجلو في مجال

¹ - حافظ إسماعيلي علوي، التداوليات علم استعمال اللغة، مرجع سابق، ص17.

² - طه عبد الرحمن، في أصول الحوار وتحديد علم الكلام، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء بيروت، ط2، 2000، ص27.

الحقول المعرفية شديدة التخصص، حتى تضيق الدائرة أكثر فأكثر، وتنحصر في شفرة الخطاب إلى أن تقتصر على جماعة معينة، أو شخص واحد منوط به الحديث، وهو في ذلك لا يفتأ يستخدم لغة (قصدية)، لأن اللغة المصطلحية لم يتم استقرار مفاهيمها بعد، فهو في حاجة دائما لأن يقول: أعني، أقصد، إلى أن يسأل ماذا تعني؟ ماذا تقصد؟ إن القصدية يستعاض عنها بالتعريف، أو ذكاء المتلقي⁽¹⁾ إلى أن يتم شيوع المصطلح والتواضع عليه لدى الجميع.

2- الخلفية الفكرية والفلسفية للتداولية:

قبل الحديث عن الأبعاد الفلسفية "للبراغماتية" وهي كما نعلم جميعا ذات أصول غربية، أمريكية، أملت لها ظروف اجتماعية وثقافية خاصة بتلك المجتمعات، وما تتميز به من خصوصيات لغوية ودينية وعقدية، نحاول لفت الانتباه إلى أهمية البيئة الثقافية للمعرفة، حيث لا يمكن "تجاوز الأسس الثقافية الأمريكية التي انطلق منها الفكر البراغماتي، وأهم الاتجاهات الفكرية الأمريكية التي سبقت البراغماتية في الظهور، والتي كان لها دور في بناء الإنسان الأمريكي، وصقل ثقافته حتى أصبح بإمكانه أن يبني اتجاهها خاصا به، يتنافس والاتجاهات الأوروبية كالمثالية في ألمانيا والتجريبية في بريطانيا"⁽²⁾، فالإنسان الأمريكي استطاع التخلص من الهيمنة الثقافية الإنجليزية ممتطيا صهوة البراغماتية التي كانت حتما وليدة العديد من التجارب الفلسفية، ووسمت الوعي القومي الأمريكي والتي لا يتسع المجال هنا لذكرها.

وبعد ربح من الزمن لما رأى الباحث العربي أنه لا بد من تتبع أثر الغربي لبلوغ ما بلغه من تطور علمي ومعرفي، وما يعيشه من رفاهية وتقدم، ولا سبيل له إلى تلك المرام إلا بتجاوز الحتمية اللسانية المفروضة عليه فرضا، حيث لا يتم له ذلك إلا بتعلم لغة الآخر و يتأثر بما ينجر عنها من عوالم ثقافية

¹ عزت محمد جاد، نظرية المصلح النقدي، الهيئة المصرية للكتاب، 2002، ص 100.

² علي عبد الهادي المرهج، الفلسفة البراجماتية أصولها ومبادئها، دار الكتب العلمية، 2008، بيروت، ص 50.

مختلفة، تحتاج إلى تأصيل وتصنيف عميقين، حتى تمكنه من خوض غمار الترجمة منها إلى لغته العربية، بطريقة سليمة نسبياً لأن النمو المعرفي مرهون بالاتصال اللساني "فمنذ سايبير وورف على أقل تقدير بل ومنذ هادر وهومبولت في الحقيقة، كان تأثير الاتصال اللساني موضوعاً له أهمية فريدة بين الفلاسفة وعلماء النفس وعلماء اللسانيات، وتركز اهتمام الجميع حول كيفية اكتساب لغة أم بذاتها...مقابل لغة أخرى (مثل الإنجليزية)، وشمل اهتمام الباحثين تأثير اللغة الأم على طريقة البشر في تفهم العالم، وهنا يتمثل فرض (الحتمية اللسانية)"⁽¹⁾.

من المعلوم أن الفكر الغربي خاصة الأوربي في مرحلة ما من الزمن لم يعد يتكل على العقل بمفرده أو الذهن الإنساني في تصوره لعلاقاته مع العالم، بل تجاوزه إلى ملكات أخرى كنتلك التي أسماها بـ"بريجسون (Henri-Louis Bergson) الحدس وما ينبثق عنها من وعي وإدراك للحقائق، والتي تتسع لتشمل الشعور والوعي والتجربة المعيشة التي يهتم بها الوجوديون، أما الحياة الفكرية لدى الأمريكيين فقد اتجهت إلى نحو آخر متفق مع وجهة أناس هذا العالم من رجال الأعمال الذين همهم الأول تحقيق النجاح في الحياة وعليه أصبحت الخبرة لديهم مقترنة (بالفعل) أو بتأدية سلوك مؤدي للنجاح، وبالتالي فكرهم صار مختلفاً عن الفكر الكانطي أو التجربة الوجودية المعيشة، وبالتالي فاقت كل مناهج المعرفة"⁽²⁾.

إنّ الفكر الفلسفي الأمريكي كان وليد خليط متجانس من التجارب الإنسانية، هاجرت من كل أرجاء العالم بحثاً عن حياة أفضل، في كنف الحرية، وقد أورثت الأجيال الجديدة صفاتاً قلماً تجتمع لدى أمة من الأمم، تمثلت في الإقدام والشجاعة، والاعتماد على النفس، وخوض المغامرة وتجريب المقامرة، وتوظيف العقل، والإيمان باللمس، والتحرر من التقاليد القديمة، وكلّها سمات ساهمت في بناء الفكر البراغماتي المتميز⁽³⁾ فأصبح المجتمع الأمريكي يؤمن بأن ظروف الحياة يمكن تحسينها بالإقدام على

¹ - توماس ماسيللو، الأصول الثقافية للمعرفة البشرية، تر: شوقي جلال، هيئة التراث الجمع الثقافي، أبوظبي، 2006، ص204.

² - ينظر: يحي هويدى، قصة الفلسفة الغربية، دار الثقافة للنشر، القاهرة، 1993، ص132.

³ - ينظر: محمد عبد المنعم الشرقاوي، الولايات المتحدة أرضاً وشعباً ودولة، دار النهضة المصرية، القاهرة، 1956، ص105.

العمل الموجه بالعقل، وأن المثل الأخلاقية لا جدوى منها إذا ما انفصلت عن وسائل تحقيقها، وأن الحقيقة متغيرة، وأن الإنسان قادر على إعادة ترتيب الظروف برغبته وإرادته، وعدم الاستسلام للتجريد العقلي والبحث النظري العقيم، وترك الواقع العملي.⁽¹⁾

2-1 رواد البراغماتية (الذرائعية) الغربية:

لقد سبق وأن تحدثنا عن المصطلح في اللغة الأصل وما يقابله في اللغة الهدف (العربية)، لذا نعرض إلى مسألة أخرى تتعلق باختيار المصطلح ذاته دون سواه لدى أصحاب الشأن رواد المذهب البراغماتي، وعلى رأسهم شارل ساندرس بيرس⁽²⁾ Charles Sanders Peirce الذي استخدم مصطلح البراغماتيزم Pragmatism بدلا من (المذهب العملي) Praticalism بتأثر من كتاب كانط Kant (نقد العقل الخالص) الذي استخدمه كانط ليعبر به عن علاقة تحديد بعض الأهداف الإنسانية ببعضها الآخر.

وقناعة من بيرس أن مجال البحث "العملي" هو مجال للفكر، حيث لا يوجد عقل من النوع التجريبي يمكنه أن يتأكد من صلابة الأرض تحت قدميه، وإيماننا منه أن البراغماتية لا تتعلق بما هو (عملي) ولا بما يتصل (بالعمل أو الممارسة)، ولكن تتصل بما (للمعرفة العقلية) من علاقة (بالعمل أو الفعل) أو السلوك الإنساني (الغرض العقلي)⁽³⁾ Rational purpose، فمن خلال هذا المقطع

¹ - علي إسماعيل سعيد، فلسفات تربوية معاصرة، عالم المعرفة، الكويت، 1995، ص 56.

² - شارل ساندرس بيرس (بالإنجليزية: Charles Sanders Peirce) سيميائي وفيلسوف أمريكي، يُعدّ مؤسس الفعلانية أو العملانية مع وليم جيمس، وأحد مؤسسي السيميائيات المعاصرة، أعيد بعث فكره بحيث صار أحد كبار المجددين، خصوصا في

منهجية البحث وفلسفة العلوم، نُشرت أعماله في ثمانية مجلدات تحت عنوان "مجموعة بحوث تشارلز ساندرز بيرس *The collected papers of Charles Sanders Peirce*"، ومن هذه المقالات، نذكر أول محاولة فلسفية مهمة له

أرسى من خلالها دعائم الذرائعية، وهي "كيف نجعل أفكارنا واضحة؟" (1878)، وكذلك "دراسات في المنطق" (1883)، و"الهندسة المعمارية للنظريات" (1890)، و"ما الذرائعية؟" (1905)، و"نشأة الذرائعية" (1905). للمزيد راجع: عبد المنعم

الحفني، موسوعة الفلسفة والفلاسفة، ج1، مكتبة مدبولي، القاهرة، ط3، 2010، ص361.

³ - ينظر: تشارلز موريس، رواد الفلسفة البراهجماتية، تر: مصطفى إبراهيم، دار المعرفة الجامعية، 2011، ص28.

نلاحظ أنّ بيرس قد اتبع كانط الذي تعرض لمفهوم البراغماتية في أحد مقالاته عرضاً بينما بيرس كان أول من جهر به على العلن من بين رواد البراغماتية الغربيين.

2-1-1 بايني جوفاني Giovanni Papini⁽¹⁾:

كانت فلسفته تعنى بمنهج البحث وأدواته، لا يؤمن بالحقائق الأبدية ولا بالمبادئ الثابتة والمطلقة، يطالب بالكشف عن مواضع الخبرة وقت حدوثها، ولا يقتنع بالوصف والتعميم، وينقل عنه ويليام جيمس وصفه للبراغماتية أنها نظرية ممرات كالممر أو الدهليز تؤدي إلى مكان فسيح، فجوفاني بايني براغماتي لكن مختلف عن البراغماتيين الأمريكيين.⁽²⁾

2-1-2 شارل ساندرز بيرس Charles Sanders Peirce:

يعد مؤسس المذهب البراغماتي الذرائعي، انطلاقاً من نشره لمقال تحت عنوان: (كيف نجعل أفكارنا واضحة؟) والذي قال فيه بالحرف: "إننا لا نعرف على وجه التحقيق ما هي الكهرباء في حد ذاتها؟ أي أننا لا نملك ماهية عقلية للكهرباء، وكل معرفتنا بها محصورة فيما تؤديه لنا الكهرباء أو ما تحققه من أغراض عملية، ومعنى هذا أن معنى الكهرباء يتحدد بالنظر إلى آثارها العملية التي نلمسها في تجربتنا اليومية... ومعناها يتحدد من خلال هذا المجال وبالنظر إلى النتائج العملية المترتبة عليها، وعلى هذا النحو يتغير معنى العقل، فالعقل ليس شيئاً مفروضاً على الخبرة من عل، وليس ملكة منفصلة عن الخبرة تفضي بنا إلى عالم سام من الحقائق الكلية.

فالفكرة التي تتحقق أو تمتد في أفعال سلوكية هي التي تحوز موافقتنا وتغدو جزءاً من عقيدتنا، أو معتقداتنا، فليس كل ما يرد على ذهننا من خواطر يصبح معتقداً لنا، إذ إن أفكارنا التي تبلغ هذه المرتبة، هي فقط تلك الأفكار التي نراها تتحقق أمامنا على صورة أفعال تحفر آثارها في نفوسنا، وينعقد

¹ - جيوفاني بايني Giovanni Papini ، فيلسوف وكاتب إيطالي، له كتاب البراغماتية (Pragmatismo 1913).

² - ينظر: عبد المنعم الحفني، موسوعة الفلسفة والفلاسفة، ج1، مكتبة مدبولي، ط3، 2010، القاهرة، ص 246.

سلوكنا عليها فتصبح معتقدا لا نملك عنه حولا".⁽¹⁾ أراد بيرس من خلال نص المقال القول بأن المعتقد لا يمكن أبدا أن ينفرد به شخص معين، بل هو ملك جماعي يتحقق من خلال المجتمع، ولا يمكن أن يتم ذلك إلا إذا ترسخ بأثر قابل للملاحظة والقياس.

فبيرس لم ينشر كتبا ولكنه طرح مخطوطاته الفلسفية في بحوث ومقالات نشرت بعده، في ثمانية مجلدات باسم (مجموعة بحوث تشارلز سنדרس بيرس *The collected papers of Charles Sanders Pierce*)، وقد خاض غمار أربع مراحل فلسفية وجعلها كلها في الأخير تصب في معين الفلسفة البراغماتية، وقد أسماها البراغماتية Pragmaticism تمييزا لها عن براغماتية Pragmatism وويليام جيمس، وذلك سنة 1905، مستعيرا تعبير (كانط) عن الفكرة البراغماتية عن الشيء، ويقصد بها الفكرة أو المعتقد الذي يرسخ في أذهاننا عن الشيء، والذي بمقتضاه نسلك سلوكا حيال ذات الشيء فيجعلنا نستفيد منه، وعليه فالمعتقد عند بيرس ليس فكرة مجردة لا معنى لها سوى كونها تشغل العقل، بل هو سلوك له أثره المادي الذي لا ينمحي من الأذهان بعد ذلك ليتطور إلى عادة سلوكية، وامتلاك هذه العادات يعني العلم بطرائق إشباع الحاجات.⁽²⁾

يرى بيرس أن "الحقيقة ككل" صفة أخرى تتألف في المعلولات الحسية التي تولدها الأشياء التي تشارك فيها، والأثر الوحيد للأشياء الحقيقية هو أنها تسبب الاعتقاد، ذلك أن جميع الإحساسات التي تثيرها تبرز في الشعور في شكل اعتقادات... ومادام الاعتقاد هو قاعدة للفعل، وتطبيقه يتضمن شكا أكثر وفكرا أكثر، وفي نفس الوقت هو مكان للتوقف، فهو أيضا مكان للبدء في التفكير، هذا هو السبب في أنني قد سمحت لنفسني أن أدعوه فكرا ساكنا مع أن الفكر هو في جوهره فعل، وقصارى ما

¹ - يحي هويدي، قصة الفلسفة الغربية، مرجع سابق، ص 134.

² - ينظر: عبد المنعم الحفنى، موسوعة الفلسفة والفلاسفة، مرجع سابق، ص 361.

يصل إليه التفكير هو ممارسة الإرادة، وفي هذه لا يكون للفكر نصيب.⁽¹⁾ حيث يرى أنّ ماهية الاعتقاد هي إقامة السعادة، وذلك ما ترومه البراغماتية الأمريكية.

ومن هنا يمكننا القول: إنّ عالم الخبرة المحسوسة لدى البراغماتيين يشمل مجالين: مجال الآثار الحسية ومجال الأفعال أو السلوكيات يقع خارجا وهو قابل للملاحظة وبالتالي يعبر عن واقع ملموس، بينما دائرة الأفعال الإنسانية فتعبر عن ردود أفعال الناس ومدى استجاباتهم تجاه الأشياء، لذا فدائرة الخبرة لدى البراغماتيين لا تعني انطباعات حسية متفرقة وحسب، بل تعني كذلك علاقات الناس بالأشياء ومدى استفادتهم منها⁽²⁾، وبالإضافة إلى هذا فإنّ الفرق بين التجريبية التقليدية والبراغماتية يكمن في أنّ الأولى تذهب إلى أنّ الحقيقة موجودة بيننا وما على الإنسان سوى تسجيلها مادامت مضمنة في الوقائع الخارجية والعلاقات القائمة بينها، بينما الثانية ترفض هذا التصور المجسد وتذهب إلى تصور نشط أصبحت فيه المعرفة أو الحقيقة مرتبطة وظيفيا بالفعل كونها حقيقة متصلة بنشاط الإنسان وتتوقف على ما يحققه من منفعة.

ومن هنا كان بيرس من الرواد الوسطاء بين الفلسفة البراغماتية (الذرائعية) التي اهتمت بحياة الإنسان ومصالحته وتسخير العقل لذلك، وبين التداولية كحقل يهتم بعلوم اللغة ويراعي كيفية استعمالها.

¹ - هربر تشنيدر، تاريخ الفلسفة الأمريكية، ترجمة: محمد فتحي الشنيطي، دار النهضة المصرية، مصر، 1964، ص 342.

² - ينظر: يحي هويدي، قصة الفلسفة الغربية، مرجع سابق، ص 136-137.

2-1-3 براغماتية ويليام جيمس William James⁽¹⁾:

كان ويليام جيمس ثاني أشهر ثلاثة في ميدان البراجماتية الأمريكية يسبقه بيرس، ويلحقه ديوي وللثلاثة أصول يشتركون فيها، ثم لكل منهم خصائص ينفرد بها دون زميليه⁽²⁾.

فأول من صاغ مصطلح البراغماتيزم Pragmatism كان بيرس، عام 1878، في مقال نشره بمجلة شهرية تسمى (Popular Science Monthly) وكان يقصد به (عملي) أو (صالح لغرض معين)، أو (يؤدي إلى غاية ما)، ثم أخذه عنه ويليام جيمس، وطوره ضمن كتاباته، حتى صارت البراغماتية تعرف به وهو يعرف بها، إنَّ الخطوة الأولى في البراغماتيزم كما أسسها بيرس "تعني أنَّ البراغماتيزم نظام فلسفي لتفسير معنى الفكرة أو العقيدة، فالفكرة إنما هي مشروع للعمل وليست حقيقة في ذاتها كما تزعم الفلسفة العقلية، ثم يتلو هذه الخطوة التأسيسية خطوة ثانية اتخذها ويليام جيمس William James فيلسوف البراغماتية، وحامل لوائها في العصر الحديث إلى مطلع القرن العشرين الذي رأى أن كل (عقيدة) تؤدي إلى نتائج مرضية، إنما هي (عقيدة) حقيقية، فليست الفكرة مشروعاً للعمل فقط، إنما (العمل أو النتائج) هي الدليل على صحة الفكرة، وبهذا أخرجنا من معنى الفكرة ومدلولها إلى عالم الحقائق، فأصبح العمل أو النتائج التي ستترتب على الفكرة برهاناً على صحة الفكرة بعد أن كان معنى لها.⁽³⁾

¹ - ويليام جيمس William James: فيلسوف أمريكي وأحد رواد علم النفس الحديث، له كتب مؤثرة في علم النفس بمختلف فروعها، وكذا في الفلسفة البراغماتية. من مؤلفاته: الإرادة، الاعتقاد، مبادئ علم النفس، البراغماتية، ذاع صيته في أمريكا كأشهر فيلسوف في عصره إذ كان يُدعى بفيلسوف الحرية، من أقواله الشهيرة: "إنَّ الاكتشاف الأعظم الذي شهده جيلي والذي يقارن بالثورة الحديثة في الطب كثورة البنسلين هو معرفة البشر أنَّ بمقدورهم تغيير حياتهم عبر تغيير مواقفهم الذهنية"، ينظر: ول ديورانت، قصة الفلسفة من أفلاطون إلى جون ديوي، مكتبة المعارف، بيروت، ط6، ص616.

² - ينظر: ويليام جيمس، البراجماتية، تر: محمد علي العريان، المركز القومي للترجمة، القاهرة، 2008، ص2.

³ - ينظر: يعقوب فام، البراجماتيزم أو مذهب الذرائع، مطبعة لجنة التأليف، القاهرة، 1936، ص150.

وينظر أيضاً: ويليام جيمس، البراجماتية، مرجع سابق، ص66.

وقد توسعت براغماتية ويليام جيمس أكثر مما كان يتصور بيرس، حيث رأى أنّ "قيمة الفكرة ليست في الصور والأشكال التي تثيرها في الذهن، وليست في انطباقها على حقائق الموجودات، وإنما في الأعمال التي تؤدي إليها هذه الفكرة، وفي التغيرات التي تنتجها في الدنيا المحيطة بنا، ولا يهم في هذه الحال حقائق الأشياء في ذاتها، لأننا نستطيع أن نفرض هذه الحقائق كيفما أتفق، فما جمع هذه الإحساسات إلا علامات ومعالم تقود العقل إلى التصرف والسلوك."⁽¹⁾ وهذا ما يتفق تماما مع مفاهيم السيميولوجيا المعاصرة ومبادئها وقضايا الهرمينوطيقا وتأويل الخطابات والنصوص.

إنّ وجه الاختلاف بين جيمس وويليام وبيرس كان منهجيا، فبيرس سعى إلى بناء صرح فلسفة علمية Scientific Philosophy أما رسالة جيمس وويليام كانت محاولة إيجاد صدق فلسفي (يمكنه من تبرير إقامة الدين دون التخلي عن العلم) وقد كتب ذات مرة يقول: "كان أول عمل لي للتعبير عن إرادتي الحرة، أن اعتقدت في الإرادة الحرة Free Will" وكان يسعى إلى (المثل العليا) التي كفرت بها الفلسفة الذرائعية يومئذ، حيث قال في هذا الباب: "لولا الدلالة العملية لكانت كلمات الإرادة الحرة، الخلق... لا معنى لها، فلديها معنى خاص يعد بوجود عالم أفضل مما نعيش فيه"⁽²⁾.

لقد تميز ويليام جيمس بقدرته الفائقة على التحليل، الذي انتهى به إلى الفلسفة والعودة إلى الميتافيزيقا في وقت كان فلاسفة زمانه لا يؤمنون بالعقل وما يترتب عليه من تخمينات ويدور فيه من أفكار، ما لم تتجسد تلك الأفكار في نتائج ملموسة، وهو القائل: ليست الميتافيزيقا سوى محاولة للتفكير في الأشياء بوضوح، وهو الذي ينظر إلى الفلسفة ويعرفها بطريقته البسيطة عندما يقول: "إنها التفكير الوحيد بالأشياء في أفضل طريقة شاملة مدركة" وهكذا كانت مؤلفاته، كان واقعا ينظر إلى الفكر كمرآة ضرورية للحقيقة الخارجية، لقد دفعته الرغبة للوصول إلى الحقيقة بأقصر الطرق وأسرعها، إلى

¹ - يعقوب فام، البراجماتيزم أو مذهب الذرائع، مرجع سابق، ص 151.

² - ينظر: تشارلز موريس، رواد الفلسفة البراجماتية، مرجع سابق، ص 53.

انتهاج المذهب العملي (البراغماتيزم) بكل بساطة ووضوح عكس نظرائه ومعاصريه، بل كان يمقت الغموض والتلاعب بالمصطلحات.⁽¹⁾

وقد بيّن النقاد أن الفيلسوف ويليام جيمس صنع من البراجماتية منهجا بحثيا Methode جديدا لوسائل فكرية قديمة.

2-1-4 جون ديوي John Dewey⁽²⁾ :

لقد تجسد مسار الفلسفة من تياره العقلي إلى تياره البراغماتي في أربع خطوات تتمثل في الآتي:

- زعم هيربرت سبنسر أن الفكرة التي لا صورة لها في الذهن، تكون فكرة لا معنى لها في الواقع.
- ثم أتى بعده بيرس فأرى أن الفكرة التي تقود إلى العمل تكون فكرة صالحة وحقيقية.
- وتبعه ويليام جيمس فبيّن أن هذا العمل الذي تؤدي إليه الفكرة إنما هو البرهان القاطع على صحتها.
- ثم خرج جون ديوي بنظريته من أن الأصل في الفكر أو العقل ليس المعرفة، فليس العقل أداة للمعرفة وإنما أداة للحياة.⁽³⁾

هذه كلمة إجمالية عن فلسفة البراغماتيزم التي اتهمت بكثير من النقائص، لا زالت تدفعها عن نفسها بكل قوة إلى اليوم، فبعدها وضعها الأوائل من روادها على السكة، ومنهم جون ديوي الذي هذبها وأكسبها مكانة محترمة بين الفلاسفات، وقد استطاع أن يدعم نظرياته الفلسفية في ضوءها من (العلوم الإنسانية)⁽⁴⁾، ولا أدل على نجاحه في ذلك من صدق معظم نظرياته في مجال التربية والتعليم، وكان جون ديوي قد لفت أنظار العالم نحوه أثناء تدريسه بجامعة شيكاغو حيث كشف عن أفكاره هناك، وقد اعترف

¹ - ينظر: ول ديورانت، قصة الفلسفة من أفلاطون إلى جون ديوي، مرجع سابق، ص 617.

² - جون ديوي John Dewey: فيلسوف وعالم نفس أمريكي ورائد من رواد الفلسفة البراغماتية، وأحد الأوائل المؤسسين لها، يقال أنه هو من أطال عمر هذه الفلسفة واستطاع أن يستخدم بلباقة كلمتين قريبتين من الشعب الأمريكي هما "العلم" و"الديمقراطية". كما ارتبط اسمه بفلسفة التربية لأنه خاض في تحديد الغرض من التعليم وأفاض في الحديث عن ربط النظريات بالواقع من غير الخضوع للنظام الواقع والتقاليد الموروثة مهما كانت عريقة.

³ - ينظر: يعقوب فام، البراغماتيزم أو مذهب الذرائع، مرجع سابق، ص 159.

⁴ - ينظر: يعقوب فام، البراغماتيزم أو مذهب الذرائع، ص 280.

بتميّزه جميع المعلمين والأساتذة وتأثروا به، حيث تقوم أفكاره على ربط الفلسفة والعلم بشؤون الحياة، معتبرا أنّ الحقيقة هي الفكرة النافعة لا غير، والفكرة النافعة هي التي تؤدي إلى العمل المنتج لأنّ العبرة بنتائج الأفعال لا بالأفعال ذاتها، كما أنّ الفكرة الناجحة هي الفكرة التي تخدم الإنسانية، أمّا الفكرة الفاشلة عنده فهي تدخل في الخبرة والتجربة لكنّها لا تدخل ضمن الحقيقة.⁽¹⁾

لقد كان ينظر إلى الميتافيزيقا بالرفض ويعتبرها صدى لعلم اللاهوت المختفي وراءها، وينظر بأنّ مشكلة الفلسفة دائما هو اختلاط أبحاثها بالأبحاث الدينية، وهو القائل: "عندما كنت أقرأ أفلاطون بدأت الفلسفة تسير سيرا ضروريا على أساس سياسي يستهدف تنظيم مجتمع عادل، لكنها سرعان ما ضلّت في أحلام العالم الآخر، كما أدى اهتمام الفلسفة الألمانية بالمسائل الدينية إلى انحراف مجرى تطور الفلسفة." ⁽²⁾

أما في مجال الطبيعة البشرية والسلوك الإنساني فله رأي خاص يتمثل في كون الأخلاق متعلقة على الدوام بجميع أنواع النشاط الذي يقوم به الإنسان وتكون فيه إمكانية الاختيار، وبذلك يكتسب الصفة المميزة للعمل القصدي، وبذلك لا تنفصل الأخلاق عن السلوك... والأخلاق إنسانية بكل ما للكلمة من معنى لكن لا بدّ من خضوعها للتمحيص و الاختبار فما لا ينفع منها نتخلّص منه⁽³⁾، وبالنسبة للذكاء فرأي ديوي في ملكيته أنّها تكون بقدر استغلالنا له وعملنا به، وبدرجة قبولنا بالمسؤولية التي تترتب على عاتق كل منا، وعلى نتائج أعمالنا، أي كلّما كان الإنسان كسولا وبليدا وغير مسؤول يفتقد إلى الذكاء، والمعرفة في البداية هي حكم مسبق على العمل، فالإنسان يعرف عن طريق أفعاله.

¹ - ينظر: ول ديورانت، قصة الفلسفة من أفلاطون إلى جون ديوي، مرجع سابق، ص 626.

² - المرجع نفسه، ص 627.

³ - ينظر: جون ديوي، الطبيعة البشرية والسلوك الإنساني، تر: محمد لبيب النجيمي، مؤسسة فرانكلين، القاهرة، 1963،

كما أنّ سلوكيات الإنسان-حسبه-تقوم على الناحية الاجتماعية، سواء أدركنا ذلك أم لم ندركه، وبداية المسؤولية هي القدرة، والمسؤولية أننا نسأل عن نتائج أفعالنا أمام الآخرين، ويدخل الآخرون في اعتبارهم ما نفعل، ويستجيبون لأفعالنا طبقاً لذلك،⁽¹⁾ بمعنى أنّ فلسفة جون ديوي كانت تقوم على ما ينفع الإنسانية وغيرها يتخلص منه ولا يبحث فيه.

2-1-5 جون أوستين J.L.Austin⁽²⁾:

صاحب الكتاب المشهور (How to do things with words) الذي تم طبعه ونشره بعد وفاته، ذكر فيه أن هناك أعداداً من العبارات المنطوقة لا تخبر ولا تعرض أي شيء، وبناء عليه فهي ليست (صادقة ولا كاذبة)، لكن النطق بالجملة هو حدث أو جزء من حدث بغض النظر عن صدقيته أو كذبه، وقد سمى هذا النوع من التعابير بالأدائيات في مجال أفعال الكلام التي تمكن من تصنيفها ضمن مجموعة مثل (يعتذر-يشكر-يهنئ) وغيرها من الجمل التي تبدأ بضمير (أنا-هو-هي-هم) منفصل أو مستتر، وبعده فعل مضارع، وقد صنف الأفعال الأدائية إلى صريحة وضمنية، كما لو قيل لنا: المطر غزير والمراد منها : خذ مطّارتك، ومن هنا يكون أوستين قد لفت الأنظار على أنه يمكن للغة أن تكون أسلوب عمل وليست توثيق فكر وحسب تجسيدا لمقولة مالمينوفسكي.⁽³⁾

وفي ختام هذا المبحث الذي أثرناه حول رواد المذهب العملي (البراغماتية) أو الذرائعية كما تسمى لدى البعض كونها تعبر عن الشق الفلسفي في الدرس التداولي، لا يسعنا إلا أن نوه بأننا لم نتطرق لكل فلاسفة الذرائعية وهم أكثر لا يتسع المقام لذكرهم جميعاً، بل اقتصر ذكرنا للأعلام اللذين

¹ - ينظر: جون ديوي، الطبيعة البشرية والسلوك الإنساني، ص 328، 329.

² - جون لانغشو أوستين John.Langshaw.Austin (1911-1960) التحق بجامعة أكسفورد كطالب، وعمل بالعسكرية البريطانية كضابط استخباراتي في الحرب العالمية الثانية، ثمّ بعد انتهاء الحرب عاد للعمل كفيلسوف بنفس الجامعة التي درس بها، زار جامعة هارفرد وبها ألقى محاضرات ويليام جيمس التي تم جمعها فيما بعد في كتابه المشهور كيف نفعل الأشياء بالكلمات، وله كتاب آخر بعنوان الحواس والمحسوس.

³ - ينظر: ف.ر. بالمر، علم الدلالة إطار جديد، ترجمة: صبري إبراهيم السيد، دار المعرفة الجامعية، 1995، الإسكندرية، ص 211.

سخروا معظم جهودهم لهذا الاتجاه الفكري الفلسفي وذلك وفق ترتيب كرونولوجي، فبدأنا بالفيلسوف الإيطالي بابيني جوفاني كأمودج للبراغماتية الأوروبية، ثم تلاه كل من تشارلز ساندرز بيرس مقتديا بالفيلسوف الألماني كانط، ثم الفيلسوف جيمس ويليام، وفي الأخير الفيلسوفان الشهيران جون ديوي وجون أوستين، وقد اكتشفنا مدى الاختلاف الموجود بين هؤلاء من حيث المبادئ والأيدولوجيات، إلا أنهم ساهموا جميعهم في صناعة المذهب البراغماتي.

2-2. التداولية في الدرس العربي القديم:

لا تخلو الدراسات اللسانية العربية القديمة من عملية التواصل أو الاتصال التي تعود جذورها إلى الدراسات النظرية لدى الجاحظ وأبي الهلال العسكري والقاضي الجرجاني وابن قتيبة وحازم القرطاجني والرازي وغيرهم، لكنها كانت في قالب معياري يهتم بالأثر الناتج المترتب مباشرة عن الرسالة والشروط التي تجعل الخطاب ناجحا وفي هذا ملامح من التداولية الحديثة، وقد ركز هؤلاء المنظرين على الخطيب والمتلقي والخطاب وعملية التأثير والتأثر والمقصدية ونوايا المتكلم والفائدة من كلامه، وهذا أيضا من جوهر النظرية التداولية.

وقد ذهب بعض المهتمين بالدرس اللساني التداولي العربي إلى أنّ التداولية الحديثة تطابق مباحث في مؤلفات "الجاحظ" اللغوية، لتركيزه كل اهتمامه على هذا المستوى في كتابه "البيان والتبيين" وفي رسائله أيضا، فاهتمامه المتزايد بعملية التأثير في المتلقي وإقناعه، لفت أنظار الباحثين في التداوليات عن طريق الترجمة، وقد سُميت هذه النظرية عنده بـ: "نظرية التأثير والمقام"، والتي تلتقي اليوم مع.

وتتجلى جذور التداولية عند الجاحظ في تقسيمه للبيان إلى ثلاثة وظائف هي:

الوظيفة الإخبارية المعرفية التعليمية، الوظيفة التأثيرية، الوظيفة الحجاجية، واهتمامه أكثر كان بالوظيفة التأثيرية التي تمثل جانبا مهما في التداوليات الحديثة، كل هذه الوظائف تشكل جوهر النظرية التداولية

في الدراسات المعاصرة باعتبارها مقارنة تهتم بالتواصل بالدرجة الأولى، والإقناع والتأثير، وإيصال المعنى وتقديم الفائدة.

إذ يقول أحد الباحثين: " لم نعثر في كتب البلاغة والنقد التي اطلعنا عليها حتى الآن على نص يشير إلى وجود نظرية للكلام عند الجاحظ، ولا ندري سبب هذا السكوت حول قضية مثل هذه في الأهمية، وتجاه مؤلف عرف منذ القديم بأفكاره الكلامية، بل التقصّي الذي قمنا به في هذا الصدد يبيّن أن للجاحظ نظرية تامة في الكلام." (1)

لقد سجل الدارسون لأعمال الجاحظ اهتماما كبيرا ومنقطع النظير يعطينا "فكرة واضحة عن موقفه الحقيقي من جميع القضايا اللسانية، وفي مقدمتها البلاغة، التي راعت نظاما قام على أقسام لم يسبقه إليها غيره على هذه الشاكلة، وهي: (2)

- 1- وضع الكلام في إطاره النظري.
- 2- نظرية الدلالات بمنازها الخمس (النسبة-الخط-العقد-الإشارة-اللفظ).
- 3- نظرية اللغة.
- 4- نظرية اللفظ والمعنى.
- 5- نظرية المطابقة.

كما أن "اندرج الحجاج في المباحث التداولية أمر قد جرى في عرف الباحثين وقد أشار إلى ذلك بعضهم إذ قال: ويوجد تيار ناتج عن التقاء تيارين نابعين من أصلين مختلفين متداخلين في الآن نفسه؛ تيار نابع من أطروحات فلسفية منطقية مختلفة ومتداخلة كالفلسفة التحليلية والنماذج المنطقية المختلفة، وتيار ينبع من اهتمام اللسانيين بالتخاطب وذاتية المتكلم وخصائص الخطاب ويلتقي التياران في مجال

¹ محمد الصغير بناني، النظريات اللسانية والبلاغية والأدبية عند الجاحظ من خلال البيان والتبيين، ديوان المطبوعات الجامعية، 1994، الجزائر، ص 67.

² المرجع نفسه، ص 68.

عام مشترك بين اللغويين والفلاسفة والمناطق وعلماء النفس، نصنّفه تحت عنوان عام جدا هو الأطروحات البرغماتية.⁽¹⁾ وعليه صيروا الحجاج بابا رئيسيا من المباحث التداولية.

3- فروع التداوليات اللسانية:

بعد أن حاولنا استيفاء البحث والتنقيب عن البراغماتية في ثوبها الفلسفي الذرائعي الذي التفت إلى علاقة الإنسان بالحياة، وسير أغوار الدينامية الفكرية له من ميلادها في الأذهان إلى أن تؤدي به إلى نتيجة ملموسة ذات فائدة، وكل ما يحيط بذلك من عقائد وسلوكات وأخلاقيات، من حيث كونها فلسفة للحياة في أعلى هرمها، خاضها الإنسان وهو يتمسك بأسباب البقاء وتحسين وسائل الحياة. لا بدّ أن نعود أدراجنا إلى علاقة البراغماتية باللّغة وما نتج عنها من تقسيمات وفروع، اقتضتها الضرورة ضمن مسارها الطويل وتطوراتها التاريخية، وهنا نذكر أن المصطلح الذي ترسخ لدى الباحثين العرب كمقابل للبراغماتية هو (التداولية)، وهو مصدر صناعي من المصدر (تداول) بمعنى التبادل بالأخذ والعطاء، مثلما يكون أثناء انعقاد الندوات والاجتماعات (تداول الكلمة)، أي التحدث بالدور، حينما يتكلم أحدها ينصت الآخرون، والقاسم المشترك في الجلسة هو اللغة بالإضافة إلى القضية (موضوع الاجتماع)، وهنا بالضبط لا بدّ من الانتباه إلى اللّغة المنتقاة وطريقة التلفظ بالنسبة للمتكلم، وكذلك علاقة ذات اللغة بالمتلقي وكيفية تفسيره للعلامات.

والتداولية هنا عُدّت فرعا أساسيا من فروع السيميائيات Semiotics بعد علم التراكيب وعلم الدلالة⁽²⁾ وقد صارت مجالا هاما يعتد به في الدراسات اللغوية المعاصرة، ابتداء من العقد السابع من

¹ صابر الحباشة، التداولية الحجاج مداخل ونصوص، دار صفحات للنشر، ط1، دمشق، 2008، ص7.

² علم التراكيب (Syntax): يعرف في اصطلاح علماء النحو بأنه اجتماع كلمتين أو أكثر لعلاقة معنوية ذات تأثير لفظي، والتراكيب بهذا المعنى يشمل الجملة وشبه الجملة والمضاف والمضاف إليه وغير ذلك، يدرس علم بناء التراكيب أو الجمل بنية الجملة ويصف كيفية ترابط الكلمات في عبارات وكيف يمكن لها أن تتجمع لتكوين الجمل.

القرن العشرين، وقد ساهم في تطويرها مجموعة من اللغويين والفلاسفة من بينهم: أوستين J.L.Austin وسيرل J.R.Searl وغرايس H.P.Grice وهم ثلاثتهم من فلاسفة اللغة الذين كانوا على رأس مدرسة اللغة الطبيعية أو العادية Ordinary Language، في مقابل المدرسة الصورية أو الشكلية، Formal Language، التي يمثلها كارناب Carnap، حيث كانت بحوثهم منصبة حول طرائق توصيل المعنى إلى المتلقي من المرسل بواسطة اللغة الإنسانية الطبيعية.

وهذا بالذات الدور الذي يناط بالتداولية مع أن هؤلاء جميعا لم يتطرقوا لمصطلح (تداولية) من خلال كتاباتهم⁽¹⁾، إنما تمّ استنباطه جراء البحث والتنقيب في أعمالهم، والتداولية تتقاطع مع العديد من الحقول المعرفية التي تفيدها منها وتستفيد، منها: علم الدلالة الذي يشترك مع التداولية في دراسة المعنى خاصة من جانب تفاعل المعنى مع الاستعمال، وعلم اللغة الاجتماعي الذي يساهم مع التداولية في تبيان أثر العلاقات الاجتماعية بين أطراف الحوار، وعلم اللغة النفسي الذي يشارك التداولية في الاهتمام بقدرات المشاركين التي لها أثر في أدائهم اللغوي، كالانتباه، التركيز، التذكر، الشخصية، وتحليل الخطاب هذا الأخير الذي يجمعه بالتداولية طرائق تحليل الحوار، ومناهج تناول الخطاب ومقارنته.

ونتيجة للتداخل والتشابك الحاصل بين التداولية وهذه العلوم، اتسع مجالها واستعسر إيجاد تعريف واحد لها، فالتداولية تعني دراسة اللغة من وجهة نظر وظيفية، والتداولية هي دراسة كل جوانب المعنى التي تحملها النظريات الدلالية، والتداولية هي دراسة الجوانب السياقية للخطاب، والتداولية هي فرع من

- علم الدلالة (Semantics): هو أحدث فروع اللسانيات الحديثة يعنى بدراسة معاني الألفاظ والجمل دراسة وصفية موضوعية، وأول من استعمل مصطلح علم الدلالة، هو اللساني الفرنسي بريال Michel Bréal وذلك في مقاله الصادر سنة 1883 ثم ما لبث أن فصّل القول في مسائل المعنى في كتابه الموسوم: محاولة في علم الدلالة Essai de sémantique في سنة 1897. للمزيد ينظر: أحمد مومن، اللسانيات نشأة وتطور، ديوان المطبوعات الجامعية، ط2، 2005، الجزائر، ص 239.

¹ - ينظر: محمود أحمد نحلة، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، دار المعرفة، 2002، مصر، ص 9.

فروع علم اللغة يبحث في كيفية اكتشاف السامع قصدية المتكلم... وهكذا، ولما اتسع مجال التداولية كما أسلفنا القول، انبثقت عنها فروع منها⁽¹⁾:

التداولية الاجتماعية Sociopragmatics، والتداولية اللغوية Linguistic pragmatics، والتداولية التطبيقية Applied pragmatics ثم التداولية العامة General pragmatics، وهناك من أضاف أصنافا أخرى، كالتداولية الإبداعية، والتداولية الحقيقية والتداولية الافتراضية⁽²⁾، وما يتم تسليط الضوء عليه هنا هو تلك الفروع الأربعة الأولى:

أولا- التداولية الاجتماعية: تهتم بشروط الاستعمال اللغوي المستنبطة من السياق الاجتماعي، انطلاقا من كون اللغة الإنسانية ظاهرة اجتماعية، إذ يقول جون روبرت فيرث J.R. Firth صاحب النظرية السياقية: "إنّ اللغة ينبغي أن تدرس بوصفها جزءا من المسار الاجتماعي Social Process أي كشكل من أشكال الحياة الإنسانية، وليس كمجموعة من العلامات الاعتباطية Arbitrary signs أو الإشارات "Signals"⁽³⁾، حيث قام فيرث بدراسة مكونات اللغة وفق مكوناتها الاجتماعية مركزا على العلاقات التي تربط اللغة بالمجتمع، وبذلك انتقل من ثنائية اللفظ والمعنى إلى السياق والأبعاد الوظيفية للغة، وبذلك أتاح المجال واسعا أمام المعنى في الدرس اللساني بعد أن انقطعت به السبل ضمن اللسانيات الوصفية، كما هيأ الطريق للدراسات التخاطبية، وأفعال الكلام، وقد تفرع عن النظرية السياقية، التعددية اللسانية للمجتمع والازدواجية اللسانية والمواقف اللسانية، والتخطيط اللساني للمجتمع واستخدام المستويات اللسانية في التعليم وما إلى ذلك.⁽⁴⁾

¹ - ينظر: محمود أحمد نخلة، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، ص 15.

² - ينظر: عبد اللطيف حني، التداولية الإبداعية في الشعر الثوري الجزائري، مجلة الأثر، كلية اللغات والآداب، جامعة ورقلة مج 10، ع 12، ص 220. رابط المقال الإلكتروني: www.asjp.cerist.dz/en/article/50548

³ - أحمد مومن، اللسانيات نشأة وتطور، ديوان المطبوعات الجامعية، ط 2، 2005، الجزائر، ص 174.

⁴ - ينظر: خليفة الميساوي، المصطلح اللساني وتأسيس المفهوم، منشورات الاختلاف ودار الأمان، الجزائر-الرباط، 2014، ص 28.

ثانياً-التداولية اللغوية: التي تدرس الاستعمال اللغوي من وجهة نظر تركيبية Structural

وهي بذلك تنطلق من اتجاه مقابل للتداولية الاجتماعية، فإذا كانت هذه تنطلق من السياق الاجتماعي إلى التركيب اللغوي، فإن تلك تنطلق من التركيب اللغوي إلى السياق الاجتماعي الذي تستخدم فيه.⁽¹⁾

ثالثاً-التداولية التطبيقية: تعنى بمشكلة التواصل في المواقف المختلفة، وخاصة عندما يترتب على

ذلك التواصل نتائج خطيرة، كجلسات المحاكمات والاستشارات الطبية، وغيرها من المواقف المصيرية الصارمة التي تحتاج إلى ضوابط تقنية لتصنيف الملفوظات والبناء عليها، للقيام بالتشخيص في حال المرض، أو الحكم في حال المحاكمة.

رابعاً-التداولية العامة: تعنى بدراسة الأسس التي يقوم عليها استعمال اللغة استعمالاً اتصالياً،

وهنا يُشترط توفر كفتين مختلفتين لدى المتكلم: كفاية لغوية Competence Linguistic وأخرى اتصالية Communicative Competence، تمنحانه القدرة على نقل رسالة أو نقل معنى معين، والجمع بكفاءة بين القواعد اللغوية، والقواعد الاجتماعية في عملية التفاعل بين الأفراد وفق سياقات معينة، وينقل عن ديل هيمز Dell Hymes⁽²⁾ تصوره للكفاية الاتصالية قائلاً: "إنّ الكفاية الاتصالية الناطق باللغة للحدس، أو البديهة التي تمكنه من استخدام اللغة عند الكلام، وتفسيرها بشكل مناسب أثناء التفاعل وفي السياق الاجتماعي، إنّ الكفاية تعني أنّ الفرد يعرف بدقة متى يتكلم؟، ومتى

¹ - محمود أحمد نحلة، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، مرجع سابق، ص 15.

² - دل هيمز Dell Hymes، صاحب مصطلح الكفاءة الاتصالية ومبتكره في دراسة بعنوان: On Communicative Competence التي نشرها في كتاب علم اللغة الاجتماعي Sociolinguistics، لقد صاغ هيمز هذا المصطلح ليقابل به مفهوم الكفاية الذي طرحه تشومسكي أمام مفهوم الأداء، كما صاغه ليشمل الإلمام بقواعد علم اللغة الاجتماعي، أو مناسبة الحديث للسياق الاجتماعي، بالإضافة إلى الإلمام بالقواعد اللغوية.

لا ينبغي أن يتكلم؟ وما الذي يتكلم حوله؟ ومع من؟ ومتى؟ وأين؟ وبأية طريقة كان أسلوب الحديث؟⁽¹⁾

بقي أخيرا أن نبين بأن البحث التداولي يقوم على جوانب هامة في دراسته للمواقف الحوارية أو الخطابات، تتمثل في: الإشارة Deixis، والافتراض السابق Presupposition، والاستلزام الحوارية Conversational implicature، والأفعال الكلامية Speech acts⁽²⁾ وسوف نتطرق لذلك باختصار شديد.

أولا: الإشارة deixis: هي كلمات وتعبيرات تعتمد كلياً على السياق ولا يمكن تفسيرها بمعزل عنه، وهي أصناف منها: إشارات شخصية تدل على أشخاص كالضمائر، وإشارات زمانية، تدل على زمان يحدده السياق اللغوي، وإشارات مكانية تدل على المكان وفق السياق أيضا، إشارات الخطاب التي تحيل على سابق أو لاحق بالإشارة إلى مرجع ما، وهناك أيضا إشارات اجتماعية، وتعني كل لفظ يشير إلى العلاقة الاجتماعية بين المتكلمين والمخاطبين، وهي علاقة دالة على مكانة الشخص ودرجته الاجتماعية، طبيب، مهندس، حاجب، فلاح، متقاعد، وقد جاء في تعريف آخر: "الإشارة deixis إلى الأشخاص، والأزمنة، والأمكنة، والوظائف، والأدوار، والتلاحم أو التنافر، والقرب أو البعد وصيغ المخاطبة، والنداء (يا بني)، والالتفات"⁽³⁾.

أ- الإشارة الشخصية (الضمائر) person deixis :

أنا، نحن، هو، هي، هم، هن، هما، أنت، أنتِ، أنتما، أنتم، أنتن، وهي ظاهرة في اللغات الأجنبية كالفرنسية والإنجليزية، بينما في اللغة العربية فتتمظهر ضمن ثلاثة مظاهر، فتكون منفصلة كما ذكرناها،

¹ - أحمد طعيمة ومحمود كامل، تعليم اللغة اتصاليا بين المناهج والاستراتيجيات، منشورات الأيسيسكو، المغرب، 2006، ص46.

² - ينظر: محمود أحمد نخلة، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، مرجع سابق، ص 15.

³ - بهاء الدين محمد مزيد، تبسيط التداولية، دار شمس للنشر، القاهرة، 2010، ص112.

أو متصلة مثل: أعطيتك بضاعتك، أو مستترة خفية تُفهم من سياق الكلام مثل رأى الحق، فالإشارة الشخصية هنا هي ضمير الغائب "هو".

ب-الإشارة الزمانية (ظرف الزمان) **time deixis**:

لكل فعل أو حدث آنيته، أي زمن حدوثه، مثل: أنت الآن تتحدث، أنا غدا أسافر، فالآن وغدا تحيلان على زمن حدوث فعل كل شخص (أنت-أنا)، ومن بين الظروف الدالة على الزمان والتي تعد إشارات زمانية: الآن-عندئذ-صباح-مساء-لحظة-ساعة.

ج-الإشارة المكانية (ظرف المكان) **place deixis**:

من ظروف المكان التي تشير إلى مكان ضمن سياقاتها: هنا، هناك، ثم كقولنا: هنا حيث تجلس أنت، وهناك حيث تلعبون، وثم حيث تكتبون.

د-الإشارة الاجتماعية **social deixis** :

الإشارة الاجتماعية هي تلك الإشارة التي تضع المخاطب في مكانته الاجتماعية بلفظ القول، مثل: السيد، حضرة ال...، أستاذي الفاضل، معلمي، عماه... وكل إشارة تعتمد إلى التصنيف أو التمييز الاجتماعي الذي يُتوسل به بلاغيا في خطاب المتكلم، سواء كان الخطاب إيجابيا أم سلبيا، والإشارة المقصودة على وجه العموم هي الإشارات المعبر عنها باللفظ فقط، دون الإشارات غير اللفظية التي تستعمل في أدائها الأعضاء كاليد والرأس والعين والكتف وغيرها. (1)

هـ - الإشارة الوجدانية **Empathetic deixis**:

الإشارات الوجدانية منها ما هو للقريب (هذا)، ومنها ما هو للبعيد (ذلك، هؤلاء)، والبعيد قد يكون مكانيا كما قد يكون زمانيا، أو شعوريا، أو يكون للتعبير عن التوقير والإجلال، حيث تتبين دلالتها من خلال السياق الذي تأتي فيه، ومنها أيضا: هذه، ذاك، تلك، ذي، كقولنا: ذي القربى.

¹ - ينظر: بهاء الدين محمد مزيد، تبسيط التداولية، ص74.

ثانيا: الافتراض المُسبق **pre-supposition**: معناه أن يوجه المرسل كلامه إلى السامع على اعتبار ما يفترض سلفا أنه معلوم لديه، ويكون ذلك موصولا بسياق الحال، وبعلاقة المتكلم بالمخاطب، مثلا: لو قلنا للطلبة سلموا الواجب، فهذا يدل على أنهم قد كُلفوا بإنجاز واجب قبل هذا التاريخ، وهذا ما يجعل الدارسين يولون اهتماما لدراسة الافتراض السابق، لما له من علاقة بما يجري في الحاضر، وقد سمي كذلك "الإضمار القصدي، ويعني انطلاق المتخاطبين من معطيات معرفية قاعدية لتحقيق الفهم في كل تواصل لساني، ويشترط أن تكون هذه المعطيات والافتراضات معترفا بها ومتفقا عليها بينهم، وتشكل هذه الافتراضات الخلفية التواصلية الضرورية لتحقيق النجاح في التواصل، وهي ضمن السياقات والبنى التركيبية العامة، ويعد الفعل الكلامي أهم عنصر في التداولية، إضافة إلى متضمنات القول التي تفهم بالقرائن السياقية من الخطاب المنجز، والافتراض السابق مثل: هل أنجبت زوجتك؟ فالافتراض السابق أن للمتلقي زوجا، ويرى البراجماتيون (التداوليون) أن الافتراضات السابقة، ذات أهمية كبيرة في عملية التواصل والإبلاغ، والأقوال المضمرة... النمط الثاني من متضمنات القول وترتبط بوضعية الخطاب ومقامه، على عكس الافتراض السابق الذي يحدد على أساس معطيات لغوية"⁽¹⁾.

وقد قالت أوركويوني: "القول المضمّر، كتلة المعلومات التي يحتويها الخطاب، ولكن تحقيقها في الواقع يبقى رهن خصوصيات سياق الحديث مثل: "إن السماء ممطرة" يفهم المتلقي منه معاني منها: المكوث في بيته، الإسراع إلى عمله، الانتظار والترث حتى يتوقف المطر، اصطحاب مظلته عند الخروج، وهي تأويلات مفتوحة في ضوء تعدد السياقات والطبقات المقامية التي ينجز ضمنها الخطاب، والفرق بينه وبين الافتراض السابق أنّ الأول وليد السياق الكلامي، والثاني وليد ملايسات الخطاب."⁽²⁾

¹ - ينظر: محمود عكاشة، تحليل الخطاب في ضوء نظرية أحداث اللغة، دار النشر للجامعات، 2013، ص 230 (المهامش).

² - جورج لايكوف، اللسانيات ومنطق اللغة الطبيعي، تر: عبد القادر قنيني، دار أفريقيا الشرق، 1991، ص 33.

ثالثاً: الاستلزام الحواري **conversational implicature**: هو مما تنصب عليه اهتمامات التداولية بشكل خاص، ويعد لصيقاً بها، فالحوار عند غرايس يقتضي أن المتكلم يقول ما يقصد، ويقصد أكثر مما يقول، وقد يقصد عكس ما يقول، فهو يرمي إلى المعنى الصريح والمعنى المتضمن في الخطاب، وما يستلزمه الخطاب حتى لو لم يبده المتكلم مطلقاً، إذن مصطلح الاستلزام الحواري من وضع غرايس ضمن المقتضيات الدلالية، وهو "قريب مما سماه الأصوليون الدلالة الضمنية (دلالة الالتزام)، فالاستلزام مفهوم لساني قصدي يتغير بتغير ظروف إنتاج العبارة اللغوية، بيد أنه عند الغربيين لم يبلغ النضج في المفهوم والتطبيق مثلما بلغ في علم الأصول"⁽¹⁾، ومن أمثلة الاستلزام الحواري قول أحدهم: "وعدتك بالجائزة" فهذا القول قائم على افتراض سابق يفسره السياق اللغوي، الذي يفترض التفاوض السابق بشأن ما يقتضي نيل الجائزة، كالفوز بالمسابقة، أو النجاح في الامتحان مثلاً.

يعد الاستلزام الحواري من "أهم المفاهيم التي تقوم عليها التداوليات (pragmatics) وعلى الرغم من وجود تقارب بين هذين المفهومين، فإنّ هناك فوارق حاسمة دعت الفيلسوف الأمريكي غرايس Paul Grice واضع هذا المفهوم إلى اشتقاق مصطلح جديد من المصدر (implicate) ذاته، وتخصيص عملية الاستدلال التي تجري في التداول اللغوي باسم (implicature)، تمييزاً لها عن (implication) المتعارف عليها، وعليه يمكن القول إنّ هذا المفهوم لصيق بلسانيات الخطاب، التي أخذ معها البحث اللساني منحى متميزاً، إذ لم يعد الأمر معناه يعنى بوضع نظريات عامة لعملية الخطاب، وإنما انصب الاهتمام على العملية في حد ذاتها، ومن ثمة طرحت جملة من الأسئلة من مثل: هل الخطاب عملية تبنى على قواعد؟ ثم ما نوعية هذه القواعد؟ وما مصير عملية الخطاب (أو التخاطب) إذا لم يتم الالتزام بالقواعد المذكورة؟"⁽²⁾

¹ - محمود عكاشة، تحليل الخطاب في ضوء نظرية أحداث اللغة، مرجع سابق، ص 226.

² - العياشي ادراوي، الاستلزام الحواري في التداول اللساني، منشورات الاختلاف ودار الأمان، الرباط، 2011، ط 1، ص 17.

والاستلزام الحوارية يأخذ بعين الاعتبار كل الأبعاد المؤسسة لعملية التخاطب، لذا اقترح غرايس بعض المبادئ التي يجب أن تراعى في الخطاب ومنها:

- معنى الجملة المتلفظ بها من قبل متكلم في علاقته بمستمع.
- المقام الذي تنجز فيه الجملة.
- مبدأ التعاون (principle of cooperation).

وإجمالاً يعتبر الاستلزام الحوارية من أبرز الظواهر التي تميز اللغات الطبيعية، على اعتبار أنّ المعنى من الجمل ليس دوماً ما تعبر عنه الألفاظ في صيغها الصورية، أي المعنى الصريح للجمل، لكن هناك المعنى غير المصرح به، والذي نستشفه عن طريق التأويل والرجوع إلى ما سبق من الحوار أو التخاطب، وهذا ما يسمى بالمعنى المستلزم حوارياً.⁽¹⁾

رابعاً: الأفعال الكلامية speech acts: نظرية الأفعال الكلامية هي الأخرى تعد لصيقة بالدرس التداولي، وتتركز على كيفية استعمال اللغة وما تحدثه من أثر في المتلقي، واللغويون يجدون فيها الحلول لكثير من مشكلات الدلالة والتراكيب، وإضافة إلى هذا كله فالتداولية في بداياتها كانت مرادفة للأفعال الكلامية، ذلك لكون "اللغة - حسب أوستين - ليست مجرد وسيلة للوصف ونقل الخبر، بل أداة لبناء العالم والتأثير فيه، وعليه فموضوع البحث يتمحور بالأساس حول ما نفعله بالتعبير التي ننطق بها (أفعال الكلام)، بهذا يكون أوستين قد قدم نظرية بسط القول فيها عبر جملة محاضرات ومقالات ضمنها نظريته بخصوص الأفعال الكلامية التي خرجت تحت عنوان واحد هو كيف ننجز الأشياء بالكلمات، (How to do things with words)⁽²⁾ وهي نظرية مهمّة جداً في مجال التداوليات، سوف نتوسع فيها أكثر ضمن الفصل الأول من هذا البحث.

¹ - ينظر: المرجع نفسه، ص 18.

² - العياشي ادراوي، الاستلزام الحوارية في التداول اللساني، ص 77.

4-السلام والروابط الحجاجية:

إنّ السلام والروابط الحجاجية دوما تكون وليدة حقل حجاجي، وهي جوهر نظرية تتجلى في تراتبية منطقية للحجج، و"تقوم نظرية السلام الحجاجية على التدرج القائم بين الأقوال والحجج في علاقتهما بالنتائج، حيث إذا كانت مجموعة من الأقوال تمثل حججا تدعم نتيجة واحدة، فإنّ هذه الحجج تتفاوت من حيث قوتها"⁽¹⁾، وتحلي العلاقة المجازية فيما بين الدعوى والحجة لتجسيد علاقة منطقية تقريبا، وبالأدوات اللغوية، ليتمثل جوهر الفعل الحجاجي في تدافع الحجج وتفاوتها في القوة، تلك هي السلام الحجاجية⁽²⁾، ويعرفها طه عبد الرحمن بقوله: "أما قواعد السلم الحجاجي، فتنبني على مفهوم السلم الحجاجي وقوانينه، وتعريف السلم أنّه مجموعة غير فارغة من الأقوال مزودة بعلاقة ترتيبية ومستوفية للشروطين التاليين:

- كلّ قول يقع في مرتبة ما من السلم يلزم عنه ما يقع تحته، بحيث تلتزم عن القول الموجود في الطرف الأعلى جميع الأقوال الأخرى.

- كل قول في السلم كان دليلا على مدلول معين، كان ما يعلوه مرتبة دليلا أقوى⁽³⁾.

إذن فالترتيب هو ما يسمى بالسلم الحجاجي، ومن أبسط تمثيلاته ما يمكن أن يكتب عن حربي في البناء عندما يقدم عرضا عن إمكاناته في مجال حرفته، ولكن هذه الإمكانيات تتفاوت في درجة تعقيدها وصعوبتها، وكل درجة منها تقوم كحجة لإثبات الدرجة التي دونها، وهذا ما يشكل سلما منطقيا متدرجا يبين قدرات أو خدمات (عامر البنّاء)، تبينه الأقوال التالية:

ق1: عامر يتقن بناء الآجر.

ق2: عامر يتقن تلبيس وطلاء الجدران.

¹ عبد العالي قادا، بلاغة الإقناع دراسة نظرية وتطبيقية، مرجع سابق، ص 180.

² ينظر: عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجية الخطاب مقارنة لغوية تداولية، ج2، ص285.

³ طه عبد الرحمن، في أصول الحوار وتحديد علم الكلام، المركز الثقافي العربي، ط2، 2000، بيروت، ص105.

ق3: عامر يتقن التلبيس بالخزف.

ق4: عامر فني في البناء ومستلزماته.

فالأقوال ككلّ تشكل حججا للنتيجة "ن" والتي تمثل: "كفاءة عامر المهنية"، وهي مُرتبةٌ وفق درجات قوتها البيانية للمدلول، حيث يبدأ السلم بأقل درجة دلالية، وينتهي بأقواها درجة دالة على مهنية البناء عامر، فترتيب الدرجات منطقي، ومتفق مع مفهوم السلم الذي يتفاوت في درجاته، بحيث من يقف على الدرجة الأعلى لا بدّ أن يكون قد مرّ بالدرجات التي دونها، فلما نقول إنّ عامر (فني في البناء ومستلزماته) هذا يعني أنّه يتقن كل ما يتعلق بالبناء، وهي دلالة قوية، لذا كانت ضمن الدرجة الرابعة (ق4)، ومنها نستدل على أن (عامر البناء) يمكنه أن ينجز كل متطلبات الدرجات الأخرى (ق3)، (ق2)، (ق1)، لأنّ أبجديات تكوينه أرغمته على المرور بالدرجات المذكورة (كفنون مهنية) من أدناها إلى أعلاها، ومن أهم قوانين هذا السلم ثلاثة:

1- **قانون الخفض:** "إذا صدق القول في مراتب معينة من السلم، فإن نقيضه يصدق في المراتب الأدنى منه." وهذا معناه أن كل درجة متعلقة بالدرجة التي قبلها، وبالتالي صدقية القول الأدنى تستلزم صدقية القول الذي يليه، بمعنى: مادام عامر يتقن التلبيس بالخزف (ق3)، فهذا كافٍ وضروري بأنه يتقن ما دونه من الحرفة (ق2)، (ق1).

2- **قانون تبديل السلم:** "إذا كان القول دليلاً على مدلول معين، فإن نقيض هذا القول دليل على نقيض مدلوله." بمعنى لو قلنا بنقيض القول الأول (ق1): عامر يتقن بناء الآجر، أي: عامر لا يتقن بقاء الآجر، فإن ذلك يهدم تراتبية السلم، ويوحى بأن عامر لا يمكنه أن يتقن شيئاً.

3- **قانون القلب:** "إذا كان أحد القولين أقوى من الآخر في التدليل على مدلول معين، فإن نقيض الثاني أقوى من نقيض الأول في التدليل على نقيض المدلول." ⁽¹⁾، في هذه الحالة نجد أن أقوى قول في

⁻¹ ينظر: طه عبد الرحمن، مصدر سابق، 106.

سلمنا هو (ق4)، الذي يشير إلى أن (عامر فني في البناء ومستلزماته)، فلو نقضنا أدنى قول منه وهو (ق1)، فإنه نقيضه يصبح أقوى دلالة من نقيض القول القوي (ق4)، بالنسبة إلى المدلول (الكفاءة المهنية لعامر)، لأننا لوقلنا: عامر كفؤ، لأنه يتقن البناء بالآجر، وقلنا بتعبير آخر: عامر كفؤ، لأنه فني في البناء ومستلزماته، نكتشف أن التعبير الأول أضعف من الثاني، والثاني أقوى من الأول من حيث علاقته بالكفاءة المطلقة في مهنته، أي إن كان ولا بد أن ننفي قولاً من على السلم الحجاجي، فعلينا بالقول الأدنى (ق1)، وليس القول الأعلى (ق4)، حتى لا يحتل السلم الحجاجي ويبقى المدلول قائماً ومعقولاً في الوقت نفسه.

كما أنّ مفهوم السلم الحجاجي يرتبط أيضاً بمفهوم آخر ألا وهو الاتجاه الحجاجي والتراتبية الحجاجية القائمة على التفاضل فيما بين الحجج في حد ذاتها، بعيداً عن المخزون اللغوي المسخر لبناء الحجج، وبعيداً عن المنطق الفلسفي للأمر.

4-1 الروابط الحجاجية:

تتمثل الروابط الحجاجية في الأدوات اللغوية التي تربط بين القضايا الحجاجية، وترتيب درجاتها بوصف هذه القضايا حججاً ضمن الخطاب، ومن هذه الروابط التي تسمى في اللغة العربية أدوات: حتى، إذا، من، نافلة القول، لكن، بل، فضلاً عن، إنما، كما أن، وغيرها من الروابط، وهذه الروابط هي ما يسميه المناطقة باللفظ "وهو لفظ لا يدل بحد ذاته على أي معنى، وإنما من طبيعته أن يربط فقط بين الألفاظ المختلفة لتبيان العلاقات القائمة فيما بينها، وهو لا يصلح أن يكون موضوعاً ولا محمولاً في القضايا المنطقية، لأن الأصل في الحدود المنطقية هي أن تقبل الإخبار بها أو الإخبار عنها، وهو لا يقبل ذلك." (1)

¹ - نجم الدين القزويني، الشمسية في القواعد المنطقية، تح: مهدي فضل الله، المركز الثقافي العربي، ط1، الدار البيضاء، 1998،

ومن هذه الروابط أصناف كثيرة صنفها النحاة، وكل صنف له وظيفته كرابط لغوي يؤدي دوره في الربط بين جمل أو كلمات، ليقوم الجميع الحجة أو الحجج ضمن الخطاب، ونستطيع أن نسوق عينة من هذه الروابط في الجدول الآتي:

دورها الحجاجي	الروابط
روابط العطف	الواو-الفاء-ثم.
روابط الوصل	كما-أيضا-كذلك-بالإضافة إلى-أضف إلى ذلك.
روابط التمثيل	ومن ذلك-مثلا-وكما-شبيهه-نظير.
روابط الاستثناء	ماعدا-باستثناء-إلا-سوى.
روابط السببية	نتيجة ل-بسبب-لأن-لكي-من هنا-بناء على.
روابط التعليل	لذلك-ونخلص إلى-إذن-وهذا يؤدي إلى-نستنتج.
الترتيب والترتيب	أولا-ثانيا-وفي البداية-يليه-وفي النهاية.
الأثر والنتيجة	والنتيجة-وترتب على ذلك-والخلاصة-وأخيرا...

لا تقوم للجمل في اللغة العربيّة قائمة حجاجية، إلاّ بالوصل بينها بروابط حتى تتمكن من تأدية مدلولها؛ فلهذا تستخدم أدوات الرّبط لتكامل وتؤلف بين الجمل أو الفقرات، أو عند الدّخول إلى فكرة أو موضوع جديد، أو لتعليل وجهة نظرٍ ما وتوضيحها، أو عقد مقارنة بين شيئين والاختيار بينهما، وغيرها من المهام الأخرى التي تستوجب الاستعانة بأدوات الربط، لذا أسماها البلاغيون الجدد بالروابط الحجاجية.

وخلاصة للقول نلاحظ أنّه قد تمخض عن مفهوم الجدل الفلسفي منذ العهد اليوناني مفاهيم متعددة أخذت في التطور عبر العصور، وبين الأمم والحضارات، لتؤسس للدرس التداولي الذي تتفرع منه مجموعة من النظريات المتداخلة فيما بينها في شكل تكاملي، يرقى بالخطابة إلى أوجها، ويعطي للتواصل البشري بعدا علميا متطورا، لا سيما في مجال القيادة بكل أنواعها وأصنافها، وعلى رأسها القيادة السياسية، هذه النظريات التداولية التي تضم نظرية لأفعال الكلام، وأخرى، للحجاج وما يجري

في فلكهما من مفاهيم وتفصيل أثبتت أنه باللغة يمكننا أن ننجز الأشياء، وذلك في إطار التداولية اللسانية، وعليه إن التساؤل المطروح هنا هو:

- ما هي الأفعال الإنجازية وما معنى القوة الإنجازية، وما محدّداتها، وما العلاقة بينهما؟

وهو السؤال الذي يمكننا الإحاطة بحيثياته، ومحاولة إيجاد الإجابة المناسبة له من خلال مباحث الفصل الأول، من هذه الدراسة.

الفصل الأول:

القوة الإنجازية في اللسانيات التداولية:

- نظرية الأفعال الكلامية.
- القوة الإنجازية للفعل الكلامي مميزاتها وضوابطها.
- العلاقات الدلالية للأفعال الإنجازية.

عرفت الدراسات التي تناولت علم اللغة مجموعة من المراحل والمحطات التاريخية حتى وصلت إلى ما هي عليه اليوم من النضج والتطور، فالباحث في علم اللغة يجد أنّ اللسانيات التداولية قد أسست لنفسها نظريات قوية تقوم عليها لا يمكن بعدها أن توصف بمكان يصفها به بارهيلل Y.Barhillel (سلّة مهملات اللسانيات)، أو بمكان يُعتقد فيها من أفكار خاطئة، بل هي اليوم اتّجاه معرفيّ خصب، وتعدّ هذه النظريات الروافد أو الفروع الأساسية لللسانيات التداولية وهي أربعة⁽¹⁾: الرّافد الأوّل هو نظريّة ميخائيل باختين Mikhail Bakhtine التأويلية، فباختين حسب تودوروف T.Todorov من المؤسسين الحداثيين للتداولية من خلال اهتماماته بالنطق الاجتماعي وهيكله الشكل والمعنى اللغوي حسب السياق، وآرائه المحددة حول هذه المواضيع التي تتعلق بشكل أكثر وضوحًا بالأدب البراغماتي المعاصر⁽²⁾، أمّا الرّافد الثاني فيتمثل في التداولية الفلسفية التي استندت إلى فلسفة إيمانويل كانط E.Kant ومنظور لودفيغ فتجنشتاين L.Wittgenstein الذي تناول فيه شروط إمكان المعرفة في إطار التواصل إذ "أصبحت اللغة لديه صورة عن الحياة وأداة للفعل والتأثير حيث يصرّح: إنني لا أقول بدون اللغة ما كنّا نستطيع أن نتصل ببعضنا البعض فقط، بل أقول أيضًا بدون اللغة ما أمكننا أن نوثّر في غيرنا من الناس على هذا النحو أو ذلك..و لم يكن ليتمكننا إقامة أو وضع الطرق وبناء الآلات..."⁽³⁾، والرّافد الثالث نظرية التحادث لبول غرايس P.Grice، التي فرّق فيها بين الدلالة الوضعية الطبيعية لما ننطق به

¹ - ينظر: جون لانغشو أوستين، الفعل بالكلمات، تر: طلال وهبة، هيئة البحرين للثقافة والآثار، المنامة، 2019، ص7.

² - "Bakhtin's concerns with the socially-situated utterance and with the structuring of linguistic form and meaning by context, and his specific views on these subjects, relate much more obviously to the contemporary literature of pragmatics." Trevor Pateman, NOTES AND DISCUSSION, journal of literary semantics, vol.18, no.3, 1989, p203,

<https://doi.org/10.1515/jlse.1989.18.3.203>.

³ -جواد ختام، التداولية أصولها واتجاهاتها، دار كنوز المعرفة، الأردن، 2016، ص37.

وبين الدلالة غير الطبيعية أو ما سمّاه بالاستلزام الحوارية القائم على مبدأ التعاون، أمّا الرافد الرابع فهو نظرية أفعال الكلام لأوستين J.Austin والتي سنسبب فيها الحديث ضمن هذا الفصل حتى نستجلي مكان القوة الإنجازية المتضمنة في هذه النظرية.

1- نظرية الأفعال الكلامية:

تعد نظرية الفعل الكلامي Speech Act Theory، -أو كما يطلق عليها كذلك نظرية الحدث الكلامي، أو نظرية الحدث اللغوي، وأيضا النظرية الإنجازية- جزءا من اللسانيات التداولية Pragmatics، وخاصة خلال نشأتها التي مرت بمرحلتين أساسيتين: مرحلة التأسيس مع أوستين J.L.Austin ومرحلة النضج والضبط المنهجي مع تلميذه سيرل J.R.Searle - اللذان ينتميان إلى مدرسة أوكسفورد الإنجليزية- ثم تلتهما في المجال نفسه بعض النظريات المعاصرة كاللسانيات التوليدية التحويلية ولسانيات النص، إذ حاولت كل منهما التعديل في نظرية أفعال الكلام من أجل إدخالها في إطارها العام، وإخضاعها لطرائق التحليل فيها، ومن رواد هذا العمل كاتز katz في اللسانيات التوليدية، وموتش Motsch وفيهجر Viehweger بالنسبة لللسانيات النص. (1)

ونظرية الأفعال الكلامية من النظريات التداولية التي أثارت اهتماما واسعا لدى الباحثين في مجالات عديدة (لسانية، فلسفية، نفسية، أدبية نقدية...) (2) إذ حاولت البحث في اللغة أثناء الاستعمال أو التواصل ضمن سياق محدد، وقد تثبتت مقولة (مالينوفسكي

¹- ينظر: محمود أحمد نحلة، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، دار المعرفة الجامعية، 2002، ص59.

²- Look: Stephen C.Levinson, Pragmatics, Cambridge University Press, 1983, p226.

(B.Malinowski): "إنّ اللغة أسلوب عمل وليست توثيق فكر" الحجر الأساس للنظرية⁽¹⁾، وذلك انطلاقاً من كون الملفوظات تجمع بين التقرير والأداء، وترتبط بالسياق الذي تقال أو تنجز فيه، ومن هنا نجد الاهتمام قائم على أنّ الجمل تنطق ضمن موقف معين لا يجب إغفاله "ويعود مصطلح الأفعال الكلامية إلى (بوهلر 1934م) الذي قصد به الاقتضاء الموافق للكلام، ومع ازدهار تحليل الملفوظ (كبنية للبحث) تبناه رواد التداولية وعلى رأسهم (أوستن 1962م) فأكسبه المدلول الحالي".⁽²⁾

كما أنّ الدافع من وراء الدراسات الفلسفية للغة-في مرحلة سابقة-لم يكن تواصلياً ولا دلالياً، بقدر ما كان بحثاً عن كيفية عمل الذهن في تصوره للعالم، ولهذا السبب توجه القائمون على تلك الدراسات الفلسفية نحو دراسة المركبات الخيرية باعتبارها المركبات الوحيدة التي تعبر عن تصور الذهن للعالم، وقد اتسمت تلك الدراسة باتخاذها صياغة صورية للقضايا، تفسر على ضوءها التركيبات اللغوية المتداولة في اللغات الطبيعية، مع ما يتصف به العديد منها بالغموض، الذي اعتبر فيما بعد غموضاً جوهرياً لا يمكن تمثيله في اللغة الاصطناعية، ومن بين الفلاسفة اللذين تبناوا هذا الاتجاه:⁽³⁾ فريجه Frege ورسل Russel وفتجنشتاين Wittgenstein (في مرحلته الفكرية الأولى)، "فقد أصرّ فلاسفة الوضعية المنطقية على أنّ العبارات التجريبية هي فقط العبارات ذوات المعنى، وحذفوا كل ما عداها من عبارات من دائرة المعنى بحجّة أنّنا لا نجد لها من وقائع العالم ما تطابقه"⁽⁴⁾، وظلّ هؤلاء الفلاسفة لفترة طويلة

¹ - ينظر: مؤيد آل صوينت، التداولية قراءة في النشأة والمفهوم، ضمن كتاب التداولية في البحث اللغوي والأدبي والنقدي، سلسلة الآن، مؤسسة السياب، لندن، 2012، ص 42.

² - المرجع نفسه، ص 42.

³ - ينظر: طالب السيد هاشم الطبطبائي، نظرية الأفعال الكلامية بين فلاسفة اللغة المعاصرين والبلاغيين العرب، مطبوعات جامعة الكويت، 1994، ص 1.

⁴ - صلاح إسماعيل عبد الحق، التحليل اللغوي عند مدرسة أكسفورد، دار التنوير، بيروت، لبنان، 1993، ص 135.

جدًا يفترضون أنّ "التصريح" لا يمكن إلاّ أن "يصف" حالة معيّنة في الواقع، أو "يصرّح بحقيقة ما"، ويكون بذلك التصريح إمّا صواباً وإمّا خطأ⁽¹⁾، إذ كانت مسائل أو قضايا الصواب والخطأ لديهم ذات أهمية مركزية و قيود صارمة في تحليل معنى العبارة، والعبارة التي لا يمكن إخضاعها للتحليل المنطقي الصوري أي لا يمكن الحكم عليها بالصواب والخطأ أو الصدق والكذب بناءً على قابلية تلك العبارة للتحقق هي عبارة لا معنى لها (meaningless)⁽²⁾، ويُحکم عليها بأنها عبارة زائفة (pseudo-statements).

غير أنّ تياراً آخر من الفلاسفة المهتمين باللّغة برز لاحقاً، وقام بتحليل اللّغة الطبيعية (العادية) منفصلة عن الاصطناعية الصارمة (اللغات العلمية) والمنطقية الصورية، منهم: ستراوسن P.Strawson، هارت Hart، رايل G.Ryle وفتجنشتين Wittgenstein الذي ثار على أفكاره السابقة بما سمّاه ألعاب اللّغة، وأيضاً بتحقيقاته الفلسفية تحت شعار "المعنى في الاستعمال"⁽³⁾، وكذا أوستين J.L.Austin من خلال محاضراته التي نشرت بعنوان: "**How to do things with words**" كيفية عمل الأشياء بالكلمات⁽⁴⁾، ذلك أنّ "استعمال اللغة ليس هو إنجاز فعل مخصوص فقط، وإنما هو جزء كامل من التفاعل الاجتماعي، فأنساق اللغة هي أمور متواضع عليها، إذ هي لا تنظم ضروب التأثير والتأثر الاجتماعي فحسب، وإمّا

¹ - "It was for too long the assumption of philosophers that the business of a "statement" can only be to "describe" some state of affairs, or to "state some fact", which it must do either truly or falsely" J.L.Austin, How To Do Things With words, Oxford University Press, 1962, p1.

² -Look: Stephen C.Levinson, Pragmatics, ibid, p227.

³ - Ibid, p227.

⁴-ينظر: طالب سيد الطبطبائي نظرية أفعال الكلام بين فلاسفة اللغة المعاصرين والبلاغيين العرب، مرجع سابق، ص 1.

مقولات تلك الأنساق وقواعدها تنمو وتتطور تحت تأثير بنية التفاعل داخل المجتمع⁽¹⁾، ويشير أوستين في محاضراته محتجا على أصحاب الفلسفة الوضعية المنطقية أنّ هناك بعض الجمل التقريرية في اللغة العادية (Ordinary Language) لا تمت بصلة للنظرية الوضعية المنطقية، بل هي على العكس منها تماما حيث إنّها لا تصف واقعة معينة ولا يمكن الحكم عليها بالصدق أو الكذب، إذ يبدو أنّها تشكل فئة خاصة كقول أحدهم: (أراهنك بستة دولارات على أنّها ستمطر غدا)⁽²⁾ وانطلاقا من هذه البحوث في فلسفة اللغة العادية-أو الطبيعية-بنى أوستين نظريته الأفعال الكلامية.

كما تجدر الإشارة إلى أنّ نظرية الأفعال الكلامية خرجت من رحم اللسانيات التداولية، التي استفادت هي الأخرى من النظرية السياقية حيث "قامت هذه النظرية على مفهوم السياق الذي حدده أصحابه في أنّه: (الوحدات التي تسبق أو تعقب وحدة معينة)، أو (مجموعة الظروف الاجتماعية التي تؤخذ بعين الاعتبار لدراسة العلاقة الموجودة بين الظواهر اللغوية والاجتماعية، وتعرف بالسياق الاجتماعي للاستعمال اللغوي، أو سياق الحال Contexte de situation)، وهذا هو المبدأ العام الذي انطلقت منه هذه النظرية في تفسير الأفعال اللغوية"⁽³⁾، فتوافر المعرفة السياقية للنص المطروح بين المخاطب والمخاطب ضروري إذ إنّها مفتاح الفهم للألفاظ المتداولة بينهما⁽⁴⁾، لأنّ المخاطب يبني قصده ويتلفظ بالمعنى الذي سبكه في ذهنه على أساس المقام الذي يوجد فيه بأدق تفاصيله، حيث يقول أوستين: من الأهمية بمكان أخذ

¹ - فان ديك، النص والسياق، ترجمة عبد القادر قنيني، إفريقيا الشرق، 2013، المغرب، ص 289.

² - Look: Stephen C. Levinson, Pragmatics, ibid, p228.

³ - صلاح الدين ززال، إرصاصات التداولية في التراث اللغوي العربي، مجلة الأثر (البوابة الوطنية-Asjp)، مج 12 ع 10، ص 61.

⁴ - ينظر: عبد الملك مرتاض، تداولية اللغة بين الدلالية والسياق، مجلة اللسانيات (البوابة الوطنية-ASJP)، مج 10 ع 10، ص 76، 77.

مقام التكلم ككل بالحسبان، ويرد في نفس الصدد قائلاً أيضاً: لتتفق على أنه يجب أن تتوفر لي جميع ظروف المقام حتى أنجح بالتصريح بشيء ما.⁽¹⁾

ونظرية الأفعال الكلامية تبلورت أيضاً من خلال القوة الفعلية للكلمة، حيث "انطلق أرباب المذهب البراغماتي من فكرة أنّ الإنسان حين يتحدث فهو ينتج فعلاً"⁽²⁾، وعلى هذا الأساس جاء عنوان كتاب أوستين كيف ننجز الأشياء بالكلمات؟ حيث نجده يؤكد هذه الفكرة بقوله: "إنّ قول الكلمات هو في الواقع حدث بل وحتى الحدث الرئيس في أداء التصرف (الفعل) مثل: الرهان"⁽³⁾ وبذلك يصبح فعل الكلمة أو فعل القول أشد تأثيراً على المتلقي من الكلمة في حد ذاتها أو الجملة أو العبارة، أو الصوت (الملفوظ)، وذلك بالأثر الذي يتركه في نفسية المتلقي والتي ستدعن بلا شك حسب قوة الكلمة ومقصدتها وسياقها والأسلوب الذي قيلت به، وعليه فإن "فعل الكلام يشكل نواة التواصل وأساس تطور اللغة وتجدها لأنه يمتلك قيمة تعبيرية انطلاقاً من جمل محددة، لأن مصدر نهاة اللغة طريقة استخدامها وهدفها"⁽⁴⁾، أي أنّ نظرية أفعال الكلام تأخذ نقطة انطلاقها من القناعة التالية: الحد الأدنى لوحدة التواصل الإنساني ليس الجملة ولا أي تعبير آخر بل هو إنجاز (أداء) أنواع معينة من الأفعال⁽⁵⁾ حيث تستعمل أفعال الكلام عن طريق مواقف تعبيرية مختلفة حسب سياق التلفظ، ضمن أساليب إنشائية أو خبرية، كالأمر، الطلب، النهي، الإنكار، الاعتذار، التمني، الاستفهام وغيرها من المواقف.

¹ – "It is important to take the speech-situation as a whole. ", "Let us agree that all these circumstances of situation have to be in order for me to have succeeded in stating something." J.L.Austin, How to do things with words, ibid, p137, p139.

² – سامي كليب، البراغماتية القولفعلية في تحليل أفعال الخطاب السياسي، مرجع سابق، ص 137.

³ – جون لانغشو أوستين، الفعل بالكلمات، تر: طلال وهبة، هيئة البحرين للثقافة والآثار، المنامة، 2019، ص 35.

⁴ – سامي كليب، البراغماتية القولفعلية في تحليل أفعال الخطاب السياسي، مرجع سابق، ص 138.

⁵ – Françoise Armengaud, la pragmatique, PUF, 5^{eme} edition, 2007, p77.

إذن مفهوم الأفعال الكلامية مفهوم تداولي منبثق من الفلسفة التحليلية بما أنجزته من بحوث ودراسات، واحتوته من مناهج وتيارات وقضايا تخص اللغة، ومن أولئك الفلاسفة أوستين الذي عرّف ووصف ثلاثية أساسية حول ماذا نفعل عند استعمالنا للغة؟ فهو يرى أنّ الفعل الكلامي ينقسم إلى ثلاث فئات: فعل لفظي وآخر غرضي أو إنجازي وثالث تأثيري⁽¹⁾، ومنه "أصبح مفهوم الفعل الكلامي نواة مركزية في الكثير من الأعمال التداولية، وفحواه أنّ كل منطوق ينهض على نظام شكلي دلالي إنجازي تأثيري، ويعد نشاطا ماديا نحويا، يتوسل أفعالا قولية، لتحقيق أغراض إنجازية، (كالطلب والأمر والوعد والوعيد...) وغايات تأثيرية تخص ردود فعل المتلقي (كالرفض والقبول) ومن ثم فهو يطمح أن يكون ذا تأثير في المتلقي-اجتماعيا أو مؤسساتيا- ومن ثم إنجاز شيء ما"⁽²⁾.

وبالعودة إلى ما خلص إليه الفيلسوفان ج.ل. أوستين و ج. سيرل حول هذا المفهوم اللغوي الجديد " فإنّ الفعل الكلامي يعني التصرف الإداري الذي ينجزه الإنسان بالكلام، فهو من ثم الإنجاز الذي يؤديه المتكلم بمجرد تلفظه بملفوظات معينة، ومن أمثلته: الأمر، والنهي، والوعد، والسؤال، والتعيين، والإقالة، والتعزية، والتهنئة... فهذه كلها أفعال كلامية"⁽³⁾، و ليست مجرد دلالات ومضامين لغوية، إنما هي أغراض تواصلية ترمي إلى صناعة أفعال وسلوكات مؤسساتية أو اجتماعية أو فردية بالكلمات، والتأثير في المخاطب، بحمله على ترك شيء أو فعله، أو دعوته

¹ - "the philosopher John Austin recognized and described a fundamental trichotomy among the things we do when we use language. According to Austin, linguistic acts fall into three categories, which he called "locutionary," "perlocutionary," and "illocutionary" acts." Look: J.M.Sadock, toward a linguistic theory of speech acts, Academic press, 1974, p8.

²-علي محمود حجي الصراف، الأفعال الإنجازية في العربية المعاصرة، مكتبة الآداب، 2010، الكويت، ص22.

³ - مسعود صحراوي، الأفعال الكلامية عند الأصوليين، مجلة الدراسات اللغوية، مج6 ع2، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، سبتمبر 2004، ص 199.

إلى ذلك، أو تقرير حكم من الأحكام، أو توكيده، أو التشكيك فيه، أو نفيه، أو وعد يقدمه المتكلم للمخاطب، أو تهديده أو الاتفاق معه بإبرام عقد أو فسخه وما إلى ذلك، فمن منظور نظرية أفعال الكلام، لا يمكن أن تكون اللغة مجرد أداة للتواصل والتعبير عما في الفكر، وإنما هي أداة أبلغ من ذلك، فهي تساهم في تغيير العالم وصناعة أحداثه والتأثير في حثياته.⁽¹⁾

ومن بين المحاولات الجديرة بالذكر هنا محاولة الهولندي هانسون Hansson، الذي اشتغل هو الآخر على التداولية حيث قام بتقسيمها إلى ثلاث درجات: تداولية الدرجة الأولى التي تدرس الرموز الإشارية ضمن ظروف استعمالها، وتداولية الدرجة الثانية التي تُعنى بدراسة طريقة التعبير عن القضايا في ارتباطها بالجملة المتلّظ بها، ثم تداولية الدرجة الثالثة وهي نظرية أفعال الكلام التي تقوم على معرفة ما تمّ من خلال استعمال بعض الأشكال اللسانية⁽²⁾، وأولت هذه المحاولة الأهمية للأفعال ذات الامتداد الاجتماعي المنجزة من قبل الإنسان بمجرد تلقّظه بمجموعة من الأقوال ضمن سياقات محددة، أمّا المؤسس ج.ل. أوستين فيرى أنّ الوظيفة الأساسية للغة غير كامنة أساساً في إيصال المعلومات والتعبير عن كوامن النفس، بقدر ماهي مؤسسة لتكفل بتحويل الأقوال إلى أفعال، إذا صدرت ضمن مقام يسمح بذلك، فهو ينطلق في تفسير نظريته تلك من الفكرة السابقة التي تعتبر أنّ كلّ الأقوال يمكن إخضاعها لمعيار الخطأ والصواب، ويرى نتيجة لذلك أنّ هنالك أساليب وتعايير لغوية لا يمكن وصفها بأنها خاطئة أو صائبة، بل إنّنا حينما نتلفظ بها نكون قد أنجزنا في الوقت نفسه فعلاً اجتماعياً، سماه أوستين بالفعل الكلامي.⁽³⁾

¹ - ينظر: مسعود صحراوي، الأفعال الكلامية عند الأصوليين، مرجع سابق، ص 200.

² - ينظر: فرانسواز أرمينكو، المقاربة التداولية، تر: سعيد علوش، مركز الإنماء القومي، 1986، بيروت، لبنان، ص 38.

³ - عمر بلخير، نظرية الأفعال الكلامية وإعادة قراءة التراث العربي، ضمن كتاب مقالات في التداولية في الخطاب، دار الأمل للنشر، 2013، تيزي وزو، ص 128.

كما في قول القاضي: فتحت الجلسة، فيُتَرَّ جميع من في القاعة بذلك ليسود الصمت إلا من صوت القاضي أو من يطلب منه القاضي أن يتكلم.

وقد يتكون الفعل الكلامي أو الحدث الكلامي من لفظة واحدة لا غير، أو جملة كاملة، تقتضي المعرفة اللغوية وكذلك الاستعمال المناسب لها مثل: القول (تبا لك) قول مشحون بالإنكار والدعاء بالخيبة والخسران وربما حتى الهلاك، الفعل المترتب عنه يترك أثرا فظيحا في نفسية المتلقي خاصة وأن هكذا قول لا يستعمل إلا في حالة تدمير القائل من تصرف قام به المتلقي أدى إلى هذا الرد السيء، أما الفعل المنشود هنا هو النهي عن العودة إلى هكذا تصرف، أو مثل القول: (مرحبا، أهلا وسهلا) الذي يزرع الطمأنينة والأنس ويبعد الوحشة والارتياح عن نفسية المتلقي، ويعطي انطبعا حسنا ومقبولا عن قائله، هذا الأثر، أما الفعل المراد إنجازه هو: الدعوة إلى التقرب والجلوس ورفع الحرج.

أما في حال كون الفعل الكلامي جملة مثل جملة القسم: (أقسم بالله العظيم) ففعلها عظيم كونها تستعمل في المحاكمات بطلب من القضاة تجاه المشتبه فيهم أو الشهود، لإثبات جرم مرتكب أو إنكاره، في حال ضعف الدلائل، أو تستعمل كذلك عند تنصيب أي مسؤول في منصبه، رئيسا أو وزيرا أو قاضيا أو واليا، تنبيها لهم عن صون الأمانات، وخدمة الوطن والمواطن، دون تجاوز مشين أو خيانة للأمانة، وفي جملة القسم إثبات على ثقل وصعوبة المسؤولية، وفي حال ارتكاب خروقات يتحمّل العقاب المترتب على الخطأ المتعمد، وفي قوة الفعل في جملة القسم يكمن البعد الاعتقادي للمجتمع المتدين، وفيها دلالة على الخوف من الخالق سبحانه وتعالى والامتثال لأوامره ونواهيه التي تعد أدبيات المسؤولية جزء منها، ذلك لكون الحلف بالله حق، وعلى صاحبه الالتزام بما حلف عليه، أو الكفارة إن كان أخل به.

ولا يخفى على المهتمين بنظرية الأفعال الكلامية، أنّ لأوستين وسيرل جهود كبرى في بعث هذه النظرية إلى الوجود، لذلك سنبسّط الكلام عن أسس وتفصيل هذه النظرية من خلال جهودهما في هذا المجال.

1-1. جهود أوستين في دراسة أفعال الكلام:

قبل التطرق إلى الجهود التي بذلها رائد نظرية أفعال الكلام -إن صحّ القول- وما لها من أهمية كبرى في كنه الوضعيات التواصلية بين بني البشر، لابدّ من الإشارة إلى أن فلاسفة المنطق منذ العهد اليوناني كانوا قد صالوا وجالوا في أقسام الكلام وما تتمخض عنه من قضايا، فميزوا الصيغة الخبرية عن غيرها من الصيغ الأخرى، التي ألحقها أرسطو بقسم البلاغة، كالأمر والنهي والتمني والاستفهام والتعجب، وكل ما ينضوي دون الأساليب الإنشائية وما لها من عظيم الأثر في الفعل التواصلية، وما تستطيع أن تقدمه من حجة وإقناع⁽¹⁾، أما في العصر الحديث فقد تناول **Kant** على سبيل المثال الصيغة الخبرية، التي أثبت أنّ هناك أنماطا منها لا تقبل الصدق والكذب، وأنها بالتالي تخرج من مجال المنطق والفلسفة، وقد شكل نقد كانط منطلقا آخر لاتجاه منطقي وضعي في القرن العشرين أكد على فرز وإخراج جزء كبير من الجمل ذات الصياغة الخبرية التي لا تقبل الصدق والكذب مع أنها جمل ذات معنى⁽²⁾، فنحن بهذا نشير إلى أنّ فكرة تصنيف الكلام وتقسيمه ضاربة بجذورها في القدم، إلا أن أوستين إنماز عن من سبقه بجهود سيكون هذا المبحث عارضا لها.

فمن خلال جهود الفلاسفة الذين سبق ذكرهم كانت انطلاقة أوستين **Austin** ومن عاصره، فتجنشتاين **Wittgenstein**، ورايل **G.Ryle**، إذ لاحظوا غموض وعدم

¹ - ينظر: أرسطوطاليس، الخطابة الترجمة العربية القديمة، تحقيق عبد الرحمن بدوي، دارالقلم، 1979، ص 10.

² - ينظر: طالب سيد الطبطبائي نظرية أفعال الكلام بين فلاسفة اللغة المعاصرين والبلاغيين العرب، مرجع سابق، ص 3.

جدوى الفلسفة التقليدية القديمة، بسبب تبنّيها للغة المثالية، فهي تختلف عن التفلسف باللغة الطبيعية العادية، التي تتسم بالوضوح والبساطة، وتفتح أبواباً ظلت موصدة في الفلسفة التقليدية، ففي نظرهم البراغماتية في أمسّ الحاجة للغة اليومية العادية منها إلى اللغة القديمة الوضعية المنطقية، وهكذا كان للمنهج الذي سلكه فلاسفة مدرسة أوكسفورد فضلاً كبيراً في إفادة درس البراغماتية وما تفرع عنه من أقسام بعد ذلك⁽³⁾، لا سيما البراغماتية اللغوية.

وبعدما تبلورت لدى أوستين فكرة الأفعال الكلامية، ذهب إلى أنّ دراسة المعنى لا بد أن تنأى عن التراكيب اللغوية المعزولة عن سياقها، لأنّ اللغة عموماً تستعمل داخل سياق الكلام لتأدية الكثير من الوظائف فحينما نتكلم فنحن نقدم نصائح، وندلي بوعود، ونحذر من محظورات، ونوجّه دعوات، ونبدي مطالب وما إلى ذلك، فاللغة مؤسسة تقوم بترجمة الأقوال الصادرة ضمن معطيات سياقية إلى أفعال، ذات صيغة فردية معينة أو صيغة اجتماعية، فحينما يقول المعلم لتلميذه: الزم مكانك، فهنا القول يتضمن فعلاً مفاده (لزوم التلميذ مكانه)، ومثال الثانية: كقول مدير مؤسسة أثناء اجتماعه بعناصره: (فتحت الجلسة)، يكون قد أنجز فعلاً اجتماعياً هو (افتتاح الجلسة وبداية سيرها).⁽⁴⁾

عمد أوستين إذن إلى دحض التصوّر المنطقي الوضعي -السابق الذكر- من خلال دراسته للغة العادية، مرجعاً الفضل في ذلك إلى الفيلسوف كانط، الذي كان أول من فرّق بين التصريحات وأشباه التصريحات بطريقة منهجية، فبالإضافة إلى تصنيفات الجمل المتعارف عليها عند النحويين التقليديين المتمثلة في: الجملة التقريرية (الخبرية) (Declarative)، والجملة الاستفهامية (Interrogative) والجملة الطلبية (الأمرية) (Imperative)، قام أوستين بتقسيم ما عُرف

³ - ينظر: جوتس هنده لانج، مدخل إلى نظرية الفعل الكلامي، تر: سعيد حسن بحيري، زهراء الشرق، 2012، مصر، ص 16.

⁴ - ينظر: مؤيد آل صوينت، التداولية قراءة في النشأة والمفهوم، مرجع سابق، ص 43.

بالجملة الخبرية⁽⁵⁾ لدى الوضعية المنطقية إلى جملة تقريرية (وصفية)⁽⁶⁾ (Constative)، وجملة إنشائية (أدائية) (Performative)، ثم راح يضع معالماً لهذا التصنيف حيث بيّن بأنّ العبارات لا تخضع لمعيار الصواب أو الخطأ فقط مثلما كان يعتقد أرباب الفلسفة الوضعية المنطقية، كما أنّ العبارات الخاضعة لمعيار الصواب أو الخطأ ليست كلها ضروب وصف لذا نجد أوستين يحدّد استخدام مصطلح "تقريبي" (constative) بدل "وصفي" إذ يقول هنا: "لقد تبين أنّ عدداً من الكلمات المستعملة في تصريحات وصفية على ما يظهر، لا تُستخدم لتشير إلى سمة خاصة إضافية في الواقع الذي تبلغ عنه، إنّما تشير (لا تبليغ) إلى الظروف التي أدلي فيها بالتصريح، أو إلى تحفّظات بشأنه، أو إلى الطريقة التي يجب تناوله بها، وما إلى ذلك، ويسمّى التغاضي عن هذه الاحتمالات عادة مغالطة وصفية (descriptive fallacy)⁽⁷⁾، "وليست كلّ التصريحات الصحيحة أو الخاطئة ضروب وصف، لذلك أفضل أن أستخدم كلمة تقريبي"⁽⁸⁾، إذ تبين له أنّ هناك مقولات تصريحية:⁽⁹⁾

- لا تصف ولا تسرد ولا تؤكد أيّ شيء، فهي ليست صادقة أو كاذبة، كقول أحدهم: أقبّل
أن تكون هذه المرأة زوجتي.

⁵- ينظر: طالب السيد هاشم الطبطبائي، نظرية الأفعال الكلامية بين فلاسفة اللغة المعاصرين والبلاغيين العرب، ص4.
⁶- المقصود بالجملة التقريرية في أول الفقرة الجملة الخبرية ويقابلها في لغة البحث الأصلية (declarative) كما يقابلها في كتاب أوستين (How to do things with words) كلمة تصريحات (Statements)، أما الجملة التقريرية الثانية فالمقصود بها الوصف الذي معياره الصدق أو الكذب، لكن أوستين يرى أنّ التصريحات الصحيحة أو الخاطئة ليست كلها ضروب وصف لذا يفضل كلمة تقريبي بدل وصفي ويقابلها في اللغة الإنجليزية (Constative).
⁷- جون لانغشو أوستين، الفعل بالكلمات، مصدر سابق، ص29.
⁸- «Not all true or false statements are descriptions, and for this reason I prefer to use the word (Constative)» Austin, (1962) ibid, p3.

⁹- ينظر: جون لانغشو أوستين، الفعل بالكلمات، مصدر سابق، ص31.

- النطق بالجملة والتلفظ بها هو نفسه إنجاز للفعل أو لجزء منه، يقول: "فأداء الجملة هو في حدّ ذاته قيام بالعمل (إنجاز) أو بجزء منه ولا يمكن وصفه في المعتاد بأنه قول شيء ما، أو بأنه لا يعدو كونه كذلك"⁽¹⁰⁾، مثل قول أحدهم: أراهنك بكذا أنها ستمطر غدا.

ففي هذين المثالين يبدو جليا أنّ نطق الجملة والتلفظ بها في المقام المناسب لا يصف قيامي بما يجب أن يقال إنني أفعله عندما أتلفظ بها، ولا هو إخبار عن القيام بهذا الفعل، بل هو فعل أقوم به لدى تلفظي به، كما أنّ المثالين ليسا صحيحين أو خاطئين، لأنّه حين القبول بالزواج المتكلم لا يخبر عن حصول الزواج إنّما يشارك فيه⁽¹¹⁾، وكذا عند المراهنة المتكلم لا يخبر بأنه يراهن بل يقوم بفعل تعاقدى مع مخاطبه مفاده أنّه سيتلقى مقابلا لصالحه إذا سقط المطر غدا فإن لم يحدث ذلك خسر ما راهن لأجله لصالح مخاطبه (هذا إن وافق المخاطب على الرهان طبعا)، فمن

هنا يتّضح لنا أنّ ما قام به المتكلمان ليس وصفا لما قاما به ولا إخبارا عمّا فعلا بل هو مشاركة في حدث والقيام بفعل.

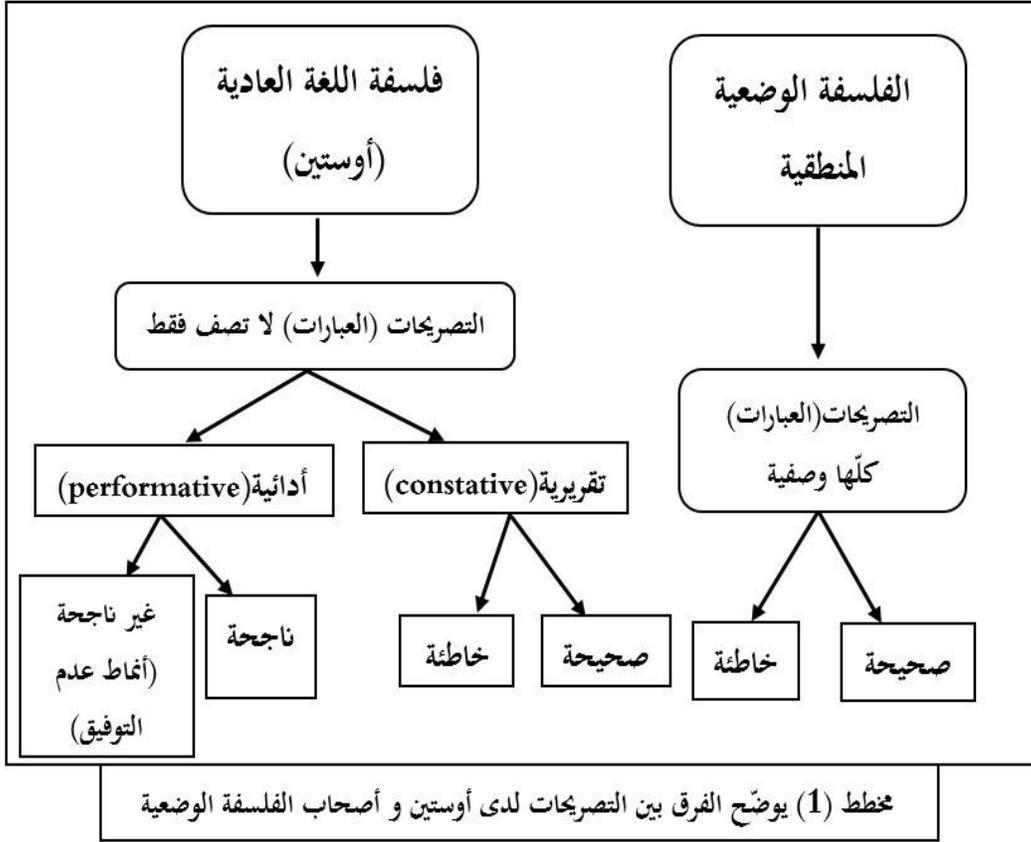
ومنه يقترح أوستين تسمية المقولات التي تنجز فعلا ولا تصف ولا تسرد، ولا تكون صادقة أو كاذبة، بالمقولات الأدائية (performative)، مبرّرا ذلك بأنها أفضل تسمية وأقصر وتشكيلها أسهل وأكثر التزاما بالتقاليد⁽¹²⁾، وبما أنّ المقولات الأدائية ليست واصفة ولا تنطبق

¹⁰ - جون لانغشو أوستين، الفعل بالكلمات، مصدر سابق، ص 31.

¹¹ - J.L.Austin,(1962) ibid, pp 5,6.

¹² - « what are we to call a sentence or an utterance of this type? I propose to call it a performative sentence or a performative utterance, or, for short, a performative » ibid, p6.

عليها قاعدة الصدق والكذب، عمد إلى وصفها بالناجحة أو غير الناجحة، ثم نجده يعلل للمقولات الأدائية غير الناجحة بأنماط عدم التوفيق⁽¹³⁾، أي أنها تعرّضت لاختراق أو انتهاك جعلها مقولة أدائية غير ناجحة، والترسيمة التالية المستنبطة من الكلام السابق قد تجعله أكثر وضوحاً:



1-1-1. معايير تمييز المقولة الأدائية (performative):

أوجد أوستين معايير تميّز المقولة الأدائية عن غيرها، ويدعوها بأنماط عدم التوفيق (infelicities)، فلكي تنجح المقولة الأدائية يرى أوستين أنّه لا بدّ من توفر شروط معينة،

¹³ - ينظر: جون لانغشو أوستين، الفعل بالكلمات، مصدر سابق، ص 9، 10.

والإخلال بها يدخلنا في أنماط عدم التوفيق وبالتالي تصبح المقولة الأدائية غير ناجحة ، حيث يقول: "النبدأ بتركيز انتباهنا في مسألة ذكرناها سابقا بشكل عرضي هي الظروف المناسبة، فالمرهنة ليست مجرد الإدلاء بكلمات مثل (أراهن أن...)، فقد يعلن المراهن عن الرهان بعد انتهاء السباق، وهنا لا يقع الرهان، فبالإضافة إلى الإدلاء بالكلمات الأدائية-أي التي تنجز الفعل-هناك أمور كثيرة يجب أن تكون صحيحة، وتتم بشكل صحيح لكي ننجح بإتمام الفعل المقصود"⁽¹⁴⁾ وهذه الأمور الكثيرة التي يجب أن تكون صحيحة هي ما اصطلاحنا عليه في البداية بالشروط وهي كالتالي:⁽¹⁵⁾

(أ-1): لا بدّ من وجود تديير اصطلاحي مقبول له نتيجة اصطلاحية، ويتضمّن الإدلاء بكلمات معيّنة، يقولها أشخاص معينون في ظروف معيّنة.

(أ-2): لا بدّ من أن تكون الظروف والأشخاص المعينون في الحالة المعيّنة مناسبين لاعتماد التديير المعتمد.

(ب-1): لا بدّ من أن ينقّد التديير جميع المشاركين بشكل صحيح.

(ب-2): وكامل.

(ت-1): عندما يكون التديير-كما في الغالب-مُعَدّاً ليستخدمه أشخاص يملكون أفكارا ومشاعر فلا بدّ أن يملك حقًا هؤلاء المشاركون الذين يعتمدون التديير هذه الأفكار والمشاعر ويجب أن يتصرفوا على هذا الأساس.

(ت-2): ولا بدّ بالتالي أن يتصرفوا على هذا الأساس.

¹⁴ - جون لانغشو أوستين، الفعل بالكلمات، ص 41.

¹⁵ - ينظر: المصدر نفسه، ص 41-42.

فإذا تحققت هذه الشروط الست يمكن الحكم على نجاح المقولة الأدائية أمّا إذا اختل شرط أو أكثر من هذه الشروط فستكون مقولتنا الأدائية غير ناجحة، وبالمثال التالي قد تتضح الصورة أكثر:

لنأخذ مثال الزواج (في الديانة النصرانية) ونطبّق عليه: إذا لم يلتزم المعني بالزواج بكل أو أحد الشروط الأربعة الأولى (أ-أو-ب) كأن لم يُدَلِّ بالصيغة الصحيحة (أقبل) أو لم يكن في منزلة تتيح له القيام بالتصرّف المقصود مثل أن يكون متزوجا سابقا (لأن التعدد في النصرانية غير موجود) عندها يكون أداء التصرّف المقصود غير ناجح ولا يتم ويعدّ إخفاقا للمقولة الأدائية، أمّا في الحالتين (ت) فيتم التصرّف لكنه يكون غير صادق، ويسيء المتكلّم فيه استخدام التدبير فلا ينوي الوفاء بوعدّه ويعدّ هذا انتهاكا للمقولة الأدائية. (16)

وبالتالي فإذا لحق الإخلال في المقولات الأدائية الشروط (أ أو ب)، بحيث لا يتم فيها الإداء بالصيغة الكلامية المعدّة لتناسب مع أداء تصرّف معيّن، أو لم ينقذ التصرّف الأشخاص المعنيون به، أو تمّ تنفيذه في غير ظروفه المناسبة أو بطريقة غير صحيحة أو غير مكتملة، فإنّ هذا الإخلال يعتبر إخفاقا (misfire) والفعل الإنجازي أو التصرّف هنا لاغٍ وباطل، أمّا إذا لحق الإخلال الشرطين (ت1 أو ت2)، كعدم الصدق (insincerity) في الأفكار أو المشاعر أو النوايا مثل قول أحدهم لزميله: أهنتك بنجاحك، لكنّه لا ينوي ذلك في قرارة نفسه ولا يفرح له بل يتمنى له الفشل، فإنّ هذا لا يمنع تحقيق الفعل الإنجازي لكنّه يعتبر انتهاكا (abuse)، أي أنّ الفعل متحقّق لكن فيه ثغرات. (17)

¹⁶ - ينظر: جون لانغشو أوستين، الفعل بالكلمات، ص 42.

¹⁷ - ينظر: المصدر نفسه، ص 43.

إذن لتكون مقولة أدائية معيّنة ناجحة، لا بدّ من أن تكون بعض التصريحات صحيحة، فقولني أعدك يستلزم بأن تكون أشياء كثيرة على حال معيّنة، وفق دلالة معيّنة.⁽¹⁾

بعدما بدا لنا أنّ أوستين قد وضع معايير للتفريق بين المقولات التقريرية وأخرى الأدائية، باعتبار أن الأولى تخضع لمعيار الصواب والخطأ، والثانية تخضع لمعيار النجاح أو عدم النجاح، نجد أنه يصرّح بأنّ هذا التمييز معرّض للانهايار، لأنّه من الممكن أن يصيب نمط النجاح أو عدمه التصريحات (الجمل التقريرية) أو بعضها، كما من الممكن أن يصيب نمط الصحة والخطأ المقولات الأدائية أيضاً أو بعضها، مثلاً إذا قلت: "أحدرك، إنّ الثور يستعد للهجوم" والثور لا يستعدّ للهجوم، فهل نقول هنا أن التحذير لاغٍ، وندرجه بذلك ضمن المقولات الأدائية غير الناجحة؟ لا، بل نقول إنّ التحذير كان خاطئاً، وبالتالي فقد اتصفت المقولة الأدائية بالخطأ وليس بعدم النجاح⁽²⁾، فهو يعدّ هذا المعيار غير متّصف بالدقة في تمييز المقولات الأدائية عن التقريرية.

لذا نجد أوستين يتساءل حول ما إذا كانت هناك طريقة دقيقة تمكّننا من حسم التمييز بين المقولات الأدائية وتلك التقريرية، وعلى وجه الخصوص ما إذا كان يوجد معيار نحوي أو معجمي يميّز المقولة الأدائية⁽³⁾، ولكي يرسو على تمييز واضح ودقيق نلفيه " يناقش معايير نسق المركّب الفعلي وزمن الفعل والضمير المستخدم، وإمكان اعتبارها قرائن على أنّ المقولة أدائية"⁽¹⁾،

¹ - جون لانغشو أوستين، الفعل بالكلمات، ص 76.

² - ينظر: المصدر نفسه، ص 87.

³ - « We must ask : is there some precise way in which we can difinitely distinguish the performative from the constative utterance ? » Austin, (1962) ibid, p55.

أدائية"⁽¹⁾، حيث حاول إيجاد معيارين أساسيين يستطيع من خلال أيّ منهما أن يحدد الجملة الأدائية من غيرها.

المعيار الأول: اشتمال الجملة على فعل بصيغة المضارع مسندا إلى ضمير المتكلم المفرد،
مثل:

- أحذركم من الفوضى أثناء غيابي.

هذه جملة خبرية من صنف أدائي performative، وذلك في مقابل الجملة التي لا تشتمل على هذه الصفات، كخُلُوّها من صيغة المضارع المبني المعلوم، أو من ضمير المتكلم المفرد، مثل:

- لقد شرفتمونا بنجاحكم.

فهذا النوع من الجمل هو جمل خبرية وصفية لا تفيد الإنشاء (الأداء) لأنه لا يترتب عن قائلها فعل.

ويوضّح أوستين هذا المعيار بقوله: "ما نريد قوله هو أنّ أيّ مقولة تعتبر أدائية، يجب أن يكون من الممكن اختزالها أو توسيعها أو تحليلها أو إعادة صياغتها، لتتخذ شكل مقولة تحوي فعلا مع ضمير المتكلم المفرد متصرفا في الزمن الحاضر وفق النسق التقريري المبني للمعلوم، وبذلك تكون خارجا معادلة لأعلن خروجك، ومذنبا معادلة لأجرك مذنبا"⁽²⁾

المعيار الثاني: اشتمال الجملة على فعل مبني للمجهول مسندا لضمير المخاطب أو الغائب.

¹ - جون لانغشو أوستين، الفعل بالكلمات، مصدر سابق، ص11.

² - جون لانغشو أوستين، الفعل بالكلمات، ص95،94.

مثل: أنت تُحظر من الحديث أمام الجمهور.

هذان المعياران رصدهما أوستين لتميز المقولات الأدائية من غيرها، والجمل الأدائية لديه هي كل جملة تقبل تقييما خاصا بها، يخالف التقييم الذي يحكم به على الجملة التقريرية، كما سبق القول. (1)

لكن بعد التجربة والإجراءات الميدانية تبين لأوستين أن يعيد النظر فيما كان قد رآه من قبل بخصوص المعيارين اللذين رصدهما لتصنيف الجملة الخبرية إلى أدائية وتقريرية، بناء على وجود صيغة الفعل المضارع المسند إلى ضمير المتكلم المفرد، أو صيغة الفعل المبني للمجهول بضمير المخاطب أو الغائب، حيث "يبين أن ليس من قرينة نحوية تدلّ بشكل حاسم على أنّ المقولة (الجملة) أدائية"⁽²⁾ إذ ثبت له أنهما شرطان شكليان وليسا معيارين جامعين مانعين، "وأقرّ أنه لا توجد معايير نحوية أو معجمية مطلقة تمنحنا كفاية وصفية وتفسيرية ناجعة في تمييز الإنجازيات (الجمل الأدائية) عن طريق الشكل/الصيغة"⁽³⁾، بل هناك صيغ مخالفة تماما وتشكل جملا أدائية، كما أنّ هناك صيغ مطابقة تماما ولا تشكل جملا أدائية.

مثلا: 1- سأكون ممتنا لكم. 2- أنا أقر أن الأرض كروية.

فالجملة الأولى مع تحقيقها للمعيار الأول إلا أنها ليست أدائية لكونها تقبل التصديق أو التكذيب ولا يترتب عنها فعل حقيقي واضح.

بينما الجملة الثانية فيراد بها كروية الأرض وهي الأخرى تحتمل الصدق والكذب ولا يترتب عنها فعل حقيقي واضح، وكلاهما يكون خبرا (تقريبا) لا إنشاء (أداء).

¹ - ينظر: طالب السيد هاشم الطبطائي، نظرية الأفعال الكلامية بين فلاسفة اللغة المعاصرين والبلاغيين العرب، ص 6.

² - جون لانغشو أوستين، الفعل بالكلمات، مصدر سابق، ص 11.

³ - ثروت مرسي، في التداوليات الاستدلالية، كنوز المعرفة، الأردن، 2018، ص 179.

لذا نجده يقرّ بصعوبة التمييز بين المقولات التقريرية والأدائية، إذ يقول: أشرنا إلى أنّ المقولات الأدائية لا تتميز بأجمعها بشكل جليّ من المقولات التقريرية، واقترحنا معايير يمدّنا بها النحو أو مخزون المفردات، أو كلاهما، وتبيّن لنا قطعاً أن لا وجود لمعيار واحد مطلق من هذا النوع، وأنّ وضع قائمة بجميع المعايير الممكنة يبدو أمراً ممتنعاً، ومن المؤكّد أنّ معايير من هذا القبيل لن تصلح للتمييز بين المقولات الأدائية وتلك التقريرية، إذ إنّ من الشائع استخدام الجملة نفسها أدائية أو تقريرية في مناسبات إدلاء مختلفة.⁽¹⁾

1-1-1-1. المقولات الأدائية الصريحة والضمنية (الأولية):

لقد حاول أوستين أن يتدارك إشكالية المعايير المميّزة للمقولات الأدائية، وذلك بتقسيمه للمقولات الأدائية إلى قسمين هما: مقولات أدائية أولية (Performatives Primary)، مثل: سأكون هناك، ومقولات أدائية صريحة (Explicit Performatives) مثل: أعدك بأنني سأكون هناك، ففي المقولة الثانية يظهر ما هو الفعل الذي يتم أدائه عند إصدار المقولة "سأكون هناك"، فالمقولة وعد من دون أي لبس، أما في المقولة الأولى "سأكون هناك"، لا يظهر الفعل الذي يتم أدائه بالتحديد حيث يحقّ لنا التساؤل: "هل هذا وعد؟"، ويمكن أن نتلقى الإجابة: "نعم أعد بذلك"، كما يمكن أن تكون الإجابة: "لا، لكنني أنوي أن أكون هناك"، حيث لا يظهر بالتحديد ما تحمله المقولة من عزم (قوة إنجازية)، فهي تصلح لاستعمالات معيّنة، وبهذا فالإظهار الصريح ليس مثل الوصف أو التصريح، لأنّه يبرز قوة وعزم المقولة ويجعله أوضح.⁽²⁾

فالمقولات الأدائية الصريحة تكون فيها بنية القول اللغوية شاملة للعناصر الدالة على الأداء، وهي تتحقق بإسناد الفعل الدال على الزمن الحاضر إلى ضمير المتكلم المفرد، أما المقولات غير

¹ - ينظر: أوستين، الفعل بالكلمات، مصدر سابق، ص 101.

² - ينظر: المصدر نفسه، ص 103، 106.

المباشرة أو الأولية، فتحقيق الأفعال فيها يتوقف على عوامل معينة من السياق اللغوي والحال أو وضعية التبليغ، ويسمى أوستين الأفعال الأدائية الأولية للفعل الإنجازي الصريح، إن الفعل الأولي للقول: أمرك بفتح النافذة، هو افتح النافذة، وأحدرك من شراسة الكلب، هو احذر شراسة الكلب، والصيغة اللغوية الدالة على هذه الأفعال هي صيغة الأمر. (56)

وحاول من خلال هذا التصنيف إعداد قائمة تضم كل الأفعال الأدائية الصريحة، لكنه تبين له أنه ليس من السهل في أغلب الأحيان التأكد من أنّ مقولة ما، أدائية أو غير أدائية، حتى عندما تحوي صيغة أدائية صريحة، بحيث هناك مقولات تبدأ بـ: "أصرّح بأنّ"، وتفي بمتطلبات المقولة الأدائية، غير أنّها تكون أيضا تصريحاً (إخباراً) وتخضع لمعيار الصحة أو الخطأ. (57)

وفي خضم محاولات أوستين لإيجاد معايير ثابتة تميز بين المقولات التقريرية والأدائية، كذلك بين المقولات الأدائية نفسها (الصريحة والضمنية) - حيث أقر بصعوبة ذلك-، عاد بنا إلى البداية بقوله: "ها قد آن أو ان إعادة صياغة المسألة، نريد إعادة النظر في دلالات قولنا إنّ قول شيء ما قد يكون فعل شيء ما" (58)، ورأى بعودته تلك إلى البداية، أنّ الفعل الكلامي ينطوي على ثلاثة أفعال مختلفة هي:

2-1-1-1. الأفعال اللفظية Locutionary acts:

يعرفها أوستين بقوله: "إنّ قول شيء ما هو -بالمعنى الاعتيادي التام- فعل شيء ما، ويتضمّن الإدلاء بصوت ما، بكلمات ما، في تركيب ما، يصحبها (معنى) ما، وفق دلالة ما وإرجاع

⁵⁶ - ينظر: عمر بلخير وآخرون، تصنيف أفعال الكلام في الخطاب الصحافي الجزائري المكتوب باللغة العربية، ضمن كتاب مقالات في التداولية والخطاب، دار الأمل، تيزي وزو، 2013، ص 167.

⁵⁷ - ينظر: المصدر نفسه، ص 128.

⁵⁸ - ينظر: محمود أحمد نحلة، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، مرجع سابق، ص 67.

ما" (59)، -والإرجاع هنا يستند على المعرفة المتوافرة في أثناء الإدلاء بالمقولة- (60)، أي أنّ الفعل اللفظي هو ما يُصوّتُ به المتكلّم وفق القواعد اللغوية المعروفة، ويكون هذا التصويت ضمن تركيب معين، يرصفه المتكلم حتى يقف على دلالة معينة يقصدها، أو هو بالأحرى "النطق بأصوات لغوية ينتظمها تركيب نحوي صحيح ينتج عنه معنى محدّد هو المعنى الحرفي أو الأصلي المفهوم من التركيب وله مرجع يحيل إليه" (61)، والأفعال اللفظية هي القاعدة الأساسية والأولى التي تسمح لنا بإنتاج عبارات لسانية مفهومة.

3-1-1-1. الأفعال الإنجازية (الغرضية) Illocutionary acts:

غالباً نحن لا ننتج أقوالاً مصاغة جيداً دون غرض، بل نحن نصوغ أقوالاً تؤدي وظيفة عند الاستعمال، يمكن أن نسميها الأفعال الإنجازية كما نجد لها تسمية أخرى عند بعض الباحثين وهي الفعل المتضمّن في القول، كتقديم عرض أو وعد أو تحذير أو طرح سؤال أو إعلان حكم أو توجيه انتقاد...، وتنطوي هذه الأفعال على قوة إنجازية (Illocutionary Force) أثناء استعمالها (62)، فالمقولة الإنجازية حسب أوستين هي المقولة التي -تتبع صيغ اصطلاحية محدّدة نوعاً ما- تتسم بقوة إنجازية ترتبط أساساً بمقاصد المتكلّم، ولا بدّ هنا من إدراك المتلقي لما تحمله

⁵⁹ - جون لانغشو أوستين، الفعل بالكلمات، مصدر سابق، ص 131.

⁶⁰ - المصدر نفسه، ص 189.

⁶¹ - محمود أحمد نحلة، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، مرجع سابق، ص 68.

⁶² - "Mostly we don't just produce well-formed utterances with no purpose. We form an utterance with some kind of function in mind. This is the second dimension, or the illocutionary act. The illocutionary act is performed via the communicative force of an utterance. We might utter to make a statement, an offer, an explanation, or for some other communicative purpose. This is also generally known as the illocutionary force of the utterance." George Yule, Pragmatics, oxford university press, 1996, p48.

المقولة من عزم أو قوّة حتى يتمّ الفعل الإنجازي⁽⁶³⁾، فعبارة: ستمطر، تتضمّن قوة الخبر، كما يمكن أن تتضمّن قوة التحذير، إذا كان الأمّ تعلق الملابس في الفناء، كما لها قوة الأمر، إذا كان الأطفال يلعبون في الخارج، وهكذا، تتغيّر قوتها حسب التأويلات الممكنة لهذه العبارة وحسب السياق وظروف المقام.

إذن مفهوم الفعل الإنجازي يقوم على (الغرض) الذي يُرادّ التعبير عنه، وإنجازته من خلال النطق أو التلفظ بقول معين، ويكون الفعل متضمّنًا لقوّة إنجازية ما، كما يحرص على تأمين إيصال المقصود منه، بحيث يوصل ما يقصده المتكلّم للسامع، ويكون نافذ التصرف، أي أنّه يحدث جراء النطق به أثرًا، ويستدعي ردًا، فإذا قال الرئيس "أعيّن بموجب السلطة التي منحني إياها الشعب عمرا واليا على مدينة كذا"، فالفعل أعيّن، أوصل مقصد الرئيس للمعنيين، كما أنّه نافذ التصرف بحيث أصبح عمر واليا، ويستدعي ردًا من المعنيين وهو طاعة أوامر عمر والامتثال لقراراته وتعليماته.

4-1-1-1. الأفعال التأثيرية Perlocutionary acts:

بالطبع لا يُصدر المتكلّم ببساطة كلامًا مع وظيفة (إنجازية) دون أن ينوي أن يكون له تأثير، فهذا هو البعد الثالث، في تحليل أوستين لأبعاد الفعل الكلامي، الفعل التأثيري. فاعتمادًا على الظروف أو بالأحرى السياق، سوف يُصدر المتكلّم كلامًا بافتراض أنّ المستمع سيتعرف على التأثير الذي كان يقصده المتكلّم⁽⁶⁴⁾، أي أنّه يسعى من خلال توجيهه لكلام معين ضمن مقام معين إلى إحداث تأثير أو تأثيرات فكرية أو شعورية أو جسدية على جمهور معين يستمع

⁶³ - جون لا نغشو أوستين، الفعل بالكلمات، مصدر سابق، ص 16.

⁶⁴ -Look: George Yule, Ibid, p48-49.

إليه⁽⁶⁵⁾، أي أنّ الفعل التأثيري يروم إقناع الآخر أو قبوله بأمر ما أو ارتداعه عنه، كأن يحقق فعل التهديد غاية التراجع عن التصرف الذي سبب التهديد كما يوقع الخوف في نفس المهتدّد، ومن خصائص الفعل التأثيري أنّه قد يتم بوسائل غير لغوية⁽⁶⁶⁾، كالتلويح بعصا أو إشهار مسدّس أو تعذيب شخص آخر أمام المراد تخويله ...

وندرج هنا مثلا نوضّح من خلاله هذه الأفعال الثلاثة ضمن فعل كلامي واحد: إذا سمعت شخصا يصرخ: "شخص يطلق النار في الشارع، شخص يطلق النار في الشارع" فالفعل اللفظي هنا هو الهيئة التركيبية لهذه الجملة بأصواتها التي نُطقت بها وبتركيبها النحوي الصحيح، وبمعناها الحرفي الذي يقرر وجود شخص يطلق النار في الشارع ومرجعه وجود شخص يطلق النار في الشارع فعلا، والفعل الإنجازي هو ما يقصده المتكلّم بهذا القول وهو: التحذير من هذا الشخص الذي يطلق النار، أمّا الفعل التأثيري هو ما يخلفه هذا القول فيك من أثر، قد يكون الهرب نحو مكان آمن أو الفرع أو الاتصال بالمصالح المعنية التي تستطيع السيطرة على هذا الشخص...⁽⁶⁷⁾

2-1-1. تصنيف أوستين للأفعال الإنجازية:

لقد حاول أوستين أن يصنف الأفعال الكلامية حسب قوتها الإنجازية، ووفق الصيغة المخصصة التي تشتمل عليها الإنشائيات والتي يأتي على رأسها التوصيف المعياري: " أن يكون الفعل مضارعا مبنيا للمعلوم ومسندا إلى ضمير المتكلم المفرد" مثل قول المعلم لتلامذته: اكتبوا الدرس، واحفظوه جيدا. أي كل ما نسميه في اللغة العربية أفعال الأمر والطلب، بالإضافة للعودة

⁶⁵ - Look: Stephen C. Levinson, Ibid, p236.

⁶⁶ - أوستين، الفعل بالكلمات، مصدر سابق، ص159.

⁶⁷ - ينظر: محمود أحمد نحلة، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، مرجع سابق، ص68.

إلى الفهم اللغوي الخالص متمثلاً بالقاموس اللغوي لفهم ما يراد منها حسب القاعدة التي سلف ذكرها: أن يقال كذا يعني (أن يفعل) كذا. (68)

نعتبر الآن أننا نحتاج إلى قائمة بعزائم (قوة) الأفعال الإنجازية التي يمكن أن تحملها المقولة، لذا "أميّز بين خمس فئات عامة (لست راضياً عنها كلّها بالمقدار نفسه)" (69)، وهذه الأصناف هي:

1-1-2-1. المقولات الحُكْمِيَّة (أفعال الأحكام) **Verdictives**: (70)

المقولات الحُكْمِيَّة أو أفعال الأحكام، أو الحكميات، تختص بأنّها تورد حُكماً-كما تدلّ عليه التسمية-تعلنه هيئة محلّفين أو وسيط صلح أو حُكْم أي أنها تصدر عن سلطة معترف بها رسمياً أو سلطة أخلاقية أو طرف ذي صفة مؤسّساتية (71)، لكن ليس من الضروري أن تكون دوماً نهائية وإلزامية، وهي بشكل أساسي تبيّن أمر يتعلّق بشيء ما، وإعلانه بهدف التقويم أو إظهار الوقائع، أي أنّها تستند على البيّنات والعلل، فهي تصرّف قضائي. ومن الأفعال الحُكْمِيَّة: حُكْم، بَرَأ، جَرَم، أدان، تبيّن بالأدلة، احتسب، رأى من منطلق قانوني...

مثال في السياق: لقد برأ القاضي حارس المؤسسة الذي اتهم بسرقة العتاد، وحُكِم على من رآه الشهود يسرق بالحبس والتغريم.

⁶⁸ - ينظر: طالب السيد هاشم الطبطبائي، نظرية الأفعال الكلامية بين فلاسفة اللغة المعاصرين والبلاغيين العرب، مرجع سابق، ص 10.

⁶⁹ - « I distinguish five more general classes but I am far from equally happy about all of them.» Austin, (1962) ibid, p150.

⁷⁰ - ينظر: أوستين، الفعل بالكلمات، مصدر سابق، ص 198-199.

⁷¹ - ثروت مرسي، في التداوليات الاستدلالية، مرجع سابق، ص 181.

فالفعل برأ يجسد نقلة فعلية للمتهم من قفص الاتهام إلى أفق الحرية، والفعل اتهم يجسد نقلة فعلية من أفق الحرية إلى قفص الاتهام والضيق حتى يثبت براءته، أما الفعل حكم فهو فعل حُكمي للحد من حرية المتهم وإكراهه بدنيا وماليا نظير ما ارتكب من فعل مخالف.

1-1-2-2. مقولات الممارسة (الأفعال التنفيذية) **Exercitives**: (72)

هي كل الأفعال الكلامية التي تبين ممارسة الحق، واتخاذ قرار لمصلحة مسار فعل معيّن أو ضده، أو للدفاع عن فعل، إنّها تبينّ لما يجب أن يكون عليه شيء ما، ويرى أوستين أنّ هذه الفئة واسعة جدًا، ولها القوة في فرض واقع جديد⁽⁷³⁾ مثل: الانتخاب، التعيين في المنصب (عَيّن فلان، سُمّي فلان، نُصّب فلان)، إصدار القرارات، أو عكسه تماما مثل: العزل، الاستقالة من المهام (استقال فلان، تخلى فلان، أعلن فلان)، فينتج منها أنّ آخرين قد يصبحون (مكرهين) على القيام بتصرّفات معيّنة، أي أنّها مُلزّمة، وهو قرار أكثر منه حكم، أي أنّه تصرّف تشريعي وتنفيذي مثل: يصوّت، ينتخب، يقترح، يختار، يأمر، يقرّر، يُشرّع...

1-1-2-3. المقولات التعهدية (الوعديات) **Commissives**:

هي التزام المتكلّم مسار فعل معيّن مع إشهار نواياه وإعلانها⁽⁷⁴⁾، أي أنّها كل "الأفعال الكلامية التي تؤسس لدى المتكلم إلزامية القيام بعمل ما معترف به من قبل المخاطب، إنّ المتكلم بتفوهه بكلام يؤسس به وجوب القيام بمحتوى قوله، ويحمل المخاطب على الاعتراف

⁷² - ينظر: أوستين، الفعل بالكلمات، مصدر سابق، ص 201.

⁷³ - عمر بلخير وآخرون، تصنيف أفعال الكلام في الخطاب الصحافي الجزائري المكتوب باللغة العربية، مرجع سابق، ص 169.

⁷⁴ - ينظر: أوستين، الفعل بالكلمات، مصدر سابق، ص 204.

بهذه الإلزامية⁽⁷⁵⁾، مثال ذلك: القسم، الرهان، التعهد، الضمان، العزم، النية، الوعد ومن سياقات ذلك: (أعاهدكم أن الوضع سيتغير مستقبلاً...) أو (أضمن لكم أن حقوقكم ستأخذونها...) أو (أنا عازم بأن آخذك معي أثناء العودة...) أو (نويت إشراكك معي في سفري) أو (أعدكم أن أمنحكم جوائز قيمة إن فزتم بالمقابلة...).

1-1-2-4. المقولات السلوكية (أفعال السلوك) Behabitives:

"تتضمن المقولات السلوكية بالعادة مفهوم ردّة الفعل على سلوك الآخرين وعلى ما يحصل لهم، وكذلك اتخاذ موقف ممّا فعله أو سيفعله آخرون، والتعبير عن ذلك الموقف"⁽⁷⁶⁾ فهي أفعال كلامية تشكل مجموعة متباينة ترتبط بالسلوك الاجتماعي للمتكلم، وهي التي تحمل المتكلم على إبداء شيء من المجاملات أو اتخاذ موقف منصوص عليه في القول إزاء المخاطب بألفاظ مخصوصة⁽⁷⁷⁾ منها (الاعتذار، التهئة، التعزية، الشكر، الهجاء، الذم، المدح، الوداع، التوبيخ، التبريك، وغيرها...) أمثلة عن السلوكيات: (عذرا سيدي الكريم / المعذرة سيدي الكريم/ أعتذر لسيادتكم...) أو (أهنئكم بالفوز الذي احرزتموه/هنيئا لكم الفوز) أو (شكرا لكم/ أشكركم/ الشكر موصول لكم).

⁷⁵ - عمر بلخير وآخرون، تصنيف أفعال الكلام في الخطاب الصحافي الجزائري المكتوب باللغة العربية، مرجع سابق، ص169.

⁷⁶ - أوستين، الفعل بالكلمات، مصدر سابق، ص206.

⁷⁷ - ينظر: عمر بلخير وآخرون، تصنيف أفعال الكلام في الخطاب الصحافي الجزائري المكتوب باللغة العربية، مرجع سابق، ص170.

1-1-2-5. المقولات التفسيرية (التبيينات) Expositives:

وتدعى أيضا أفعال الإيضاح أو العرض "تستخدم في تصرّفات الإيضاح التي تنطوي على عرض وجهات النظر وتوسيع البراهين وتوضيح الاستعمالات وضروب الإرجاع"⁽⁷⁸⁾، فهي مجموعة من الأفعال الكلامية التي توضح علاقة أقوالنا بالمحاجة والمحادثة الراهنة، التي تدخل في علاقة مع ما يقوله المتكلم عند الحديث عن طريق الحجاج⁽⁷⁹⁾، مثل: الإثبات والتأكيد والنفي والوصف والتعريف والتأويل والشرح والتوضيح، أمثلة عن التبيينات: (...وفي هذا الصدد أعرف الفعل الكلامي وأشرح دوره بعد ذلك...)

ويجمل أوستين أصناف القوى الإنجازية للأفعال الكلامية في التالي: "خلاصة الأمر أنّه يمكن القول إنّ المقولات الحكمية هي ممارسة لإطلاق الأحكام، وإنّ مقولات الممارسة هي إثبات تأثير أو ممارسة لسلطة ما، وإنّ المقولات التعهدية هي افتراض وجود إلزام أو إعلان عن نيّة ما، وإنّ المقولات السلوكية هي تبني موقف، وإنّ المقولات التفسيرية هي توضيح علل ما، أي برهنة وإبلاغ."⁽⁸⁰⁾

كما ينبغي التنبيه إلى ما أشار إليه أوستين من تداخل هذه الفئات فيما بينها، بفعل السياق الذي قد يحوّل المقولات السلوكية إلى مقولات تعهدية وهكذا، بحيث ينطبق التداخل على جميع الفئات، "والملاحظ أيضا أن هذا التقسيم لم يحظ بالإجماع، فسيرل لم يقتنع بهذا التصنيف نظرا للغموض الذي وقع فيه أوستين لأنه لم يحدد معالم كل مجموعة؛ فما أخذ على تصنيف أوستين

⁷⁸ - أوستين، الفعل بالكلمات، مصدر سابق، ص 208.

⁷⁹ - ينظر: عمر بلخير وآخرون، تصنيف أفعال الكلام في الخطاب الصحافي الجزائري المكتوب باللغة العربية، مرجع سابق، ص 170.

⁸⁰ - أوستين، الفعل بالكلمات، مصدر سابق، ص 210.

أنه يفترق إلى أسس ثابتة وواضحة، ما عدا المجموعة الخامسة التي استعمل فيها أوستين مفهوم الغاية الكلامية كقاعدة لتحديدها. " (81)

لكن هذا لا ينفي أهمية ما قام به أوستين وجهوده في سبيل إرساء أسس نظرية أفعال الكلام، بل له كلّ الفضل في ذلك، "فقد أثارت نظرية أفعال الكلام مع أوستين انتباه الدارسين إلى وجود طبقة من الأفعال التي لا يمكن أن تتحقّق إلاّ بواسطة اللّغة"⁽⁸²⁾، فحتّى لو انتقد أعماله من جاء بعده، تبقى هذه طبيعة العلم، إذ لا يقف عند نقطة معيّنة بل يتطوّر بفضل النقد ومحاولة بلوغ الأصلاح والأفضل دوماً.

2-1. جهود (سيرل J.Searle) في دراسة أفعال الكلام:

أثناء بحثنا ضمن أعمال سيرل حول نظرية أفعال الكلام نجده يطرح سؤالاً قد يتبادر لذهن أي باحث، وهو "لماذا ندرس أفعال الكلام؟"، إنّ هذا السؤال يهزّ أركان ما قمنا ببنائه سابقاً، ويجعلنا نشكّك فيما ذهب إليه أوستين، وقد يعيدنا إلى نقطة الصفر، لكنّه ما يلبث أن يزيل هذا التشكيك، بالإجابة عنه بقوله: سبب تركيز الدراسة على أفعال الكلام بكلّ بساطة يكمن في أنّ كل تواصل لغوي ينطوي على أفعال لغوية، وأنّ إنتاج أو إصدار جملة ما تحت شروط معينة هو فعل كلامي، والأفعال الكلامية هي الوحدات القاعدية أو الصغرى للتواصل اللغوي⁽⁸³⁾، فهذا الطرح يؤكّد لنا أنّ أوستين بنى أرضية جيّدة لنظريته، بحيث لا غنى لنا عن دراسة أفعال الكلام في اللّغة وما يحيط بها، باعتبار الفعل الكلامي هو الوحدة الأساسية للتواصل اللساني.

⁸¹ - عمر بلخير وآخرون، تصنيف أفعال الكلام في الخطاب الصحافي الجزائري المكتوب باللغة العربية، مرجع سابق، ص170.

⁸² - François reanatti, Les énonces performatifs, Edition de minuit, 1987, p18.

⁸³ - Look: J.Searle, speech acts an essay in the philosophy of language, Cambridge University Press, 1969, p16.

كما يسعى سيرل لتبيان أنّ دراسة دلالات الجمل ودراسة الأفعال الكلامية ليسا اتجاهين متنافرين، فكما أنّه جزء من تمثّلنا لمفهوم معنى الجملة أن يكون نطقها الحرفي بدلالة معينة في سياق معين إنجازا لفعل كلامي، فإنّه كذلك جزء من تمثّلنا للفعل الكلامي أن يكون هناك جملة محتملة يكون قولها في سياق ما بفضل ما لها من دلالة إنجازا لذلك الفعل الكلامي، لذا هما اتجاهان متكاملان يطرحان مقاربتين بحثيتين إحداهما: "كيف تحدّد دلالات العناصر في جملة ما دلالة الجملة برمتها؟" والأخرى: "ما هي أصناف الأفعال الكلامية التي ينجزها المتكلّمون حين يقولون عبارات؟" (84) وانطلاقا من هذه الفرضية تمكن سيرل من المساواة بين قواعد أداء الأفعال الكلامية وقواعد نطق بعض العناصر اللغوية، فبما أنّ لكل فعل كلامي ممكن عنصر لغوي ممكن، يكفي معنى العنصر اللغوي (مع مراعاة سياق القول) ليحدد أنّ نطقه الحرفي هو أداء للفعل الكلامي بالضبط، فلدراسة فعل الكلام للوعد أو الاعتذار نحتاج فقط لدراسة الجمل التي يكون نطقها الحرفي والصحيح بمثابة وعد أو إصدار اعتذار (85).

وتوصل سيرل إلى أنّ هناك شبكة ترابطات تحليليّة - باعتباره أحد رواد الفلسفة التحليلية للغة العادية - بين مفهوم الأفعال الكلامية، وبين ما يعنيه المتكلم، وما تدلّ عليه الجملة (أو أي

84 - ينظر: جون سورل، الأعمال اللغوية: بحث في فلسفة اللغة، تر: أميرة غنيم، دار سيناترا، المركز الوطني للترجمة، تونس، 2015، ص 41-43.

85 - Look: "But most important for present purposes it enables us to equate rules for performing speech acts with rules for uttering certain linguistic elements, since for any possible speech act there is a possible linguistic element the meaning of which is sufficient to determine that its literal utterance is performance of precisely that speech act. To study the speech act of promising or apologizing we need only study sentences whose literal and correct utterance would constitute making a promise or issuing an apology." J.searle, Ibid, pp 20-21.

عنصر لغوي) المنطوقة، وما يقصده (ينويه) المتكلم- لأنّ الكلام لدى سيرل محكوم بقواعد مقصدية Intentional-، وما يفهمه السّامع، وما هي القواعد المتحكّمة في العناصر اللّغوية، لذا نجد سيرل يبحث عن هذه الترابطات التحليلية في عملية التواصل، وفي ثنايا هذا البحث يقف على ماهية الكلام قائلاً أنّ التكلّم هو أداء لأفعال بالاستناد إلى قواعد، وعارضا جملة من الشروط والتمايزات بين الأفعال الكلامية عن طريق وضعه إيّاها في مقامات تخاطبية بسيطة.⁽⁸⁶⁾

ولابدّ من الإشارة هنا إلى أنّ سيرل استند على ما توصل إليه من سبقه خاصة أستاذه أوستين، حيث جاءت جهوده مكّملة ومطوّرة لما وضعه أوستين من تصنيفات لأفعال الكلام، ومتدركة للقصور والغموض الذي وُصفت به جهود أوستين في نظرية أفعال الكلام، فمن جملة النقد الموجّه إليها أنّها لم تتبين حدودها بدقة ووضوح، لذا حاول سيرل "وضع حدود واضحة لأطراف النظرية ترفعها إلى مستوى قريب من اللغات الاصطناعية التي يدرسها المناطق الرمزيون، وقد يؤخذ عليه في الضمن أنه أفقد النظرية كثيرا من بريقها وتنوعها، لكن نظرة أكثر إنصافا ستعترف له أنه ساهم في مناقشة مشكلات هامة في فلسفة اللغة وقدم حلولاً لها على أساس هذه النظرية"⁽⁸⁷⁾، كما قدم بالتعاون مع (دانيال فان درفكن D.Vanderveken)⁸⁸، محاولة

⁸⁶ - Look : Ibid, pp 21,22.

⁸⁷ - طالب السيد هاشم الطبطبائي، نظرية الأفعال الكلامية بين فلاسفة اللغة المعاصرين والبلاغيين العرب، ص 13.

⁸⁸ - دانيال فان درفكن Daniel Vanderveken: (1949-2019) أحد رواد الفلسفة التحليلية، بلجيكي الأصل،

نال درجة بروفييسور في جامعة الكيبك بكندا، ودرّس أيضا بالجامعة الكاثوليكية بلجيكا، أحد الأعضاء الدائمين بمعهد

الفلسفة العالمي، تصبّ أعماله في المنطق وفلسفة اللغة وأفعال الكلام، من أهم مؤلفاته:

- Foundations of Illocutionary Logic. 1985 مع جون سيرل بالتشارك

- Principles Of Speech Acts Theory. 1994

- Les actes de discours.1988

متكاملة تعرض النظرية اللغوية المتمثلة في فعل الكلام، بصياغة رمزية تستفيد من نتائج المنطق الحديث، والتي أسفرت عن المساهمات الآتية:

1-2-1. تحليل الفعل الكلامي لدى سيرل:

يرى سيرل أنه حينما نتلقظ بقول ما في موقف كلامي اعتيادي، يمكن القول إننا نؤدي فعلا كلاميا، إذ يمكن بتلقظنا بقول معين أن نُصدر حكما، أو نسأل سؤالا، أو نطلب طلبا، أو نفسر مشكلة علمية...، وقد صنّف أوستين جميع هذه الأفعال الكلامية وما يشابهها ضمن الأفعال الإنجازية (Illocutionary acts)، وهي حسب أوستين دوما ذات علاقة بنتائج إضافية تتخطى الاتصال اللغوي، أي أنها تحيل إلى أفعال تأثيرية (perlocutionary acts) تكون نتائجها على المستمع، فحين نصدر حكما قد نقنعه، ومن خلال سرد قصة قد ندهشه... أي أن كل فعل تأثيري ينطوي على فعل إنجازي، انطلاقا من هذا يصير سيرل على ضرورة التمييز بين الفعل الإنجازي الذي يعتبره الهدف المقصود بالتحليل في نظريته، والفعل التأثيري الذي يرتبط بنتائج أخرى أو بالآثار المترتبة عن أفعالنا سواء كانت إنجازية أو غيرها، فهو يرى وجوب تأدية الأفعال الإنجازية قصديا، فإذا أنت لم تقصد أن تقدم وعدا، أو تُصدر حكما حين أدائك للفعل الإنجازي، فإنك لم تقدم وعدا أو حكما، غير أن الأفعال التأثيرية لا يجب أن تؤدي قصديا بالضرورة، فقد تدفع شخصا إلى شيء ما، أو تزعجه دون أن تقصد ذلك، والقصديّة في الأفعال الإنجازية هي نتيجة مترتبة عن كون الفعل الإنجازي هو وحدة المعنى في الاتصال.⁽⁸⁹⁾

كما يعترض سيرل أيضا على تمييز أوستين بين الأفعال اللفظية (acts Locutionary) والأفعال الإنجازية (Illocutionary acts)، معتبرا أنه لا يمكن أن يكون تمييزا عاما تاما،

⁸⁹ - يُنظر: جون سيرل، العقل واللغة والمجتمع، تر: سعيد الغانمي، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط1، 2006،

أي فصل صنفين من الأفعال يمتنع أي منهما أن يتداخل مع الآخر، لأنّ معنى الجملة-حسب أوستين- يحدّد القوة الإنجازية لمنطوقاتها، وبهذا فإنّ منطوقات الجملة (التي تؤدي معنى) سوف تمتلك هذه القوة المعيّنة؛ ووصف الفعل اللفظي على أنّه ناجح لأنّه يتضمّن معنى الجملة هو حقًا وصف للفعل الإنجازي⁽⁹⁰⁾؛ إنّ نطق الجملة بمعنى معيّن -حسب أوستين- هو أداء لفعل لفظي معيّن؛ ونطق جملة بقوّة معيّنة هو أداء لفعل إنجازي معيّن؛ لكن بما أنّ قوّة معيّنة هي جزء من المعنى، فإنّ المعنى يحدّد بشكل فريد تلك القوّة المعيّنة، فلا يوجد فعلاّن مختلفان (لفظي وإنجازي)، بل تسميتان مختلفتان لنفس الفعل.⁽⁹¹⁾

فرؤية سيرل هنا مركّزة على التمايز الذي وضعه أوستين بين (مفهوم الفعل اللفظي) أي اللفظ ذو المعنى المحدد، و(مفهوم الفعل الإنجازي) أي اللفظ ذو القوّة المعيّنة، ويبدو ظاهرياً أنه من السهل التفريق بينهما لكن في الحقيقة يصعب كثيراً تمييز أي طرف من الآخر، ونعني بذلك صعوبة تجريد المعنى القولوي (Locutionary meaning) من متضمن الفعل في القول (الفعل الإنجازي)، أي القوّة المتضمنة (Illocutionary Force) في القول في جملة

⁹⁰ - يُنظر: صلاح إسماعيل عبد الحق، التحليل اللغوي عند مدرسة أوكسفورد، مرجع سابق، ص 207.

⁹¹ - « Uttering the sentence with a certain meaning is, Austin tells us, performing a certain locutionary act; uttering a sentence with a certain force is performing a certain illocutionary act; but where a certain force is part of the meaning, where the meaning uniquely determines a particular force, there are not two different acts but two different labels for the same act. » J.Searle, Austin on Locutionary and Illocutionary Acts, The Philosophical Review, Cornell University, Vol.77, No.4, oct 1968, p 407.

أو جمل معينة⁽⁹²⁾، ويشبهه هنا سيرل محاولة تجريد معنى الفعل اللفظي عن القوة الإنجازية بمحاولة تجريد الرجال غير المتزوجين من العزّاب.⁽⁹³⁾

ويكون بالتالي التمييز الذي وضعه أوستين بين الفعل اللفظي والإنجازي مفيدا فقط إذا كان معنى الجملة متعادلا من حيث القوة، أي عندما لا تحمل الجملة أيّ قوّة حيث إنّ التلقّظ الحرفي للجملة لا يساعد في تحديد قوّة معيّنة متضمّنة في القول، وهو ما يدعو أوستين جملا ذات معاني محايدة القوة، لكن سيرل لا يتفق وهذا الرأي ويقرر أنه لا توجد جملة ذات معنى محايد القوة مطلقا، وحجّته في ذلك هي: أنّ التقسيمات التقليدية الأولية للجمل بين خبرية واستفهامية وأمرية تحتوي على محددات للقوة المتضمنة في كل جملة لا محالة، وبذلك يستغني سيرل عن التحليل الذي قدمه أوستن متجاوزا عثراته بتحليل بديل يتلافى فيه مشكلة التداخل ويسر عملية التقسيم للقوى الإنجازية.⁽⁹⁴⁾

1-2-2. تقسيم سيرل لأفعال الكلام:

انطلاقا ممّا سبق نجد أنّ سيرل قام بتعديل تقسيم أوستين لأفعال الكلام بتقسيم جديد فبدلا من الفعل اللفظي والإنجازي والتأثيري، يقترح سيرل الفعل التلفظي (النطقي) Utterance act، الفعل القضوي propositional act، والفعل الإنجازي Illocutionary act، ويصرّح بأنّ المتكلّم لا يقوم بهذه الأفعال منفصلة عن بعضها البعض، بل في الواقع عندما يؤدّي

⁹² - ينظر: طالب السيد هاشم الطبطبائي، نظرية الأفعال الكلامية بين فلاسفة اللغة المعاصرين والبلاغيين العرب، مرجع سابق، ص 14.

⁹³ - «...the attempt to abstract the locutionary meaning from illocutionary force would be like abstracting unmarried men from bachelors.» J.Searle, ,1968 , ibid, p 408.

⁹⁴ - ينظر: طالب السيد هاشم الطبطبائي، نظرية الأفعال الكلامية بين فلاسفة اللغة المعاصرين والبلاغيين العرب، مرجع سابق، ص 14.

المتكلم فعلا إنجازيا، فهو على نحو مميز يؤدي أفعالا قضوية وأفعالا نطقية (تلفظية)، كما يمكن أن يؤدي الفعل القضوي نفسه بأفعال إنجازية مختلفة.⁽⁹⁵⁾

والفعل القضوي-حسب سيرل-، فعل مركب يشمل المتحدث عنه (المرجع) Reference، والمتحدث به (الخبر) Predication، كما يستخدم دوما مع فعل إنجازي ضمن كل مركب، حيث لا يمكن البتة النطق بفعل قضوي دون أن يكون لك مقصد منه⁽⁹⁶⁾، ونوضح هذا المفهوم من خلال الأمثلة التالية:

1. ينجح علي في المسابقة.

2. هل ينجح علي في المسابقة؟

3. يا علي، انجح في المسابقة.

4. لو ينجح علي في المسابقة!

فالفعل أو المحتوى القضوي المشترك بين العبارات الأربعة يقوم على: مرجع (reference) هو "علي"، وخبر (predication) هو النجاح في المسابقة، أما الفعل الإنجازي فمتغير-تبعا للقوة الإنجازية الموجودة فيه-فهو الإخبار في العبارة الأولى، والاستفهام في الثانية، والأمر في الثالثة، والتمني في الرابعة، وكلّ عبارة تتغيّا فعلا تأثيريا معيناً، لكنّ سيرل يرى أنّه ليس من الضروري أن يكون لكلّ فعل إنجازي تأثيراً.⁽⁹⁷⁾

ففي لحظة النطق بأي من الجمل الموجودة في الأمثلة، فإنّ المتكلم يؤدي ثلاثة أنواع من الأفعال في الآن نفسه:⁽⁹⁸⁾

أ- فعل تلفظي (Utterance act): وهو النطق السليم للألفاظ صوتياً ونحوياً وتركيبياً.

⁹⁵- John R. Searle, Speech Acts: An Essay in the Philosophy of Language, Cambridge University, 1969, p24.

⁹⁶ -Ibid, p25.

⁹⁷ - ينظر: محمود أحمد نحلة، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، دار المعرفة، مصر، 2002، ص73.

⁹⁸ - ينظر: المرجع نفسه، ص72.

ب- فعل قضوي (Propositional act): يتمثل في مرجع مشترك بين الجمل الأربع وهو محور الكلام (علي)، وخبر يتمثل في النجاح في المسابقة، والجمع بين المرجع والخبر يمثلان قضية: Proposition وهذه القضية هي الفعل المشترك بين الجمل.

ت- فعل إنجازي (Illocutionary act): يتجسد في الإخبار في الجملة الأولى، والاستفهام في الجملة الثانية، والنداء والأمر في الجملة الثالثة، والتمني في الجملة الرابعة.

يرى سيرل هنا أننا نستطيع التمييز بين عنصرين غير منفصلين بالضرورة في البنية النظامية للجملة (Syntactical structure)، هما المؤشر القضوي (propositional indicator) ومؤشر القوة الإنجازية (illocutionary force indicator)، حيث يبين مؤشر القوة الإنجازية كيف يتم أخذ القضية، وتتضمن وسائل إظهار القوة الإنجازية: ترتيب الكلمات في الجملة، التبر، التنعيم، صيغة الفعل والأفعال الأدائية.⁽⁹⁹⁾

وقد اتسع مفهوم الفعل الكلامي لدى سيرل ليشمل كل المنطوقات فجميع الجمل اللغوية عنده -خبرية كانت أم إنشائية- إنجازية وقد تختلف فقط في الغرض، بل إنه قد توسع أكثر من ذلك، ليشمل بعمله في الاتجاه الإنجازي، معظم الوظائف والأغراض المنوطة باللغة في استعمالها السياقية ولكن في أطر محددة.⁽¹⁰⁰⁾

1-2-3. بنية الفعل الإنجازي وشروط نجاحه:

يسعى سيرل إلى تحليل الفعل الإنجازي من خلال اهتمامه بصورة أساسية ب: الوعد مُتخذاً إياه نموذجاً للأفعال الإنجازية، مبرراً اختياره للوعد بكونه يبدو شكلياً وقابلًا للتحليل، حيث يهدف

⁹⁹-J. Searle, What is a speech act ?, p41.

نقلا عن: - صلاح إسماعيل عبد الحق، التحليل اللغوي عند مدرسة أوكسفورد، مرجع سابق، ص 219.

¹⁰⁰- ينظر: علي محمود حجي الصراف، الأفعال الإنجازية في العربية المعاصرة، مرجع سابق، ص 24.

إلى تبيان كيفية إنجازه بشكل ناجح وخال من العيوب، "فلتقديم تحليل للوعد بوصفه عملاً مضمناً في القول (إنجازي)، سأسأل عن الشروط الضرورية والكافية لإنجاز عمل الوعد بنجاح عند إقائنا جملة معينة [...] وسأقصر نقاشي على الوعود الصريحة، متجاهلاً الوعود الناجمة عن صياغات للجمل قائمة على الحذف أو التلميح أو الاستعارة... ولن أتناول إلا الوعود القضائية متجاهلاً أيضاً الوعود الشرطية، لأنه إذا ما توفّرنا على تحليل للوعد القضائية فيتيسّر علينا توسيعه لمعالجة الوعود الشرطية، وإجمالاً فلن أعالج إلا الحالات البسيطة..."⁽¹⁾

يبدأ سيرل تحليله لبنية الفعل الإنجازي، بطرحه السؤال: "كيف نعد؟"⁽²⁾، وإجابته عن هذا السؤال هي تبيان لشروط إنجاز فعل متضمّن في القول (فعل إنجازي) ونلخصها فيما يلي:⁽³⁾

1. تحقّق الشروط العادية للمداخل والمخارج وتشمل المداخل شروط الفهم، أمّا المخارج فتشمل شروط التكلّم على نحو مفهوم، ويتضمّنان مجتمعين أشياء من قبيل أنّ المتكلّم والسامع يعرف كلاهما كيف يتكلّم، ويعي كلاهما ما يقوم به.

2. يعبر المتكلّم عن قضية (وعد) للسامع، بنطقه لها عن طريق جملة، وبهذا الشرط تُعزل القضية عن باقي العمل اللغوي ويُركّز فقط على الوعد.

3. المتكلّم فقط من يعد المخاطب، بمعنى أنّ الوعد يكون منسوباً إليه ولا يستطيع المتكلّم أن يعد في مكان شخص آخر، كما ينبغي أن يكون هذا الوعد في المستقبل لأنّه يستحيل أن

¹ - ينظر: جون سيرل، الأعمال اللغوية: بحث في فلسفة اللغة، مصدر سابق، ص 99-102.

² - J. Searle, speech acts an essay in the philosophy of language, Ibid, p 57.

³ - يُنظر: جون سيرل، الأعمال اللغوية: بحث في فلسفة اللغة، مصدر سابق، ص 103-111.

- Look too: J. Searle, speech acts an essay in the philosophy of language, Ibid, pp 57,61.

نعد بشيء في الماضي؛ ويسمى سيرل الشرطين الثاني والثالث بشرطي المحتوى القضيوي.⁽¹⁾
 4. ينبغي على المتكلم، أن يكون واعيا بما يعد معتقدا بصحة ما يعد به، ويُعلم السامع برغبته في القيام بذلك الوعد لفائدته (لفائدة السامع)، وهنا يفرق سيرل بين الوعد والوعيد حيث يعتبر القول التالي: "أعدك بأني سأمنحك علامة صفر إن لم تقم بالواجبات" وعيدا أو تحذيرا وليس وعدا.

5. ينبغي أن يعد المتكلم بما فيه موضوع أو هدف، فلا يستطيع موظف مثلا أن يعد بأنه سيقوم بوظيفته لأنّ هذا يُعدّ من واجباته وليس وعدا، وكذا من يعد أولاده بالاعتناء بهم، فإن هذا ليس وعدا لأنّه مُطالب بالاعتناء بهم؛ أمّا التسمية التي يطلقها سيرل على الشرطين الرابع والخامس فهي الشروط التمهيدية.⁽²⁾

6. شرط صدق النية (الإخلاص، sincerity condition): أي أن يصدق المتكلم فيما يعد به ويكون قد نوى الوفاء بوعدده، ويتضمّن الوعد الصادق اعتقاد المتكلم إمكانية إنجاز الوعد.

7. ينبغي أن يلتزم المتكلم بوعدده ويحافظ عليه وهذا هو الشرط الأساسي (essential) لدى سيرل.

8. ينبغي أن يقصد المتكلم إحداث أثر معيّن مضمّن في القول بواسطة حمل السامع إلى التعرّف على قصده إحداث ذلك الأثر، وبما أنّنا نتحدّث عن الوعد هنا فخلاصة ذلك أن يعلم السامع جدية المتكلم في الوعد الذي قطعه.

¹- "I call the conditions 2 and 3 the propositional content conditions." Ibid, p57.

²- "I call conditions such as 4 and 5 preparatory conditions." Ibid, p60.

9. الوعد الذي يُصدره المتكلم يجب أن يكون مراعيًا للقواعد النحوية والدلالية ضمن مقام يستوفي جميع الشروط السابقة، فلا يمكن للمتكلم مثلًا أن يعد شخصًا باللّغة الألمانية وهو لا يفهمها.

إذن هذه الشروط تُحقّق نجاح الوعد الصادق بعيدًا عن العيوب، لكن ماذا عن الوعد غير الصادق هل تبقى الشروط نفسها قائمة؟ وهل نستطيع أن نصف بها أنّ الفعل الإنجازي قد نجح وتحقّق؟ يجيبنا سيرل عن ذلك بقوله أنّ الوعد غير الصادق يبقى وعدًا، حتى لو كان صاحبه ينوي عدم القيام به، ولأجل هذا يقوم بتعديل شرط صدق النية من متكلم ينوي أن يصدق في وعده إلى متكلم يتحمّل مسؤولية كونه ينوي إنجاز وعده، فمسؤولية النية ملقاة على عاتق المتكلم سواء صدق فيها أو لم يصدق. (1)

وبعدما أوجد سيرل شروط نجاح الفعل الإنجازي انطلاقًا من الوعد، حاول القيام بعملية إسقاط لذات الشروط على باقي الأفعال المختلفة الأخرى وبكيفية مقارنة، ضمن جداول على كل من أفعال الرجاء والإخبار والاستفهام، والشكر والنصح والتحذير، والتحية والتهنئة وغيرها، حتى يتأكّد من فاعلية تلك الشروط مع جميع الأفعال الإنجازية. (2)

1-2-4. معايير تصنيف الأفعال الإنجازية:

بعد دراسة سيرل لبنية الأفعال الإنجازية وتبينه للشروط التي نحكم من خلالها على تحقّق تلك الأفعال ونجاحها من عدمه، عمد إلى تصنيف الأفعال الإنجازية تبعًا للقوى المتضمّنة فيها،

¹ - يُنظر: جون سيرل، الأعمال اللغوية: بحث في فلسفة اللغة، مصدر سابق، ص 112.

² - للاطلاع على الجداول التي تتضمّن الأفعال التي طبّق عليها سيرل شروطه ينظر: جون سيرل، الأعمال اللغوية: بحث في فلسفة اللغة، مصدر سابق، ص 116-118.

فوجد نفسه ملزماً بوضع معايير على أساسها يتم التصنيف الذي اقترحه لاحقاً، إذ يقول: "إنّ أية محاولة لتصنيف الأفعال الإنجازية تفترض إلزامية وجود معايير لتمييز فعل إنجازي عن آخر؛ فما هي المعايير التي تسمح لنا أن نتكلم عن ثلاثة منطوقات حقيقية بحيث يكون الأول منها تقريراً والثاني إسناداً والثالث وعداً؟ فعند محاولة الإجابة عن هذا السؤال نكتشف أنّ هناك مبادئ عديدة للتمييز تختلف عن بعضها البعض؛ وأقصد هنا وجود أنواع مختلفة للمنطوقات، تجعلنا نقول بأنّ قوّة هذا المنطوق مختلفة عن قوّة منطوق آخر"⁽¹⁾، وتتضح هذه المعايير كالاتي:⁽²⁾

1- التباينات في الغرض الإنجازي للفعل: يحيلنا هذا المعيار على مفهوم أو تسمية جديدة

هي الغرض الإنجازي للفعل (illocutionary point)، فالغرض الإنجازي هو جزء من القوّة الإنجازية وليس القوّة الإنجازية نفسها، لأنّ القوى الإنجازية تختلف من فعل إنجازي لآخر، بينما الغرض الإنجازي قد يكون نفسه في فعلين إنجازيين مختلفين، فالغرض الإنجازي للأمر مثلاً هو محاولة التأثير على المستمع ليقوم بشيء ما، وكذلك الرجاء، كما قد يكون مختلفاً مثلاً الغرض الإنجازي للوعد هو إلزام المتكلم نفسه القيام بشيء ما للمخاطب، ويعد الغرض الإنجازي أهم أجزاء القوة الإنجازية على الإطلاق ومن أمثلة ذلك:

(الوعد) إن تنجح بامتياز أمنحك ألف دينار.

¹ - « Any taxonomical effort of this sort presupposes criteria for distinguishing one (kind of) illocutionary act from another. What are the criteria by which we can tell that of three actual utterances one is a report, one a prediction and one a promise ? ... » J. Searle, Expression and Meaning, Cambridge University Press, 1979, pp 1,2.

² - Ibid, pp 2,8.

(الأمر) اربطوا أحزمتكم الطائرة ستقلع.

(الشهادة) يشهد مدير المؤسسة أن السيد/عمر يشغل منصب متصرف إداري.

(النذر) نذرت ألف دينار صدقة للفقراء، لو شفاني الله من مرضي.

2- التباينات في اتجاه المطابقة (the direction of fit) بين الكلمات والعالم:

الأفعال الإنجازية تجعل -انطلاقاً من أغراضها الإنجازية- الكلمات (المحتوى القضوي) متطابقة مع العالم (الواقع)، كما نجد في التقريرات (assertions)، وإما تجعل العالم متطابقاً مع الكلمات، كما نجد في الوعود والأوامر، وبالتالي فاتجاه المطابقة يكون من الكلمات إلى العالم أو العكس، ويوضح لنا سيرل هذا المعيار بالمثال التالي: لنفترض أنّ رجلاً في المتجر يحمل قائمة بما تحتاجه زوجته من مستلزمات، فما يقوم به هو جعل العالم متماثلاً مع الكلمات المكتوبة في القائمة، وحين يدفع ثمن مستلزماته، فإنّ البائع يسلمه وصلاً يتضمن جميع مشترياته، فما يقوم به البائع فعل معاكس لما قام به المشتري، وبالتالي فالبايع يقوم بمماثلة الكلمات مع العالم، فقائمة البائع لها اتجاه مطابقة الكلمة إلى العالم، وهذا ما نجده في الأوصاف والتقريرات والتفسيرات، أما قائمة المشتري فلها اتجاه مطابقة العالم إلى الكلمة، وهذا ما نلاحظه في المطالب والأوامر والوعود، واتجاه المطابقة هو دائماً نتيجة للغرض الإنجازي.

3- التباينات في الحالة النفسية المعبر عنها: يعبر المتكلم بأداء فعل إنجازي بمحتوى

قضوي عن موقف أو حالة من هذا المحتوى القضوي، والحالة النفسية المعبر عنها بالفعل الإنجازي هي شرط الإخلاص للفعل، فالتكلم الذي يوضح ويقرر يعبر عن اعتقاد، والذي يعد ويتعهد يعبر عن قصد، والذي يأمر ويلتمس ويرجو يعبر عن رغبة أو حاجة، والذي يعتذر يعبر عن ندم.

وفي حال عدم توفر شرط الإخلاص فهذا لا يمنع وقوع الفعل الإنجازي، بحيث يمكن أن يتم أداء الفعل من غير رغبة أو نية أو اعتقاد.

4- التباينات في درجة شدة الغرض الإنجازي: الأمر هنا يتعلق بتفاوت في درجات القوة من جملة إلى أخرى مع أن الجمل لها نفس الغرض الإنجازي، وذلك مرده إلى صياغة العبارة وانتقاء ألفاظها المتفاوتة الشدة، مثل:

أ- أهيب بكم أن تحضروا المؤتمر.

ب- عليكم أن تحضروا المؤتمر.

ت- حضوركم المؤتمر ضروري وأكد.

ث- أنتم ملزمون بحضور المؤتمر.

فلو تفحصنا الجمل الأربعة دلاليا لوجدناها تختلف من حيث القوة والشدة من جملة إلى أخرى، وأن مؤدى كل منها سيختلف عن مؤدى الأخرى، رغم أن الجمل الأربعة لها ذات الغرض الإنجازي، فلو أننا وزعنا خطابا يتضمن دعوة للحضور ضمن فعاليات مؤتمر معين لأربع عينات من المدعوين لوجدنا أكثر الحاضرين الملبين للدعوة هم الذين تلقوا خطابا يحمل الجملة الرابعة (أنتم ملزمون بحضور المؤتمر)، وأن أضعف حضور سيكون من بين الذين تلقوا خطابا يتضمن الجملة الأولى: (أهيب بكم أن تحضروا المؤتمر)، فالغرض هنا واحد في كل الجمل ألا وهو الحضور للمؤتمر، لكن الأقوال (أهيب بكم أن... / أنتم ملزمون/ ضروري وأكد/ عليكم أن...) تتفاوت دلاليا وكل منها له فعل إنجازي بقوة معينة تختلف عن غيره.

5- التباينات في مكانة أو وضع المتكلم والسامع: فمكانة كل من المتكلم والسامع أو وضعهما يؤثر على القوة الإنجازية للملفوظ، فإذا طلب قائد الجيش من الجندي أن

يتراجع من ساحة المعركة فسيكون هذا أمر لا نقاش فيه، لكن إذا طلب الجندي من قائد الجيش الالتفاف حول العدو، فسيكون هذا عرضاً أو اقتراحاً وليس أمراً، وهذا لتفاوت الرتبة بينهما.

وبعد اتضاح معيار الاختلاف في المكانة، نورد مثالا لنوضح معيار الاختلاف في الوضع: لو أن شخصا أدلى بأخبار وأحداث جرت في الحرب، على مسامع أكاديميين، فأخباره لا تُعد مجرد أخبار وحسب، بل تُعد من بين الوثائق التي يستند إليها المؤرخ في كتابة التاريخ، كون هذه الأخبار شهادة على العصر، لذا فتمط إنجازها للغرض المتضمن في القول (الإنجازي) مختلف عنها لو رويت لعامة الناس.

6- التباينات في طريقة ارتباط المنطوق باهتمامات المتكلم والسامع: كالاختلاف بين التهنئة والتعزية، والمدح والذم، والفخر والرثاء، فإذا كان لدى السامع جنازة فالتكلم يعزّيه ويواسيه، بعكس كونه في فرح فإنه يهنئه. والمعياران الخامس والسادس يتعلّقان بالشرط التمهيدي الذي سبق لنا ذكره.

7- التباينات في العلاقة بباقي عناصر الخطاب والسياق الذي يقع فيه: فبالقول نستدل ونستنتج ونعقب... يتم ربط المنطوقات التالية باللاحقة وبالسباق المحيط.

8- التباينات في المحتوى القضوي التي تُحدّد عن طريق وسائل إظهار القوة الإنجازية: كالاختلاف بين الإخبار والتنبؤ، فالتنبؤ يكون حول المستقبل، في حين أنّ الإخبار يكون عن الماضي أو الحاضر.

9- التباينات بين الأفعال التي تكون دوماً أفعالاً كلامية، وبين الأفعال التي يمكن إنجازها على أنّها أفعال كلامية (دون الحاجة لذلك): كأن تقول أنا أستنتج وأنا أفكر وأنا أشخص في حين أنّه ليس من الضروري أن تصرّح بذلك، إذ يمكن للطبيب أن يفحص المريض ويسأله دون أن يقول أنا أشخص المريض، ويمكن أن تستنتج أنّ الشخص الذي

بجانبك لا يقدر على المشي دون القول استنتجت من خلال رؤيتي للكرسي المتحرك أن الرجل لا يمشي فتقول مباشرة الرجل لذي بجانبه لا يستطيع المشي، ففعل الكلام في هذه الحالات ليست له ضرورة.

10- التباينات بين الأفعال التي تتطلب أعرافا لغوية لإنجازها، والأفعال التي لا تتطلب

ذلك: هناك أفعال إنجازية تتطلب أعرافا غير لغوية وأوضاعا خاصة لإصدارها ففعل الإدانة للمجرم لا يستطيع أي كان أن يصدره إلا القاضي، وفعل الزواج لا يقوم به إلا المعني بالزواج، أما إذا أردت قول إنَّ السماء تمطر فلا أحتاج إلى أعراف غير لغوية وأكتفي فقط بالقول إنها تمطر.

11- التباينات بين الأفعال القابلة للأداء والأفعال غير القابلة للأداء: جُلُّ الأفعال الإنجازية

لها قابلية الأداء (التلفظ بالفعل) مثل أعد، أقرّر، أمر... وبعضها ليس لها قابلية للأداء فلا يستطيع شخص أن يقول إنني أتفاخر على غيري بل ينجز هذا التفاخر وكذا التهديد فالمهدّد لا يقول إنني أهدّد بل ينجز تهديده كإشهار السلاح.

12- التباينات في أسلوب أداء الفعل الإنجازي: أي أن الاختلاف لا يكون في الغرض

الإنجازي أو المحتوى القضوي بل فقط في طريقة أداء الفعل مثل الاختلاف بين التبليغ والإفشاء.

1-2-5. أصناف الأفعال الإنجازية:

أورد سيرل الكثير من الاعتراضات على تصنيف أوستين للأفعال الكلامية فانتقده في كونه أدرج أفعالا غير إنجازية ضمن تصنيفه، وكذا في أنه لم يضع مبادئ واضحة يُقيم عليها ذلك

التصنيف ممّا أوجد تداخلا كبيرا بين الفئات التصنيفية، وأنّ بعض الأفعال المُدرجة ضمن تلك الفئات لا تنفي حقا بشروط التعريفات التي قدّمها لها. (1)

انطلاقا ممن معايير تصنيف الأفعال الإنجازية، كذا الاعتراضات على تصنيفات أوستين، أقام سيرل تصنيفا جديدا للأفعال الإنجازية يميّز فيه بين خمسة أصناف هي:

أ- **الإخباريات (التقريبات، Assertives)** (2): تقوم هذه الفئة على تعهّد المتكلّم بكون شيء ما حقيقة واقعة، وبصدق القضية التي يعبر عنها، وهي تحتمل الصدق أو الكذب، واتجاه المطابقة فيها هو من الكلمات إلى العالم، والحالة النفسية المُعبّر عنها هي الاعتقاد والتعهّد، وتكون الحالة النفسية متغيّرة من الافتراض حتى الإصرار على جدية المحتوى القضوي؛ فأبسط اختبار لها هو مقدرة السامع الحكم عليها بالصدق أو الكذب؛ وتضم هذه الفئة أفعال الأحكام عند أوستين وكذا الأفعال التفسيرية، لكونها تشترك في الغرض الإنجازي وتختلف فقط في بعض مظاهر القوة الإنجازية.

ب- **التوجيهيات (Directives)**: الغرض الإنجازي لهذه الفئة من الأفعال أنّ المتكلّم يحاول فيها التأثير على المُخاطب ليفعل شيئا ما، وقد تتصف محاولة التأثير تلك باللين كأن يقترح المتكلّم فعل شيء ما على المخاطب، كما قد تتصف بالشدة كأن يُصرّ المتكلّم على المخاطب أن يفعل شيئا ما، واتجاه المطابقة فيها هو دوما من العالم إلى الكلمات، والحالة النفسية (النية) هي رغبة المتكلّم في إقدام المخاطب على فعل شيء يريد هو أي المتكلم، والمحتوى القضوي يكون دوما فعلا مستقبليا من قبل المخاطب، ومن أفعال هذه

¹ - ينظر: صلاح إسماعيل، التحليل اللغوي عند مدرسة أوكسفورد، مرجع سابق، ص 230-232.

² - Look : J. Searle, Expression and Meaning, Ibid, pp12, 13.

الفئة: أطلب، أرجو، أسأل، أتمس، أناشد، أتضرع، أنصح...؛ وتضمّ هذه الفئة أيضا بعض

الأفعال السلوكية لدى أوستين والكثير من أفعال الممارسة.⁽¹⁾

ت- الإلزاميات (الوعديات، **Commissives**): يُصرّح سيرل هنا بصحّة تعريف

أوستين، ويأخذ به مع اعتراض طفيف يكمن في إخراج بعض الأفعال التي يرى أنّها غير

إلزامية مثل "أقصد"، وبالتالي فالأفعال الإلزامية هي الأفعال الإنجازية التي تقوم على غرض

إلزام المتكلّم نفسه بفعل شيء ما مستقبلا، واتجاه المطابقة فيها من العالم إلى الكلمات،

أما الحالة النفسية (النية) فهي القصد (intention)، والمحتوى القضوي هو دائما فعل

المتكلّم لشيء في المستقبل.⁽²⁾

ث- التعبيرات (الإفصاحات، **Expressives**): الغرض الإنجازي لهذه الفئة هو التعبير

عن حالة نفسية معيّنة بشرط الإخلاص في (صدق النية) المحتوى القضوي، مثل أشكر،

أعتذر، أعزي، أهنيء...، ولا يوجد لهذه الأفعال اتجاه مطابقة، وصدق النية في هذه الأفعال

يكون مفترضا.⁽³⁾

ج- التصريحات (الإعلانات، **Declarations**): ما يميّز هذه الفئة أنّ الأداء الناجح

لأفعالها يضمن مطابقة المحتوى القضوي للواقع، فإذا أدى المسؤول فعل تعيينك على رأس

وفد ما أداء ناجحا، فأنت رئيس لذلك الوفد، ولا يوجد أيضا في هذه الفئة تمييز بين

المحتوى القضوي والقوة الإنجازية، واتجاه المطابقة في هذه الفئة من الأفعال الإنجازية قد

¹ - J. Searle, Expression and Meaning, Ibid, p13.

² -Ibid, p14.

³- J. Searle, Expression and Meaning, Ibid, p15.

يكون من العالم إلى الكلمات، ومن الكلمات على العالم، كما تتميز أيضا بأنها تقتضي عرفا غير لغوي، ولا تتطلب شرط الإخلاص، وتحدث تغييرا في الوضع القائم.⁽¹⁾

إذن هذه هي تصنيفات سيرل لفئات الأفعال الإنجازية، حاول من خلالها إصلاح ما بدا له أنّ أوستين حاد فيه عن الصواب.

1-2-6. الأفعال الكلامية غير المباشرة (Indirect speech acts):

بعدما صنّف سيرل الأفعال الكلامية مركّزا على الإنجازية منها، ثم تقسيمه لها ضمن فئات بحسب القوى المتضمّنة فيها، وجد نفسه أمام إشكال آخر، وهو أنّ المتكلم يصرّح بفعل إنجازي لكنّه يقصد فعلا آخر، أو يقصدهما كلاهما، يقول: "في بعض الحالات تحتوي جملة ما على مؤشرات قوة إنجازية لفعل إنجازي معيّن لكن تستطيع عند نطقها أداء فعل إنجازي آخر، كما أنّ هناك أيضا حالات ينطق فيها المتكلم بجملة يقصد فيها ما ينطق به كما يقصد إنجازا آخر بمحتوى قضوي مختلف"⁽²⁾، ويورد لنا في هذا الصدد المثال التالي: قد يقول شخص ما في مطعم لمن هو بجانبه في الطاولة: هلاّ تناولني الملح؟ فهو بهذا لا ينتظر إجابة بنعم أو لا، بل يطلب منه بطريقة مهذّبة أن يناوله الملح، فالقوة الإنجازية الحرفية هنا تخالف القوة الإنجازية المقصودة أو غير الحرفية، وبالتالي "فالمكلم هنا لا ينجز فعلا كلاميا واحدا بل ينجز فعلا أوليا يتمثّل في الالتماس الذي يُنجز بواسطة فعل ثانوي هو السؤال؛ فالمقصد المتضمّن في القول،

¹-Ibid, pp 17,18.

²- « In such cases a sentence that contains the illocutionary force indicators for one kind of illocutionary act can be uttered to perform, in addition, another type of illocutionary act. There are also cases in which the speaker may utter a sentence and mean what he says and also mean another illocution with a different propositional content. » ibid, p30.

أي العمل الذي ينوي القائل إنجازه بواسطة جملته، إنّما يتّصل فقط بالعمل الأولي، وهذا المقصد هو الذي ينبغي تبيينه⁽¹⁾، إذن فالفعل الإنجازي هنا غير مباشر، وليس كالأفعال الإنجازية المباشرة التي سبق لسيرل دراستها، لذا نجده يبحث في كيفية تأدية الأفعال الكلامية غير المباشرة، إذ يقول: "إنّ المشكل الذي تطرح الأفعال الكلامية غير المباشرة هو كيف يمكن للمتكلّم أن يقول شيئاً ويعنيه، وبنفس الكلام يعني شيئاً آخر؟...والجزء الأكبر من هذا المشكل هو كيف يمكن للمستمع أن يفهم الفعل الكلامي غير المباشر، في حين أنّ الجملة التي سمعها وفهمها تعني شيئاً آخر؟"⁽²⁾، ونشير هنا إلى أن سيرل أدخل ضمن الأفعال الكلامية غير المباشرة كل من الاستعارة والكناية والسخرية والمبالغة والتهمك، لأنّ قصد المتكلّم فيها مختلف عن الدلالة العادية المنطوقة من قبله.

حاول سيرل أن يصل لحل هذا الإشكال عن طريق استعانه بمبدأ التعاون الحواري (conversational cooperation) بين المتكلّم والسامع، وما يملكه هذا الأخير من علم بجوانب الموضوع، (انطلاقاً من الاستلزام الحواري لدى بول غرايس)، وكذا استعانه باستراتيجية الاستنتاج (Inference strategy) التي تقوم على عشر خطوات يصل بها السامع إلى المعنى غير المباشر فلو عدنا للمثال الأول: يقول صالح لزيد "هل تستطيع أن تناولني الملح" وكان مقصده المتضمّن في القول إنجاز فعل أولي (الالتماس) بواسطة عمل ثانوي

¹ -آن روبرول وجاك موشلار، التداولية اليوم علم جديد في التواصل، تر: سيف الدين دغفوس ومحمد الشيباني، المنظمة العربية للترجمة، دار الطليعة، لبنان، ط1، 2003، ص59.

² - "The problem posed by indirect speech acts is the problem of how it is possible for the speaker to say one thing and mean that but also to mean something else...a large part of that problem is that of how it is possible for the hearer to understand the indirect speech act when the sentence he hears and understands means something else. "ibid, p31.

(السؤال)، فإنّ صالحا يفهم مقصد زيد بفضل عملية معقّدة هي كالتالي: " صالح بعد أن طبّق القواعد الدلالية للأفعال الكلامية، وفتن إلى أنّ قول زيد يمثّل سؤالاً، التجأ إلى المعارف المحصّلة سلفاً، فأدرك أنّ السؤال لا يناسب كثيراً مقام التواصل، واستدلّ بواسطة مبدأ التعاون أنّ الاستفهام ليس هو على الأرجح الفعل الإنجازي المقصود، ثمّ عاد إلى المعارف في الالتماس الذي قصد زيد إنجازَه، ووفق شروط نجاح الالتماس فإنّه على الشّخص الذي تتوجّه إليه بالكلام أن يكون قادراً على إنجاز العمل المطلوب، وبفضل هذا الشرط تعرّف صالح على مقصد زيد." (1)

كما درس سيرل الكثير من الأفعال الإنجازية من هذا القبيل، أي السؤال المقصود به الطلب، ورأى أن أهم أسباب استخدام هذا النوع من الأفعال الإنجازية هو أن يبدي المتكلّم تأديه في الحديث ولباقته تجاه المخاطب، ويبلّغه بأن ما يقوله فعل يعتمد على خلفية إخبار متبادلة بينه وبين المخاطب، لسانية وغير لسانية، وقدرة استدلال عقلي، تقوم على النظرية العامة لأفعال الكلام والمبادئ العامة للتعاون الحوارية، وقد جعل من التوجيهيات غير المباشرة نموذجاً لدراسته، ثم قسّمها إلى مجموعات بحسب قدرة المُخاطب على أداء الفعل، ورغبته فيه ودوافعه إليه، وكذلك رغبة المتكلّم في أن يؤدي المخاطب فعلاً ما، ومدى استجابة المخاطب له. (2)

وقد سعى بعض الباحثين إلى إيجاد فروقات تميّز بين الأفعال الإنجازية المباشرة وغير

المباشرة منها: (3)

¹ - آن روبرول وجاك موشلار، التداولية اليوم علم جديد في التواصل، مرجع سابق، ص 59.

² - ينظر: أحمد محمود نحلة، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، مرجع سابق، ص 81.

³ - أحمد المتوكّل، آفاق جديدة في نظرية النحو الوظيفي، سلسلة بحوث ودراسات، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة محمد الخامس، المغرب، 1993، رقم 05، ص 23.

- في الأفعال الإنجازية المباشرة تظلّ القوّة الإنجازية الحرفية ملازمة للعبارة اللغوية في مختلف المقامات التي يمكن أن ترد فيها، أمّا القوّة الإنجازية للأفعال غير المباشرة فيتحكّم فيها المقام.
 - يمكن أن تلغى القوة الإنجازية للأفعال غير المباشرة كما هو شأن القوّة "الالتماس" بالنسبة للمثال: هلا ذهبت معي إلى السوق؟، فيؤوّل على أساس أنّه سؤال محض إذا كان المقصود بها هو الاستفسار فقط.
 - القوة الإنجازية للأفعال غير المباشرة يُتوصّل إليها عبر عمليات ذهنية استدلالية تتفاوت من حيث الطول والتعقيد، في حين أنّ القوة الإنجازية للأفعال المباشرة تؤخذ مباشرة من صيغة العبارة ذاتها.
- وبهذا نجد أنّ سيرل حاول إيجاد معايير تركيبية ودلالية لتفسير كيفية أداء المتكلم واستقبال السامع لأفعال الكلام غير المباشرة؛ ومما قد يؤخذ عليه عدم إعطائه الأهمية اللازمة "للتأثيرات السياقية والاجتماعية التي تمكّن المتخاطبين من التواصل، بما أنّهم منخرطون في عمل تآزري يقوم على خلفيات مشتركة ورؤية للعالم مستمدّة من سائر الاعتقادات والخبرات والمعارف التي تتخذ بلا شكّ طابعا ثقافيا اجتماعيا مخصوصا."⁽¹⁾

¹- ثروت مرسي، في التداوليات الاستدلالية، مرجع سابق، ص 190.

1-1. الأفعال الكلامية في التراث العربي:

تعد نظرية أفعال الكلام من صميم ما جاءت به التداوليات اللسانية، فقد اعتنت بالكلام في الخطاب على أنه يخرج عن كونه ملفوظاً إلى نطاق أنه فعل يتحقق، وهذا الفعل يعتمد في تحقّقه على افتراض مسبق بين المتكلم والمتلقي يستحضر فيه كل منهما مرجعيته المسبقة، باعتبار أنّ اللغة ظاهرة اجتماعية، ليأخذ بالكلام على أنه فعل يجب القيام به، ويقوم كل ما سبق على السياق الذي يُعد من أهم عناصر التداولية.

وإذا كانت التداولية منهجاً غريباً جاء بمصطلح فعل الكلام ونظريته، فإنّ التراث لم يخل في مدوناته من العمل وفق هذه الدراسة مراعيّاً مقولة فعل الكلام، لكنه جاء بمصطلحات مختلفة تحت اسم أسلوب الخبر والإنشاء، فقد عمل المتكلم على الأخذ بهذا الأسلوب بهدف التأثير في المتلقي وكسب اهتمامه⁽¹⁾.

إنّ ما يكاد يجمع حوله الدارسون والباحثون المعاصرين في مجال اللغويات والخطاب، هو أنّ معظم العلماء العرب القدامى بكل تخصصاتهم اللغوية والأدبية والنقدية وحتى الأصولية، كانوا يتقنون الجوانب التداولية لاستعمالات اللغة، وذلك يتبين من خلال دراساتهم لمعاني الكلام في ثنايا علم المعاني بين أقسام الخبر والإنشاء، مع مراعاتهم الدقيقة للسياق والمقام الذي يحدث فيه التخاطب، ومقاصد وأحوال كل من المتكلم والمخاطب، وهي العناصر التي تتعرض لها نظرية الأفعال الكلامية في الدراسات اللسانية الحديثة.

ومن هنا ارتأينا أن نشتغل على هذا الباب من التراث البلاغي العربي لنبين مدى تداخله مع ما جاءت به التداولية الغربية، ومدى اهتمام العلماء العرب القدامى من نحاة وأصوليين ومناطقية

¹ - ينظر: مالك ياسين وملاذ حروفش، مقارنة لغوية لأفعال الكلام في خطاب الجاحظ، مجلة دراسات في اللغة العربية وآدابها، عدد 23-2016، ص111.

ولغويين بالأساليب الخبرية والإنشائية التي لها علاقة بمعاني الكلام لدى المتخاطبين العرب، "وفي التراث العربي تندرج **الأفعال الكلامية** ضمن مباحث علم المعاني، وموضوع هذا الفرع اللغوي في ذلك التراث هو تتبع خواص تراكيب الكلام في الإفادة وما يتصل بها... ليحتز بالوقوف عليها من الخطأ في تطبيق الكلام على ما يقتضي الحال ذكره... وتندرج ظاهرة **الأفعال الكلامية** تحديدا ضمن **الظاهرة الأسلوبية المعنونة ب (الخبر والإنشاء)** وما يتعلق بها من قضايا وفروع وتطبيقات ولذلك تعتبر نظرية الخبر والإنشاء عند العرب من الجانب المعرفي العام مكافئة ل: مفهوم الأفعال الكلامية عند المعاصرين"⁽¹⁾.

1-3-1. الخبر والإنشاء أفعال كلامية:

هناك نقاط تقاطع وتماس كثيرة بين النظرية التداولية والدرس اللغوي التراثي في الكثير من مباحثه، فمنها ما هو منتشر في الدرس النحوي، ومنها ما اندرج ضمن مباحث البلاغة، ومنها ما استقر بين أبواب أصول الفقه الإسلامي، ومن بين ما التفت إليه الدارسون العرب في الخطاب: مراعاة المتكلم وطريقة أدائه، والمخاطب وكيفية تلقيه، ومدى مطابقة الكلام لمقتضى الحال ومخالفته، ومناسبة الخطاب والسياق الذي قيل فيه وغيره⁽²⁾، وما نهدف إلى معرفته في بحثنا، والذي نراه منسجما وقضايا الدرس التداولي، - كما هو معلوم لدى المتخصصين - هو مباحث مخصوصة من علم المعاني ضمن البلاغة العربية، ألا وهي مباحث الخبر والإنشاء.

أ- **الخبر**: فالخبر يمثل أحد الخطابات التي تجمع بين الوظيفة السردية التخيلية، أو الوظيفة الوصفية التقريرية، والوظيفة الحجاجية التداولية، حيث يتطلع من خلال ذلك إلى توصيل

¹ - مسعود صحراوي، التداولية عند العلماء العرب، دار الطليعة، 2005، بيروت، ص 49.

² - ينظر: أمال بن غزي، المنهج التداولي في التراث، ضمن كتاب (لسانيات النص وتحليل الخطاب)، المجلد 1، كنوز المعرفة، 2013، الأردن، ص 515.

مقاصد معينة ومحددة صراحة أو تضمينا، يتطلع المخاطب من خلالها إلى تبليغ رسالة ما للمتلقي⁽¹⁾ حاضرا كان أم غائبا، فالخبر ما يصح أن يقال لقائله أنه صادق فيه أو كاذب، فإن كان الكلام مطابقا للواقع كان قائله صادقا، وإن كان غير مطابق له كان قائله كاذبا. فالخبر الصادق-في رأي الجاحظ-هو المطابق للواقع مع الاعتقاد بأنه مطابق، والخبر الكاذب عنده هو الذي لا يطابق الواقع، مع الاعتقاد بأنه غير مطابق، أما الخبر الذي ليس بصادق ولا كاذب فليس نوعا واحدا، وإنما هو أربعة أنواع، وهذه هي: (2)

- الخبر المطابق للواقع مع الاعتقاد بأنه غير مطابق.
- الخبر المطابق للواقع بدون اعتقاد أصلا.
- الخبر غير المطابق للواقع مع الاعتقاد بأنه مطابق.
- الخبر غير المطابق للواقع بدون اعتقاد أصلا.

ومن العلماء الأوائل الذين عرضوا لموضوع الخبر أيضا ابن قتيبة الدينوري في كتابه (أدب الكاتب)، إذ يقول: "والكلام أربعة: أمر، وخبر، واستخبار، ورغبة، ثلاثة لا يدخلها الصدق والكذب، وهي الأمر والاستخبار والرغبة، وواحد يدخله الصدق والكذب وهو الخبر".

ومنهم أيضا قدامة بن جعفر، يعرّف الخبر بقوله: "والخبر كل قول أفدت به مستمعه ما لم يكن عنده..."⁽³⁾

فمفهوم الخبر في البلاغة العربية يتقاطع مع مفهوم الجمل التقريرية (constative) التي صنّفها أوستين باعتبار كليهما يخضع لمعيار الصدق أو الكذب (الصواب والخطأ)، ويقابله كذلك

¹ - ينظر: هشام مشبال، بلاغة الخبر تقاطع التخيلي والتداولي في اخبار الإمتاع والمؤانسة، ضمن كتاب (البلاغة والخطاب)، إعداد محمد مشبال، دار الأمان، 2014، المغرب، ص181.

² - عبد العزيز عتيق، علم المعاني، دار النهضة العربية، 2009، بيروت، ص43.

³ - عبد العزيز عتيق، علم المعاني، ص 44.

مفهوم الإخباريات (assertives) لدى سيرل، لأنّ الخبر عند العرب القدامى يشترط فيه إفادة سامعه، وهذا ما نجده عند سيرل من أنّ "الغرض الإنجازي للإخباريات هو نقل المتكلم واقعة ما من خلال قضية يعبر بها عن هذه الواقعة، وأفعال هذا الصنف كلّها تحتل الصدق أو الكذب." (1) فالإفادة المتحققة لدى السامع عند العرب هي نفسها -إن صحّ القول- الغرض الإنجازي عند سيرل والذي ترتب عن الواقعة التي نقلها المتكلم.

والخبر له أضرب يُلقى وفقها، وتتحكّم في ذلك حالة المتلقّي للخبر فإذا كان خالي الذهن ألقى الخبر عليه خاليا من المؤكّدات، ويسمى هذا الضرب من الخبر بالابتدائي، أمّا إن كان المتلقّي متردّدا في قبول الخبر شاكا فيه، يؤكده صاحب الخبر بمؤكّد واحد، وهذا هو الخبر الطلبي، أمّا إذا كان المتلقّي منكرا تماما للخبر، فيؤكده صاحبه بمؤكدين فأكثر حسب درجة إنكار المتلقّي، ويدعى هذا بالخبر الإنكاري (2)، كأن يقول تلميذ لزميله الذي أتى لإجراء امتحان: تمّ تأجيل الامتحان (ابتدائي)، فيستغرب لذلك فيؤكّد له الخبر: إنّ الامتحان مؤجّل (طلبي)، لكنّه لا يصدّقه، فيعلم التلميذ أنّ زميله منكر للخبر فيقول والله لقد أُجّل الامتحان، وإن لم تصدّقني فاسأل المستشار (إنكاري).

ومفهوم أضرب الخبر في البلاغة العربية التراثية يتماشى مع طرح سيرل حول درجة شدة الغرض المتضمن في القول (Degree of strength of the illocutionary point)، فاقترح صحّة قضية ما لديه، أضعف شدة من القسم على صحّة تلك القضية، وطلب شيء ما أضعف درجة من الإلحاح عليه، والتعبير عن رفض فعل شيء ما أضعف من الاعتذار عن

1- محمود أحمد نحلة، مرجع سابق، ص 78.

2- ينظر: عبد العزيز عتيق، مرجع سابق، ص 49.

فعل ذلك الشيء⁽¹⁾، فالتماس بين أضرب الخبر وطرح سيرل يكمن في درجة التأثير في المتلقي وشدة ذلك، بالإضافة للغرض المتضمن في القول الذي يختلف باختلاف القول نفسه.

ب- الإنشاء:

يقول القزويني هو: "ما يستدعي مطلوباً غير حاصل وقت الطلب لامتناع تحصيل الحاصل"⁽²⁾، وكذلك يراه يحيى بن حمزة العلوي: "اعلم أن الطلب مغاير في الحقيقة لماهية الخبر، فالخبر دال كما ذكرناه من قبل على حصول أمر في الخارج، فإن كان مطابقاً له فهو الصدق، وإلا فهو الكذب، بخلاف الإنشاء، فإنه لا يدل على حصول أمر، بل من حقيقة الطلب ألا يكون مطلوباً إلا مع كونه معدوماً في حال طلبه، ليتحقق الطلب في حقه، فإذا ما هيته استدعاء أمر غير حاصل ليحصل."⁽³⁾

وينقسم الإنشاء إلى قسمين: إنشاء طلبي، وإنشاء غير طلبي.

الإنشاء الطلبي: هو ما يستدعي مطلوباً غير حاصل وقت الطلب، ويشمل صيغ الأمر، والنهي، والتمني، والاستفهام، والنداء، وبها يؤدي المتكلم فعل الطلب معبراً عن قصده وغرضه ضمن سياق محدد، فهذه الصيغ أفعال أدائية وفق مسمى أوستين ولا تخضع لمعيار الصدق أو الكذب، بل تسعى لتحقيق فعل ليس حاصلًا.

الأمر كما هو معلوم له وجوه عديدة منها الإستعلاء-وهو الأصل فيه-والالتماس والدعاء "فخروج الأمر إلى الالتماس والدعاء يبدو في معيار (الشروط المعدّة) لدى سيرل حينما ضرب

¹ -Look: J.searle and D.vandekaven, Foundations of illocutionary logic, Cambridge University Press, 1985, p15.

² - الخطيب القزويني، الإيضاح في علوم البلاغة، تع: محمد عبد المنعم خفاجي، دار الكتاب اللبناني، بيروت، 1985، ط6، ص 227.

³ - يحيى بن حمزة العلوي، الطراز، دار الكتب الخديوية، مصر، 1919، ج3، ص 280.

لنا مثلا بتوجيه طلب من عسكري عميد إلى جندي بتنظيف الغرفة، فهذا الطلب لا يكون إلا أمرا، أما نفس الطلب من الجندي إلى العميد فليس أبدا أمر بل هو اقتراح أو رجاء. (1)

أما الإنشاء غير الطلبي: فهو ما لا يستدعي مطلوبا، وله صيغ كثيرة منها: القسم، وأفعال المدح والذم، والرجاء، والتعجب، وألفاظ العقود... هذه الأخيرة تمثل أهم مظهر للأفعال المتضمنة في القول وأقوى نقطة يتركز عليها في إثبات بحث العلماء العرب لظاهرة الأفعال الكلامية، فقد ألح أوستين على أنّ القول النموذجي الذي يحصل به الفعل الكلامي هو هذا (أي ما سمي بألفاظ العقود) مثل: بعثك. (2)

كما يرى أحمد محمود نحلة أنّ عبد القاهر الجرجاني كان مُدركا للمقصود بالفعل اللفظي والفعل الإنجازي بقوله: "ومن أجل ذلك امتنع أن يكون لك قصد إلى فعل من غير أن تريد إسناده إلى شيء مُظهر أو مُقدّر، وكان لفظك به، إذ أنت لم ترد ذلك، وصوتا تصوّته سواء." (3)

فمن علمائنا القدامى من عامل الظواهر البلاغية معاملة تداولية ونظر لها وأجرى عليها تطبيقات، على بعض النصوص والخطابات، نذكر منهم مثالين: الفارابي من الفلاسفة، وإبراهيم الشيرازي من الفقهاء الأصوليين، فقد صنّف الفارابي في كتاب الحروف العبارات الصادرة عن المتكلم إلى صنفين كبيرين هما: (عبارات القول) و(عبارات الفعل)، في إشارات لطيفة إلى فلسفة لغوية عميقة -نكاد نقول سابقة لعصرها- فالمخاطبات عند الفارابي نوعان: أقوال، وأفعال تتم بالأقوال، الأولى تتم بمجرد تحريك الشفتين، والثانية يراد بها حمل المخاطب على فعل شيء ما،

¹ - مسعود صحراوي، التداولية عند العلماء العرب، مرجع سابق، ص 107.

² - المرجع نفسه، ص 123.

³ - محمود أحمد نحلة، مرجع سابق، ص 108.

وممن فهم هذا المنحى التداولي الإنجازي أيضا ابراهيم الشيرازي في شرح اللمع حينما قال ما نصه: الأمر : استدعاء الفعل بالقول. (1)

حيث يقول الفارابي: "والقول الذي يُقتضى به شيء ما فهو يُقتضى به إمّا قول ما وإمّا فعل شيء ما، والذي يُقتضى به فعل شيء ما فمنه نداء ومنه تضرّع وطلبّة وإذن... فإنّ النداء يُقتضى به أوّلا من الذي تُودي الإقبال بسمعه وذهنه على الذي ناداه منتظرا لما يخاطبه به بعد النداء، [...] والنطق بالقول هو فعل ما، واقتضاء النطق إنّما يكون بأحد تلك الأقاويل الأخر التي تقتضي فعلا، والقول غير النطق به. فإنّ القول مركّب من ألفاظ، والنطق والتكلم هو استعماله تلك الألفاظ والأقاويل وإظهارها باللسان والتصويت بها ملتصبا بالدلالة بها على ما في ضميره." (2)

ففي عبارة "إنّ القول مركّب من ألفاظ، والنطق والتكلم هو استعماله تلك الألفاظ والأقاويل وإظهارها باللسان والتصويت بها ملتصبا بالدلالة بها على ما في ضميره"، تطابق مع مفهوم الفعل اللفظي locutionary act عند أوستين: "إنّ قول شيء ما هو، بالمعنى الاعتيادي التام، فعل شيء ما ويتضمّن الإدلاء بصوت ما ، بكلمات ما، في تركيب ما، يصحبها (معنى) ما، وفق دلالة ما وإرجاع ما" ، أمّا الفعل الإنجازي illocutionary act، فيبدو جليّا في قول الفارابي: "والقول الذي يُقتضى به شيء ما فهو يُقتضى به إمّا قول ما وإمّا فعل شيء ما" فهو هنا يميّز بين المنطوق اللفظي الذي لا يصاحبه فعل، وبين المنطوق الذي يكون متضمنا لفعل شيء ما، ولا أدلّ على أنّ الفعل الذي يقصده الفارابي هو الفعل الإنجازي الذي يقصده أوستين من المثال الذي ضربه لنا بقوله: "والذي يُقتضى به فعل شيء ما، فمنه نداء ومنه تضرّع وطلبّة وإذن... فإنّ النداء يُقتضى به أوّلا من الذي تُودي الإقبال بسمعه وذهنه على الذي ناداه منتظرا

¹ - ينظر: مسعود صحراوي، لحظة ميلاد التداولية، دار أزمنة للنشر، عمان (الأردن)، 2022، ص52.

² - أبو نصر الفارابي، كتاب الحروف، تح: محسن مهدي، دار المشرق، بيروت، ط2، 1990، ص162-163.

لما يخاطبه به بعد النداء " فالنداء فعل إنجازي غرضي، لأنه حينما ينادي شخص (س) على شخص آخر (ع) ما فإنّ (س) يقوم بفعل ويقصده، ويتمثل في انتباه (ع) وطلب إصغائه لما سيقوله (س) بعد فعل النداء، أما الفعل التأثري perlocutionary act، فيبدو بشكل جزئي، وذلك حينما يتأثر (ع) بنداء (س) له، فيقبل (ع) على (س) بسمعه وذهنه منتظرا، وكذا فيما سيفعله بعد الإنصات لفحوى النداء.

هذا نموذج بسيط مما يحويه التراث العربي من جذور لنظرية الأفعال الكلامية، وإن كانت النظرية كشفا غريبا حديثا لا خلاف فيه، لكن يمكن القول أنّ العلماء العرب القدامى قد أدلو بدلوهم في هذا المجال لكنهم لم يؤسسوا له بالمفهوم الذي هو عليه اليوم.

2- القوة الإنجازية للفعل الكلامي مميزاتها وضوابطها:

كنا قد بحثنا آنفا في جهود مؤسسي نظرية أفعال الكلام أوستين وسيرل، وتوصلنا إلى تقسيمات كانا قد أحدثناها لهذه الأفعال مبيّنين بذلك أنواع الأفعال الكلامية، اللفظي والإنجازي، والغرضي ثم زاد عليها سيرل الفعل القضوي، وقد لاحظنا في ثنايا هذا البحث أنّ الأهمية الكبرى ضمن هذه الأفعال كانت موجّهة نحو الأفعال الإنجازية، وقد اكتسبت هذه المحورية في البحث لأنّ الفعل لا يُجزز إلّا بها، وهنا نجد أوستين يفرّق بين المعنى المباشر الأحادي التعبيري للمنطوق، وبين المعنى حين إمداد ذلك المنطوق بقوة إنجازية illocutionary force، ممّا يغيّر المعنى الأصلي إلى معنى آخر يقصده المتكلّم، رغم أنّ ما يتلفّظ به المتكلّم (المحتوى القضوي) هو نفسه ما يدلّ على المعنى الأصلي، حيث يرى سيرل أنّ قول "أنا أعتزم فعله" يمكن أن يكون المعنى الحرفي الذي له مغزى واحد، كما يمكن أن يكون أيضا وعدا أو توكيدا أو تهديدا أو تحذيرا أو تقريرا عن قصد⁽¹⁾، وبالتالي فالقوة الإنجازية التي يمنحها المتكلّم لمعانيه

¹ - ينظر: إسماعيل صلاح عبد الحق، التحليل اللغوي عند مدرسة أوكسفورد، مرجع سابق، ص 195.

هي التي تحدّد المعنى النهائي الذي يهدف إليه المتكلّم، والتي يستعين في إنجازها بعوامل أخرى تضبط ذلك المعنى الذي يهدف إليه؛ ومما تمّ التركيز عليه في القوّة الإنجازية، ما تُحدِثه من تفاوت بين الأفعال الإنجازية، فإذا قمنا بمقارنة فعلين إنجازيين للمحتوى القضوي نفسه مثل: 1- لا تؤجل واجبات اليوم. 2- أنجز واجباتك الآن؛ نجد أنّ لأحدهما قوة أكثر من الآخر في الأداء والإنجاز، فالمثال (1) أضعف من حيث القوّة الإنجازية من المثال (2)، لأن الأمر بالفعل في الحين- خاصة إذا تدخلت عوامل أخرى معه كالنبر والتنغيم- أقوى من النهي عن التأجيل فرغم أنّ المحتوى القضوي واحد وهو إنجاز الواجبات، إلّا أنّه في المثال (1) توجد بعض الحرية للمخاطب في إنجاز الفعل، لكن في المثال (2) دفع للمخاطب إلى إنجاز الفعل وإلزام له به، وما يؤكّد ذلك ظرف الزمان "الآن"، ومرد هذا التفاوت في القوى الإنجازية يعود إلى طبيعة اللغة ووظيفتها التواصلية، ومن ثمّة ترسخت فكرة أنّ الأفعال الكلامية تختلف من حيث قوتها الإنجازية، لدرجة أنّ المؤسسين أوستين وسيرل قد صنّفا فئات الأفعال الإنجازية على أساس القوى المتضمّنة فيها، لكن قبل الخوض في ذلك لا بدّ من الوقوف على مفهوم القوّة الإنجازية.

2-1. مفهوم القوة الإنجازية:

إنّ تحديد مفهوم واضح للقوّة الإنجازية ليس بالأمر الهين كما يبدو، فإذا حاولنا جمع شتات ما بثّه أوستين في نظريته حول هذا المفهوم، وجدنا التالي: "القوة الإنجازية لمقولة ما أو فعل إنجازي، هي ما نؤديه عند إصدار تلك المقولة"⁽¹⁾ فأوستين هنا ربط القوّة الإنجازية بطريقة أداء الفعل الإنجازي حين النطق به؛ أمّا في القاموس التداولي فنجد أنّ القوّة الإنجازية تتعلق

¹ - « The illocutionary force of an utterance, or what illocutionary act it is that we are performing in issuing that utterance » Austin, How to do things with words, ibid, p149.

بالتأثير الذي يقصد المتكلم إحداثه عن طريق الفعل الكلامي الذي يُصدِّره⁽¹⁾، وبالتالي يمكن القول أنّ القوة الإنجازية تختص بالمقولة التي تتم وفق قصد معيّن لتؤدي فعلا إنجازيا معينا، وتكون مضمّنة فيه، ويُفترض أن تلائم ظروفًا معينة أي أنّها تتعلّق بسياق ما، لأنّ القوة الإنجازية التي يعبر بها المتكلم عن قصده لإنجاز فعل ما ليست نفسها في جميع السياقات، فالقوة الإنجازية في توجيه الوالد أمرا لولده، ليست نفسها عند توجيهه أمرا لابن جاره؛ ويعتبر أوستين أنّ الإظهار الصريح للمقولة هو ما يكسبها عزمًا وقوة، فمثلا التعبير عن الندم بالقول "أعتذر" صريح وأكثر قوة من القول "أنا آسف" - خاصة في اللغة الإنجليزية-؛ أما سيرل فنجدته يبدي رأيا آخر يعترض به على أوستين، حيث يقول إنّه قد خلط بين القوة الإنجازية illocutionary force والغرض الإنجازي illocutionary point واعتبرهما شيئا واحدا، بينما هما يختلفان، فالغرض الإنجازي للالتماسات هو نفسه الغرض الإنجازي للأوامر، لكن قواهما الإنجازية مختلفة بشكل بيّن⁽²⁾، وبالتالي فالقوة الإنجازية تتمثل في قوة المنطوق الأدائية التي هي جزء من بنيته الدلالية، فهي الشدة أو الضعف اللذان يعبر بهما عن الغرض الإنجازي في موقف اجتماعي معين، أيّا كان هذا المؤشر أو العلامة الدالة على تلك القوة؛ كما أنّ القوة الإنجازية جزء من المعنى، إذ لا يمكننا أن نفصل بين درجات قوة الفعل الإنجازي دون فهم المعنى الدلالي والوظيفي للمنطوق، والذي لا يتم إلا بمساندة السياق وعناصره.⁽³⁾

¹ - «The illocutionary force of a speech act is the effect a speech act is intended to have by a speaker. » Yan Huang, *The Oxford Dictionary of Pragmatics*, Oxford University Press, 2012.

² - J.Searle, *Expression and Meaning*, Ibid, p 3.

³ - ينظر: علي محمود حجي الصراف، الأفعال الإنجازية في اللغة العربية، مكتبة الآداب، القاهرة، 2010، ص 267.

2-2. مميزات وضوابط القوّة الإنجازية:

للقوّة الإنجازية ما تختص به، ومن ذلك شدّتها التي تضعف وتقوى نتيجة عوامل عديدة تتحكم فيها، نذكر منها ما جاء به أوستين - باعتبار أنّ السبق كان له في هذه النظرية - وهي:

- أ- التّسق (الصيغة، Mood):⁽¹⁾ فلو أخذنا صيغة الأمر باعتبارها الصيغة المستخدمة بكثرة لإنجاز الطلبات أو تقديم التعليمات والحث والاستئذان... يمكن أن نقول "أغلق الباب" وفق كثير من السياقات:
- "أغلقه، افعل" كأننا نقول "أمرك بإغلاقه".
 - "أغلقه، إن شئت" أي "أسمح لك بأن تغلقه".
 - "أغلقه، إن كنت تجرؤ" أي "أتحدّك أن تغلقه".

إذن للصيغة التي يصدر وفقها المتكلم مقولته تأثير كبير في تبيان مدى القوة الإنجازية للفعل، وحتى المعنى الكلي للمقولة.

- ب- نبرة الصوت وشدّته (التنغيم، Tone of Voice):⁽²⁾ تتعلّق هذه الخاصية باللغة المنطوقة أكثر من المكتوبة إذ يصعب إظهارها في الكتابة رغم وجود علامات الوقف، مثلاً:

- سيكلّفنا! (إنذار).
- سيكلّفنا؟ (سؤال).
- سيكلّفنا؟! (احتجاج).

¹ - ينظر: أوستين، الفعل بالكلمات، مصدر سابق، ص 108.

² - ينظر: المصدر نفسه، ص 108.

فبيرة صوت المتكلم هنا وتشديده على حروف دون أخرى، واختلاف "البنية التنغيمية"⁽¹⁾ رغم وحدة المحتوى القضي هو ما يكسب المقولة دلالتها ويبرز القوّة الإنجازية المقصودة من قبل المتكلم.

ت- الظروف والمركبات الظرفية (أشباه الجمل، Adverbial phrases):⁽²⁾

للظروف وشبه الجمل الظرفية دورها في تحديد القوّة الإنجازية للمقولة فقولنا "لا تنس هذا الأمر" تختلف من حيث القوة الإنجازية عن: "لا تنس هذا الأمر أبدا" إذ زادها شدة وتأكيذا، وكذا "أخبرني عمّا حصل" و"أخبرني الآن عمّا حصل".

ث- أدوات الربط (Connecting particles):⁽³⁾ لا يقصد هنا أوستين الحروف

الرابطة كحروف العطف فقط، بل يرى أنّه قد تستخدم كلمة كلّها كأداة ربط، مثل: بموجب القانون، زيادة على ذلك، بيان، بلاغ، لكنّ، إذا...

وتسهم هذه الروابط في تبيان ما تحمله المقولة من قوّة إنجازية، فبالقول: "لكنّ"

استدراك، وبالقول: "إذن" استنتاج...

ج- المكونات المصاحبة للمقولة (Accompaniments of the utterance):⁽⁴⁾ والمقصود بها ما يقوم به المتكلم عند إصداره للمقولة من أفعال

كالغمز وعقد الحاجبين والتأفف وهز الكتفين... ولهذه الأفعال دورها أيضا في تبيان قصد المتكلم حين تلقّظه بمقولة ما فإذا أرفق مقولته بالتبسّم فقد يدل هذا

على رضاه وعكس ذلك لو صاحبها بالتأفف.

¹ - أحمد المتوكل، آفاق جديدة في نظرية النحو الوظيفي، مرجع سابق، ص 33.

² - ينظر: أوستين، الفعل بالكلمات، مصدر سابق، ص 109.

³ - ينظر: أوستين، الفعل بالكلمات، مصدر سابق، ص 110.

⁴ - ينظر: المصدر نفسه، ص 110.

ح- ظروف المقولة (The circumstances of the utterance):⁽¹⁾ ما تقدمه ظروف المقولة على مهم للغاية ويؤثر بشكل كبير في القوة التي تتضمنها المقولة، مثلا: "بما أنه هو الذي قال ذلك، أعتبر أنني تلقيت أمرا وليس طلبا"، وتدخل ظروف المقولة ضمن ما يسمى بالسياق الذي سنُفرد له مبحثا لاحقا.

إذن العوامل الست التي ذكرناها كلها تسهم في تحديد القوة الإنجازية للمقولة، بل وتحديدها على أدق وجه حتى لا يقع اللبس على السامع، وهذا ما يؤكده سيرل، حيث يرى أنّ وسائل إظهار القوة الإنجازية هي: ترتيب الكلمات في المقولة (Word order)، النبر (Stress)، التنغيم (Intonation)، علامات الوقف (Punctuation)، صيغة الفعل (Mood)، واستخدام الأفعال الأدائية مثل: أعد، أحذر، أقتبس...⁽²⁾، ويسمي سيرل هذه العوامل بمؤشرات أو دلائل القوة الإنجازية (illocutionary force indicator).

إذن القوة الإنجازية تتضمن غرضا إنجازيا -سبق الحديث عنه- وكذا مؤشر يدل عليها، هذا الأخير كما يراه سيرل له قواعد يُستعمل وفقها، وقد اشتقّ هذه القواعد من شروط نجاح الفعل الإنجازي وتقوم هذه القواعد على محتوى قضوي وقواعد تمهيدية وصدق النية وقواعد أساسية، وحاول سيرل الوقوف على القوى الإنجازية لمجموعة من الأفعال الكلامية سنقف على واحد منها:⁽³⁾

¹ - ينظر: أوستين، الفعل بالكلمات، ص 111.

² - J. Searle, What is a speech act? p41.

نقلا عن: -صلاح إسماعيل عبد الحق، التحليل اللغوي عند مدرسة أوكسفورد، مرجع سابق، ص 219.

³ - جون سيرل، الأعمال اللغوية: بحث في فلسفة اللغة، مصدر سابق، ص 116.

الفعل الكلامي	استفهم، سأل
المحتوى القضوي	أيّ قضية.
أصناف القواعد	1- لا يعرف المتكلمّ الجواب أيّ أنّه لا يعرف ما إذا كانت القضية صادقة، أو أنّه لا يعرف المعلومة اللازمة لإتمام القضية على نحو صادق. 2- ليس من البديهي لكلّ من المتكلمّ والسامع أنّ السامع سيقدّم المعلومة من دون أن يسأل عنها.
صدق النية	المتكلمّ راغب في الحصول على المعلومة.
الأساسية	يُعدّ سعياً للحصول على المعلومة من السامع.
التعليق	في الأسئلة الحقيقية يرغب المتكلمّ في معرفة الجواب، أمّا في الأسئلة الامتحانية فإنّه يرغب في معرفة ما إذا السامع عالماً بالمعلومة.

وكذا بقية الأفعال الكلامية تخضع لنفس القواعد، فتوجيه الأمر مثلاً، مبني على قواعد تمهيدية هي كون المتكلمّ صاحب سلطة تجاه السامع، وصدق النية يتمثل في رغبة المتكلمّ وقوع العمل الذي أمر به، والقاعدة الأساسية هي قصد المتكلمّ من خلال قوله حمل السامع على تنفيذ العمل، كما أنّ هناك أفعالاً تُنجز وتُحقّق فيها القوى الإنجازية دون محتوى قضوي أو قاعدة صدق النية، كفعل التحية الذي يقتصر على قاعدة تمهيدية هي التقاء المتكلمّ بالسامع وقاعدة أساسية تتمثل في كون الإدلاء بالتحية يُعدّ إشارة لبقة إلى أنّه وقع التعرّف على السامع⁽¹⁾.

ويرى سيرل هنا أنّ قاعدة صدق النية - التي تُعدّ أحد شروط استخدام مؤشر القوة الإنجازية - تتعلّق بحالات نفسية مخصّصة يعبر عنها المتكلمّ، فالإخبار والتأكيد والإثبات تعبير

¹ - جون سيرل، الأعمال اللغوية: بحث في فلسفة اللغة، ص 119.

عن اعتقاد، والالتماس والأمر والوصية تعبير عن رجاء أو رغبة، والشكر والترحيب والتهنئة تعبير عن امتنان أو سرور؛ أما القواعد التمهيدية فترتبط بالاستلزام، أي أن المتكلم حين ينجز فعلا كلاميا فهو يستلزم من خلاله أن الشروط التمهيدية قد استوفيت، فالإثبات يستلزم من المتكلم أن في وسعه تدعيمه، والوعد يستلزم منه أن الموعود به في صالح السامع، والشكر يستلزم أن الذي شكرت من أجله قد أفادك⁽¹⁾، ويقرّ سيرل أن القوى الإنجازية تستدعي في الواقع مبادئ للتمييز كثيرة وشديدة الاختلاف، كالغاية من الفعل هل هو إثبات أم استفهام، والعلاقة القائمة بين المتكلم والسامع تحدّد هل القوة الإنجازية أمر أم التماس، ودرجة الالتزام تميّز بين مجرد التعبير عن نية والوعد، والفرق في المحتوى القضوي كالفرق بين التوقّع والرواية، والفرق في كميّة تعلق القضية بمصالح المتكلم والسامع كالفرق بين التحذير والتوقّع، وكذا الفرق بين الحالات النفسية المعبر عنها، و الفرق بين الطرق التي يتعلّق بها القول كالفرق بين التعليق على أمر معين والاعتراض عليه.⁽²⁾

كما يؤكّد سيرل على أن نفس المحتوى القضوي يمكن أن يمثّل إنجازا لأفعال كلامية متعدّدة، بسبب الأبعاد الكثيرة والمختلفة للقوى الإنجازية، وكذا للمقاصد المختلفة التي يُلقى فيها القول، ويقدم لنا في هذا الصدد المثال التالي: زوجة في حفلة تقول: "لقد تأخر الوقت كثيرا"، فهذا القول قد يكون إثباتا لواقعة، كما قد يكون اعتراضا على المخاطب الذي اعتبر أن الوقت ما يزال مبكرا، كما قد يكون اقتراحا من الزوجة للعودة إلى البيت أو حتى تحذيرا لزوجها بأنّه لن يستطيع النهوض للعمل غدا⁽³⁾؛ يقول سيرل: "نحن نخبر الناس بالكيفية التي تكون عليها الأشياء، ونحن نحاول أن نجعلهم يفعلون أشياء، ونحن نُلزم أنفسنا بفعل أشياء، ونحن

¹ - ينظر: جون سيرل، الأعمال اللغوية: بحث في فلسفة اللّغة، ص 120، 121.

² - جون سيرل، الأعمال اللغوية: بحث في فلسفة اللّغة، ص 124.

³ - جون سيرل، الأعمال اللغوية: بحث في فلسفة اللّغة، ص 125.

نعبر عن مشاعرنا وتصرفاتنا... وغالبا ما نفعل أكثر من شيء واحد من تلك الأشياء مرة واحدة وبالمنطوق نفسه" (1)

إذن القوة الإنجازية انطلاقا مما سبق وبالاستناد إلى مفهوم الفعل الكلامي غير المباشر لدى سيرل نوعان هما: (2)

- قوة إنجازية حرفية: تدلّ عليها المقولة بشكل مباشر، وهي أبسط حالات المعنى، حيث يعني المتكلم ما يقوله بدقة وبصفة حرفية، مثل: هل أذن المؤذن لصلاة المغرب؟ فالقوة الإنجازية هنا حرفية مباشرة تتمثل في السؤال؛ والقوة الإنجازية الحرفية تلازم المقولة في مختلف المقامات التي ترد فيها، يقول سيرل متحدّثا عن القوة الإنجازية التي يقصدها المتكلم بذاتها كما جاءت في الجملة المنطوقة حرفيا: "ففي مثل هذه الحالات ينتج المتكلم أثرا إنجازيا Illocutionary effect يقصد به مستمعا ما، ويستهدف التأثير فيه انطلاقا من معرفة المستمع بالضوابط التي تحكم منطوق الجملة (المنطوق الحرفي)، ولكن ليست جميع حالات المعنى كهذه الحالة البسيطة" (3)، فهو يشير من خلال الجملة الأخير إلى النوع الثاني من القوى الإنجازية.
- قوة إنجازية مستلزمة: تتولد عن القوة الإنجازية الحرفية طبقا لمقتضيات مقامات معيّنة، فإذا تعيّر المقام تتغيّر، مثل: هل تحمل عني بعض الأكياس؟ فعلى الرغم من دلالة العناصر المعجمية للجملة و الاستفهام المؤشر على قوتها الإنجازية فالقوة الإنجازية

1- « We tell people how things are, we try to get them to do things, we commit ourselves to do things, we express our feelings and attitudes and we bring about changes through our utterances. Often, we do more than one of these at once in the same utterance. » J.Searle, Expression and Meaning, Ibid, p29.

2- ينظر: أحمد المتوكل، آفاق جديدة في نظرية النحو الوظيفي، مرجع سابق، ص22.

3- Look : J.Searle, Expression and Meaning, Ibid, p30.

المستهدفة ليست السؤال إنما هي تستلزم قوة إنجازية أخرى تتمثل في الالتماس، كما أنّ القوة الإنجازية المستلزمة ثانوية و غير صريحة بالنسبة إلى القوة الإنجازية الحرفية الصريحة، بحيث يمكن أن تلغى ، فتدلّ على مجرد الاستفسار عن قدرة المخاطب على حمل بعض الأكياس أم لا، دون أن يساعد المتكلم في ذلك؛ كما أنّ التوصل إليها يقتضي استدلالاً ذهنياً يتعقّد بحسب المقام والعلاقة بين المتكلم والمخاطب حتى يستنتج قصد المتكلم؛ والقوى المستلزمة مستعملة بكثرة في أحداثنا اليومية وأحياناً أكثر من القوى الإنجازية الحرفية، لدرجة أنها أصبحت تعد قوى حرفية ثانية لا تقل أهمية عن القوى الحرفية الأصلية، بل في أحيان كثيرة تتفرد القوة الإنجازية المستلزمة بتشكيل مجال العبارة الإنجازي مثل قول رئيس حكومة سابق في عرضه لبيان السياسية العامة في قبة البرلمان: " نحن لا نتكلم لنخوّف الشعب أو لنستغلّ الماضي... لكن حتى المسيرات في سوريا بدأت بالورود وانتهت بالدم"⁽¹⁾، فالقوة الإنجازية الحرفية هنا لا تؤدي الغرض الإنجازي، بل على المخاطب(الشعب) أن يتلقّف القوة الإنجازية المستلزمة المتمثلة في التهديد، رغم أنّ المتكلم ينفي أنّه يهدّد بل يشير ويؤكد أنّه متقيّد فقط بالقوة الإنجازية الحرفية المتمثلة في الإخبار؛ كما أنّ القوة الإنجازية قد تتعدّد في المقولة الواحدة مثلاً: أ لم تنه بعدُ الواجب؟

أ- القوة الحرفية "السؤال" المنصبة على إنهاء الواجب.

ب- القوة المستلزمة "الاستبطاء"، فتفهم الجملة كالتالي: لقد أبطأت في إنهاء الواجب.

ت- القوة المستلزمة "التحضيض"، فتكون الجملة كالتالي: هلاًّ أنهيت الواجب.

¹ - موقع جريدة الشروق الجزائرية الإلكترونية، يوم الخميس 2019/02/28، الرابط:

<https://www.echoroukonline.com>

ومما تجدر الإشارة إليه أنّ المتكلم قد يقصد قوّة إنجازية ما لكنّها لا تبدو في الجملة لكونها متضمّنة في المعنى الأصلي وبالتالي ففوق التّأثير على السامع دليل على استيعابه للمعنى وقوّته، ولمّا كان للسياق دور أساسي في فهم السامع لقصد المتكلم والقوّة الإنجازية التي يوجّهها إليه والتدليل على الغرض الإنجازي المطلوب منه، حاولنا الوقوف على مفهوم السياق في الفعل الكلامي.

2-3. السياق في الفعل الكلامي:

بما أنّ الأفعال الكلامية لا تنجز إلا بوجود متكلم يُصدر الفعل الإنجازي ويتوق إلى تحقّقه لدى مستمع ويروم نجاحه، وبما أنّ نجاح ذلك الفعل الإنجازي لا يتحقّق إلاّ إذا حدث بين المتكلم والمستمع تواصل سليم خال من العيوب وفق الشروط التي رأيناها سابقا، ومنها انتماؤهما لجماعة لسانية واحدة (بحيث إذا كان المتكلم أعجميا والمستمع لا يفهم لغته فإنّ الفعل الإنجازي قد لا ينجح)، وكذا وجودهما في بيئة وظروف معيّنة، فإنّ السياق بالتالي ضروري لنجاح المتكلم في أداء الفعل الإنجازي وتوضيح قصده منه وإبراز غرضه الإنجازي وممارسته لقوّته الإنجازية تجاه المستمع الذي بدوره يستعين بعناصر السياق ليحدّد ما يهدف إليه المتكلم، والظاهر أنّ للسياق مفهومين:

1- السياق اللغوي.

2- سياق التلفظ أو سياق الحال أو سياق الموقف.

فالسياق اللغوي ظلّ المفهوم الأكثر شيوعا في البحوث اللغوية، "وهو ما عبّر عنه ستيفن أولمن (Stephen Ullmann) بأنّه النظم اللفظي للكلمة وموقعها من ذلك النظم"⁽¹⁾، وهذا

¹ - عبد النعيم خليل، نظرية السياق بين القدماء والمحدثين، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، مصر، 2007، ط1، ص37.

المفهوم يبرز أنّ الكلمة خارج نظم معيّن يصعب الوقوف على معناها، لذا يبيّن أولمن بأنّ موقع الكلمة ضمن نظم معيّن هو ما يحدّد معنى تلك الكلمة، فالسياق اللّغوي "هو معنى الكلمة في الجملة أو العبارة، أو بمعنى آخر المعنى الذي يُفهم من الكلمة بين الكلمات السابقة واللاحقة لها في العبارة أو الجملة، ويتمثّل ذلك في العلاقات الصوتية والصرفية والنحوية والدلالية بين هذه الكلمات على مستوى التركيب، فقد نجد كلمة ما يختلف معناها باختلاف الكلمات التي تكوّن معها جملة أو عبارة"⁽¹⁾ أي أنّه كل ما يتعلّق بالبنية الداخلية للّغة، وما تُجسّده من تنابعات لغوية في شكل الخطاب من وحدات صوتية وصرفية ومعجمية، وما بينها من علاقات تركيبية أو دلالية⁽²⁾، فالكلمة لا يتحدّد معناها إلا بوجودها ضمن سياق لغوي معيّن، "ولهذا يصرّح فيرث (Firth) بأنّ المعنى لا ينكشف إلاّ من خلال تسييق الوحدة اللّغوية...وعلى هذا فدراسة معاني الكلمات تتطلب تحليلاً للسياقات والمواقف التي ترد فيها... ويمكن التمثيل للسياق اللّغوي بكلمة (good) الإنجليزية التي تقع في سياقات لغوية متنوعة وصفا ل: أشخاص، أشياء مؤقتة، مقادير، فإذا وردت في سياق لغوي مع كلمة (رجل) كانت تعني الناحية الخلقية، وإذا وردت وصفا لطبيب كانت تعني التفوّق في الأداء، وإذا وردت وصفا للمقادير كان معناها الصفاء والنقاوة...وهكذا"⁽³⁾ ومن هنا يتّضح دور السياق اللّغوي في تحديد المعنى، هذا الأخير الذي يحدّد طبيعة القوى الإنجازية للكلام؛ والسياق اللّغوي يتكوّن من مستويين اثنين:⁽⁴⁾

1- الكلمات المجرّدة باعتبارها مجموعة من الفونيمات المترابطة التي تعطي معنى معيناً، بالإضافة إلى القواعد المنظّمة لترتيب هذه الكلمات على مستوى التركيب.

¹ - عبد النعيم خليل، نظرية السياق بين القدماء والمحدثين، ص33.

² - يُنظر: تَمّام حسان، اجتهادات لغويّة، عالم الكتب، مصر، 2007، ط1، ص237.

³ - أحمد مختار عمر، علم الدلالة، عالم الكتب، مصر، 1998، ط5، ص68-70.

⁴ - عبد النعيم خليل، نظرية السياق بين القدماء والمحدثين، مرجع سابق، ص37.

2- الكلمات مرتبطة بأنواع من السياقات الصوتية كالتنعيم والنبر، بحسب المعنى الدلالي الذي يتفق مع هذه الدلالات.

إلا أنّ مفهوم السياق قد أخذ منحى آخر في الدرس التداولي مع مالينوفسكي (Malinowski) ليشهد اتساعاً أكثر، بحيث لم يعد السياق مقتصرًا على داخل اللغة، بل أصبح يشمل العناصر الخارجية غير اللغوية، أو ما يحيط بالمقولة، والذي يسميه مالينوفسكي سياق الحال (Context of situation)، حيث يقول: "على الرغم من بساطة الجمل في اللغات البدائية التي درستها، إلا أنّ هذه البساطة تخفي قدرًا كبيرًا من التعبير لا يمكن الوصول إليه إلا بالموقف أو السياق"⁽¹⁾، فهو بهذا يركّز على مجموع الظروف الاجتماعية والثقافية التي تحيط بالمقولة - باعتباره كان عالماً أنثروبولوجيًا - لفهمها فهما صحيحًا، وكذا أنّ العلاقة بين المتكلم ودوره الاجتماعي وطيدة جدا، فالمتكلم الرئيس ليس كالمكلم الإمام ولا كمتكلم آخر، فالمتكلم الرئيس قراراته نافذة والمتكلم الإمام نصائحه مقبولة ومعمول بها... وهكذا، أي أنّ الظروف الاجتماعية باعتبارها جزءًا من السياق لها دور في أداء الفعل الكلامي، وقد تأثر فيرث بأعمال مالينوفسكي وأسس انطلاقًا منها نظريته السياقية، مركّزا على العلاقات الداخلية لسياق الحال من ملامح الأشخاص، والأفعال القولية لهم، وكذا الأفعال غير القولية، وما يتعلّق بالموقف الكلامي، والتأثيرات التي تحدثها تلك الأفعال القولية على حد تعبيره⁽²⁾.

وهنا قد يلتبس على الباحث مفهوم السياق لدى الحدائين مع مفهوم المقام لدى العرب القدامى، وقد ألمح إلى ذلك تمام حسان في تحديده الفروق بين المقام والسياق، وردّ ذلك إلى ما انطوت عليه كل ثقافة، حيث قال: "لقد فهم البلاغيون المقام أو مقتضى الحال فهما سكونيا

¹- عبده الراجحي، اللغة وعلوم المجتمع، تح: محمود عبد الصمد الجيار، دار الصحابة للتراث، مصر، 2013، ط1، ص22.

²- ينظر المرجع نفسه، ص 27.

قالبيا نمطيا مجردا ثم قالوا لكل مقام مقال، وبهذا يصير المقام عند البلاغيين سكوني (Static) والذي أقصده... إنما هو جملة الموقف المتحرك الاجتماعي الذي يعتبر المتكلم جزء منه، كما يعتبر السامع والكلام نفسه." (1)

وقد "استعمل مفهوم السياق بمضامين مختلفة في البحوث اللسانية، وكثيرا ما يستعمل لتعيين المحيط اللغوي للفظ أو لقول، أي الخطاب الذي يظهر فيه هذا القول، ويمكن أن يعني أيضا جملة من المعلومات التي تتوفر للمخاطب ويعتمدها لتأويل الخطاب أو جزء من الخطاب المعني، ويستعمل دان سبربر، ودايدر ويلسن، (Dan Sperber and Deirdre Wilson) لفظ السياق بالمعنى الثاني مع بعض الخصوصيات فهما يذهبان إلى أنّ السياق ليس معطى مرة واحدة وإنما يبنيه المخاطب قولاً بعد قول بناء على معلومات من مصادر متعددة وبناء على مبدأ المناسبة." (2)

أما فان ديك فقد ربط السياق بالنصوص والخطابات، هذه الأخيرة التي تقوم عليها التداولية، فالسياق لديه هو: "تجريد عالي الصورة المثالية مأخوذ من موقف معين، وهو يحتوي فقط على أحداث تعين على نحو مطّرد مناسبة العبارات المتواطئ عليها، وجزء من مثل هذه السياقات قد يكون على سبيل المثال أفعال كلام المشاركين وتكوينهم الداخلي (معرفتهم، واعتقادهم، وأغراضهم، ومقاصدهم) كما قد تكون الأفعال المنجزة ذاتها وبنياتها والصفة الزمانية والمكانية للسياق حتى يمكن وضعها في محل عالم ممكن متحقق" (3)

¹ - ينظر: عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب مقارنة تداولية، كنوز المعرفة، ط2، 2015، الأردن، ص77-78.

² - جاك موشر وأن ريبول، القاموس الموسوعي للتداولية، المركز التونسي للترجمة، دار سناترا، 2010، تونس، ص567.

³ - فان دايك، النص والسياق، مرجع سابق، ص 328.

كما انتبه أوستين إلى الأهمية الكبرى للسياق في نظريته الأفعال الكلامية، حيث تحدّث عنه في مواضع عديدة، ومن ذلك قوله: "لكي نفهم ما يمكن ألاّ يصحّ بشأن التصريحات، لا يسعنا الاكتفاء بالتركيز على العبارة المعنية (أيًا كانت) كما يفعل المحلّلون التقليديون، بل علينا أن ننظر في المقام الذي صدر فيه الفعل الكلامي بأجمعه (Speech-situation)"⁽¹⁾ فقد ربط أوستين فهم التصريح بضرورة استيعاب المقام الذي قيل فيه الفعل الكلامي، ودونه لا يتحقّق الفهم لدى السامع، ويؤكّد ذلك في موضع آخر بقوله: "تبقى الطبيعة الأدائية للمقولة، رهن سياق المقولة (context of the utterance)"⁽²⁾، فقد يجعل السياق المقولة تحذيرية ويكسبها قوّة إنجازية حتى لو لم تتضمّن كلمة "أحدّر"، أو قد يؤدي إلى عدم اعتبارها تحذيرية ويسلبها قوّتها الإنجازية حتى وإن تضمّنت تلك الكلمة؛ وفي نفس الصدد يقرن أوستين نجاح التصريح بما يحيط به من ظروف مقامية، حيث يقول: "للتفق على أنّ جميع ظروف المقام (circumstances of situation) يجب أن تكون في محلّها لأفّح بالتصريح بشيء ما"⁽³⁾، ثمّ يشيد بالوعي الذي بدأ يتنامى لدى فلاسفة عصره حين بدأوا يهتمون بالسياق فيقول: "بدأ الوعي يتزايد بأنّ مناسبة الإدلاء بالمقولة مهمّة جدًّا، وأنّ الكلمات المستخدمة يفسّرها إلى حدّ ما، السياق الذي أعدّت فيه أو الذي قيلت فيه ضمن تبادل لساني معيّن."⁽⁴⁾

إذن السياق بمعناه الأوسع وما يتضمّنه من شبكة عناصر شديدة الترابط، متجدّد باستمرار لدرجة أنّ المتكلّم لا يمكنه أن يلقي المقولة نفسها في السياق نفسه مرّتين، فإذا افترضنا أنّه في حفلة زفاف يقوم المدعوون بتهنئة العريسين، فرغم أن الظروف نفسها وحتى مقولة التهنئة قد تتكرّر

¹ - جون أوستين، الفعل بالكلمات، مصدر سابق، ص 83.

² - المصدر نفسه، ص 125.

³ - المصدر نفسه، ص 185.

⁴ - المصدر نفسه، ص 138.

"مبارك لكما"، إلا أنّ القصد من مهنيّ لآخر يختلف، و بالتالي فالسياق عامل أساسي ومهم جدًا في تحديد قوى الأفعال والجمل الإنجازية، وهو ما يوضّح قصد المتكلّم وغرضه الإنجازي من كلامه، ودونه قد يلتبس الأمر على السامع فلا يقع الفعل الإنجازي المقصود ولا يتحقق الغرض المنشود، لذا وجب أخذه بعين في دراسات الأفعال الكلامية.

2-4. أنواع السياق في الفعل الكلامي: (1)

أ- **السياق النصي:** يرتبط بالعلاقات التي تتجاوز الإحالة بين الجمل، وتنظر إلى النص بوصفه نظاما أكبر في النحو يُمكنُ المتلقي أن يكتشف دلالاته من خلال الوحدات الكبرى مثلما نجده في لسانيات النص.

ب- **السياق الوجودي:** هو سياق مرجعي يرى الفلاسفة أنه يتضمن (عالم الأشياء-الأحداث -حالاتها) التي ترجع إليها التعبيرات اللغوية، وهي إشارات تقود للدلالة.

ت- **السياق المقامي:** هو صنف متأصل في المحددات الاجتماعية، يوفر بعض العوامل أو المحددات التي تسهم في تحديد معاني التعبيرات اللغوية، كأن يكون السياق إطارا للمؤسسات (كالمحكمة أو المدرسة أو الإدارة) أو لأوضاع الحياة اليومية (تسوق-عمل-تسليّة) فكّلها سياقات قادرة على تأطير المحادثة في الخطابات أو النصوص الكبرى.

ث- **سياق الفعل:** يرى أوستين أن تتابعات الجمل ليست بالضرورة تعبيرات وصفية فقط، بل هي في معظمها منطوقات أدائية تتفاوت من حيث القوة الإنجازية، في ضوء العرف الاجتماعي التعاقدية لإنتاج اللغة بين المتخاطبين.

¹ - ينظر: عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب مقارنة تداولية، مرجع سابق، ص 79-81.

ج- السياق النفسي: السياق النفسي يترتب على وجود سياق فعل لغوي مقصود، يقود إلى دمج الحالات الذهنية والنفسية في تداول اللغة، لتصبح المقاصد والرغبات حالات ذهنية مسئولة عن التأثير والتأثر الناتج عن الأفعال الكلامية الإنجازية.

2-5. القوة الإنجازية لدى الجرجاني:

تنبّه علماءنا العرب القدامى إلى معنى القوة الإنجازية في كتاباتهم وإن لم يتوصلوا إليها كمفهوم مستقل، لذا أردنا تبيان نموذج مقتضب لذلك، فمن خلال وقوفنا على مناقشات الجرجاني لبعض القضايا التي تناولها الأوائل من البلاغيين في باب المعاني، مثل الكندي والمبرد في تجلية الفروق بين قول العرب (محمود قائم- وإن محمودا قائم- وإن محمودا لقائم)، فاعتبر الكندي أنّ زيادة الحروف من جملة إلى أخرى مجرد حشو، بينما خالفه المبرد الرأي حيث أثبت أنها تجعل المعنى مختلفا من جملة إلى أخرى، لأن " المعاني مختلفة باختلاف الألفاظ فقولهم: عبد الله قائم، إخبار عن قيامه، وقولهم: إن عبد الله قائم: جواب عن سؤال سائل، وقولهم إن عبد الله لقائم: جواب عن إنكار منكر قيامه، فقد تكررت الألفاظ لتكرر المعاني"⁽¹⁾، ويدلّ هذا على إدراك الجرجاني والمبرد قبله لمعنى القوة الإنجازية ومحدداتها من خلال التفريق بين الجملة الخالية من أدوات التوكيد والتي تدلّ على الإخبار، وبين الجملتين المتضمنتين لتلك الأدوات (إنّ، لام التوكيد) إذ تدلّ إحداها على السؤال والأخرى على إنكار المتكلم، وكذا توصله إلى قصد المتكلم انطلاقا من الجواب، وإن كانت نظرية الأفعال الكلامية تحدد الفعل الإنجازي وقوته وغرضه بعد النظر في المقولة المنطوق بها أو الجملة المكتوبة، فإنّ المبرد توصل إلى الفعل

¹ -الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص315، نقلًا عن: محمد مشبال، البلاغة والخطاب، منشورات الاختلاف/ضفاف- دارالأمان، 2014، ص134.

الإنجازي الذي قام به المتكلم انطلاقاً من جواب السامع، وهذا ما يبرز مدى حذاقة هؤلاء العلماء في علوم اللّغة؛ وإنّ مراعاة الفروق البلاغية _لاحقاً_ من طرف البلاغيين بعد الجرجاني جعلتهم يهتدون إلى تصنيف الخبر إلى (ابتدائي-طلبي-إنكاري).

في حين أنّ الجرجاني بتحليله لظواهر البلاغة والأسلوبية المرتبطة بنظرية النظم، يجعل الواحد منا يتجاوز حصر الخبر بأدوات التأكيد المعروفة، إلى تحقيق ذلك بتراكيب نظامية متعددة، واستحضار حالات تداولية كثيرة، تتجاوز إثبات الخبر لتؤدي معان أخرى مختلفة باختلاف السياق والمفهومية للكلام، وبهذا تتأكد القوة الإنجازية للأفعال من نظم الكلام، ومن ترتيب الكلم، لتتزع قوة فعلها المعبر عنها من خلال النظم، ومن هنا تتجلى العلاقة الجدلية بين نظرية النظم، ونظرية أفعال الكلام التي أسسها أوستن، خاصة فيما يتعلق بدرجات القوة الإنجازية للفعل، حيث إن مستويات الإنجاز ليست على درجة واحدة من القوة والأداء.⁽¹⁾

3- العلاقات الدلالية للأفعال الإنجازية:

حاول بعض الدارسين العرب المعاصرين إيجاد علاقات دلالية تربط بين الأفعال الإنجازية انطلاقاً من التشابه الذي رأوه بين المجالات الدلالية وأصناف الأفعال الإنجازية؛ إذ بما أنّ معنى الكلمة لا يتضح إلاّ من خلال علاقاتها مع الكلمات الأخرى ضمن المجال الذي تنتهي إليه، فبالتالي كلّ لفظ إنّما يختلف عن الآخر ولو بملح واحد على الأقل في مجال واحد، وهو ما يعين الدلالة الخاصة بالكلمة بصورة تميزها عن غيرها، وهذا الاختلاف في الملامح هو ما يبني

¹ - ينظر: محمد مشبال، البلاغة والخطاب، ص 135.

هذه العلاقات بكافة صورها⁽¹⁾، والعلاقات الدلالية لا يمكنها أن تخرج عن واحد من المجالات المعجمية التالية: (2)

1- **الترادف**: إن علاقة الترادف في معناها الواسع أن الجمل والأفعال الإنجازية مع ما يكون بينها من اختلاف في التركيب أو في الطول والقصر، إلا أنها ترمي إلى فعل واحد لاتفاقها في الدلالة مثل: أدرك، أدري، أعرف، فرغم اختلاف الأفعال الإنجازية إلا أنّ لها دلالة واحدة.

2- **الاشتمال أو التضمن**: علاقة التضمن أو الاشتمال تختلف عن الترادف من حيث التكافؤ، فهنا التضمن معناه أن يكون (أ) مشتملا على (ب) أي أن (ب) فرع من (أ)، مثل: أحتاج، أريد، أطلب، ألتمس. متضمّنة في الالتماسات والالتماسات متضمّنة في طلبات الأداء أو الترك وطلبات الأداء متضمّنة في فئة الأفعال الإنجازية للتوجيهيات.

3- **علاقة التضاد**: هي علاقة معروفة في الدرس البلاغي لدى العرب منذ أمد بعيد جدا، والتضاد أنواع متفاوتة الحدة، المهم أنّها تحقق التقابل دلاليا مثل: أعرف-أجهل، أكره-أحب.

4- **علاقة التنافر**: هي علاقة شبيهة بالتضاد لكنها تعني عدم التضمن من الجهتين (أ) لا يشتمل على (ب) و(ب) لا يشتمل على (أ)، كالعلاقة بين الأفعال: أنوي-أكتب-أستمع. لا توجد بينها أيّة رابطة دلالية تقرّبها من بعضها البعض.

¹ - ينظر: علي محمود حجي الصراف، الأفعال الإنجازية في اللغة العربية، ص 256.

² - ينظر: المرجع نفسه، ص 256-266.

5- علاقة تعدد المعنى: تتعلق بالكلمات التي لها معاني مختلفة، ولا يتم الحسم في دلالتها إلا بالنظر إلى السياق الذي قيلت فيه، مع أنها يمكن تحقق التضامن أو التضاد مثل: أخشى تدل على الخوف كما يمكن أن تدلّ على الظنّ.

3-1. كلية أفعال الكلام الإنجازية وقوتها:

تعني كلية أفعال الكلام الإنجازية فيما تعنيه أنها متوالية من الأفعال الإنجازية، مثلها مثل الأفعال المجردة، تستدعي تخطيطات وتأويلات، ترمي إلى قصد معين وتخطيط وتفهم، وكل ما في الأمر أنها تجتمع برمتها على فعل إنجازي واحد، وبالتالي فإنها أقل قوة من الفعل الكلامي الإنجازي المجرد، وأنسب تسمية لمثل هذا نوع من الأفعال الكلامية الإنجازية، الفعل الكلامي الشامل، أو الكلي. (1)

ومن أمثلة ذلك ندرج الحوار الهاتفي الآتي بين أحمد وبشير:

أ- مرحبا!

ب- نعم، من معي؟

أ- أهلا بشير، أنا أحمد.

ب- أهلا وسهلا، كيف حالك أحمد؟

أ- الحمد لله، ألا يزال ذلك الحاسوب الذي لم تعد ابنتكم تستخدمه لديكم؟

ب- نعم لا يزال موجود، لماذا؟

أ- لعلمك أنني وعدت هيثم أن أهديه حاسوبا إذا تحصل على مجموع جيد، وها قد وفى

بما عليه، وبقي أن أوفى بما علي.

¹ - ينظر: فان ديك، النص والسياق، ترجمة عبد القادر قنيني، دار إفريقيا الشرق، 2013 المغرب، ص 407.

ب- وماذا عليّ أن أفعل؟

أ- أود أن تبيعني إياه، لأن حواسيب الأجيال الجديدة غالية الثمن.

ب- اسمع يا أحمد، أنا لا اعترض لدي كما تعلم، لكن سأستشير ابنتي في ذلك لأن الحاسوب ملكها.

أ- شكرا يا بشير على لطفك وتفهمك، سأتصل بك غدا لتعلمني بردها والسعر الذي تطلبه. إذن من خلال هذا الحوار المطول نوعا ما، نكتشف جملة من الأفعال الكلامية الإنجازية المتنوعة بين المتحاورين (أحمد/بشير) وقد تمثلت هذه الأفعال في (النداء/ التحيّة/ السؤال/ الشكر/ الافتراضات/ الأحكام المثبتة/ الوعد)، ومدار كل تلك الأفعال يكمن في طلب (أحمد)، يعرض فيه إمكانية شراء حاسوب قديم، من صديقه (بشير)، هذا الأخير الذي حتما سيحول كل ما دار بينه وبين أحمد إلى أفراد أسرته، ومن ثم انتزاع موافقة من ابنته حول بيع الحاسوب الذي وعد أحمد ببيعه إياه مالم تمنع ابنته عن ذلك، بمعنى أن كل المتوالية المركبة من أفعال كلامية إنجازية ستؤول إلى (وعد) وهو فعل عادة ما يكمن في فعل كلامي مجرد.

3-2. الأفعال الإنجازية في اللغة العربية المعاصرة:

حاول بعض الباحثين العرب بالاستناد إلى تصنيف سيرل للأفعال الكلامية تقديم نماذج لتلك التصنيفات ضمن اللغة العربية المعاصرة، من أجل تسهيل تطبيق نظرية الأفعال الكلامية على المنطوقات والجمل والنصوص والخطابات العربية، وجاء هذا التصنيف كالتالي: (1)

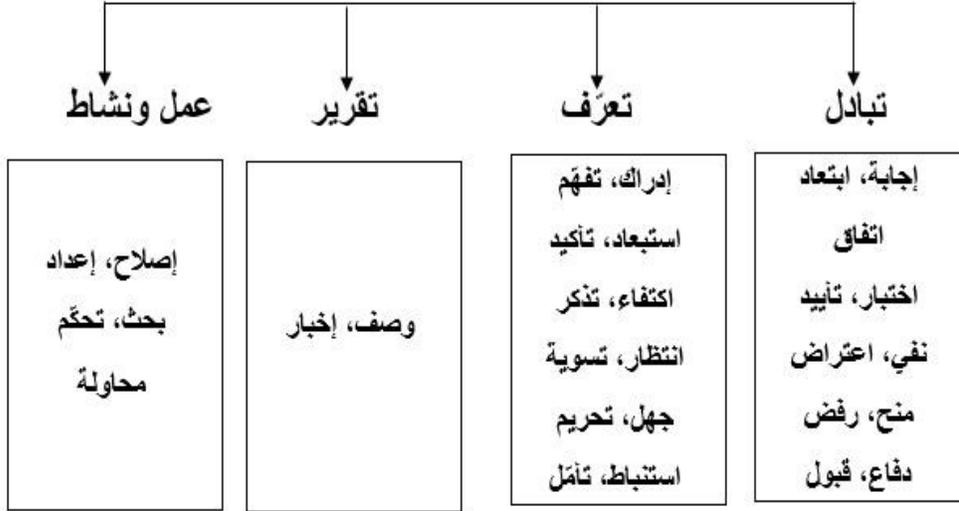
1- الإخباريات (Assertives):

الإخباريات وتعني الفعل الكلامي الذي يلزم المتكلّم بالمحتوى القضويّ المتحدّث عنه؛ أي إنّّه ينقل الواقع كما هو، مثل: قراءة قرار حُكم، وتنضوي الأفعال الإنجازية للإخباريات

¹ - ينظر: علي محمود حجي الصراف، الأفعال الإنجازية في العربية المعاصرة، مرجع سابق، ص 249-254.

تحت أربعة فروع أساسية، هي: فعل إخباري تبادلي (إجابة-رد-تعقيب-رفض-تأييد)، أو فعل إخباري تعريفي (فهم-وعي-إدراك-اكتشاف)، أو فعل إخباري تقرير (وصف-إخبار)، أو فعل إخباري عملي (إعداد-إصلاح-تحكم).

(1) الإخباريات



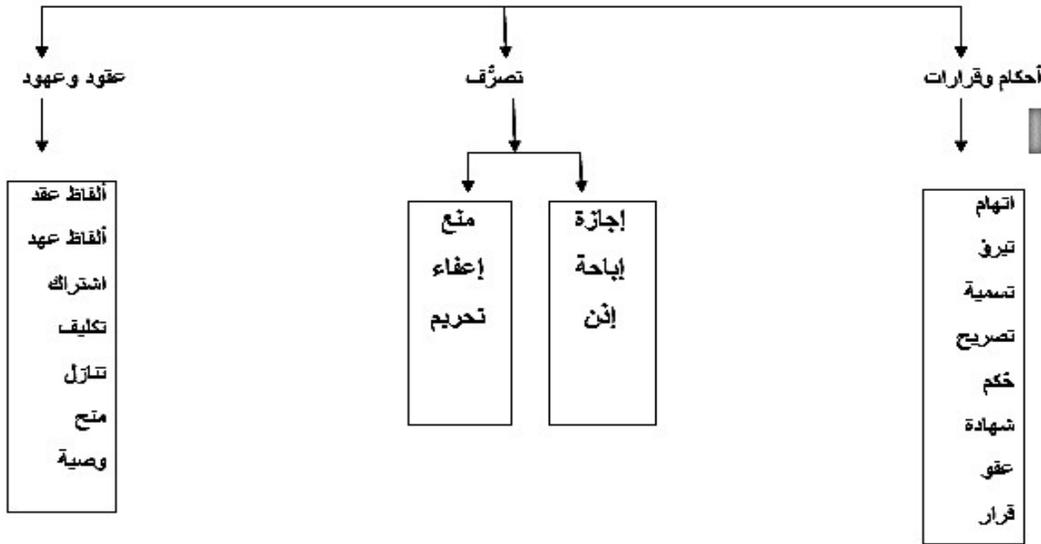
2- الإعلانات (Déclarations):

تعني الفعل الكلامي الذي يغيّر الواقع بما يتوافق مع المحتوى القضويّ (الحدث) للإعلان. مثل: من يعلنه القاضي بريثا، أو من يعلنهما ضابط البلدية زوجين، ومجال الإعلانات تعد أفعاله قليلة، مقارنة بالمجالات الأخرى، ومن أسباب ذلك أننا نحتاج لإنجاح هذه الأفعال كي تنجز إلى الخروج من نطاق اللغة إلى نطاقات أخرى مساعدة، كالشريعة والقانون، بالإضافة إلى ما يترتب على التلفظ بهذه الأفعال الإنجازية من آثار كالأثار القانونية، التي تعد مهمة وذات تأثير قد يكون خطيرا في بعض الأحيان، ولا سيما حينما يتعلق الأمر بحقوق الآخرين، في ظل أعراف أو تشريعات اجتماعية تتسم بالنظام وحفظ الحقوق المدنية للناس.

وتليها من حيث الدرجة كل الإعلانات الإدارية والبلاغات التي تقتضي تغييرا في السلوكات لدى العمال والموظفين، لأجل الانضباط في العمل اليومي، وتتفرع الأفعال الإنجازية للإعلانات إلى ثلاثة مجالات رئيسة، تتوزع بين الأحكام والقرارات التي تضم (التهم - التبرئات - التسميات - الترقيات - الشهادات - الأحكام - القرارات - الإعفاءات).

والمجال الثاني هو مجال التصرف، وتنضوي فيه أفعال مثل: (إجازة - إذن - عفو - إباحة)، أما المجال الثالث فهو: مجال العقود والعهود التي تبقى كقاسم مشترك يحمل صفات الإلزاميات من جهة الإلزام، وصفات الإعلانات من جهة التلطف، مثل: (تعهد - تكليف - تنازل - منح - وعد).

(2) الإعلانات

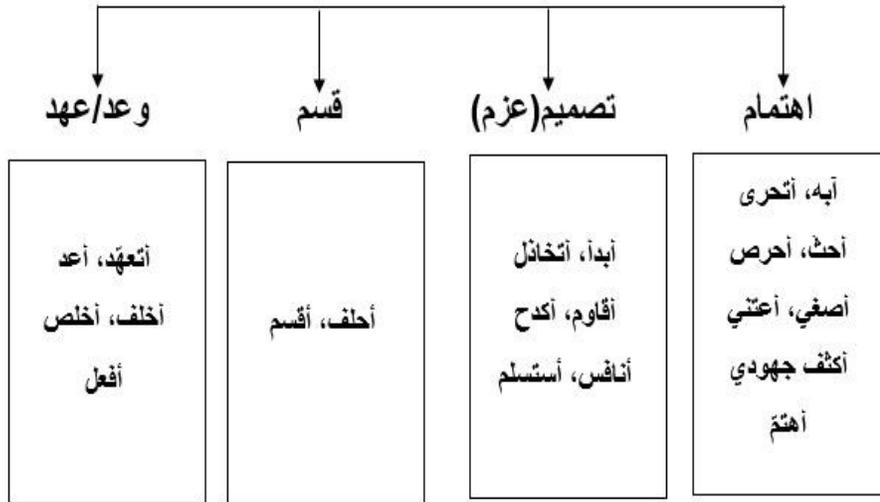


3- الإلتزاميات والتعهديات (Commissives):

من الإلتزام الذي تعده التداوليات فعلا إنجازيا، هو فعل ثابت في حياتنا الإنسانية، أثبتته الأعراف والأخلاق والقوانين، يستلزم من الشخص القيام به والمداومة عليه لصالح شخص آخر، أو لمصلحة يكون هو المسؤول عنها، ولا يمكنه التخلي عن أدائها، كأن يلتزم بمنح شيء ما، أو

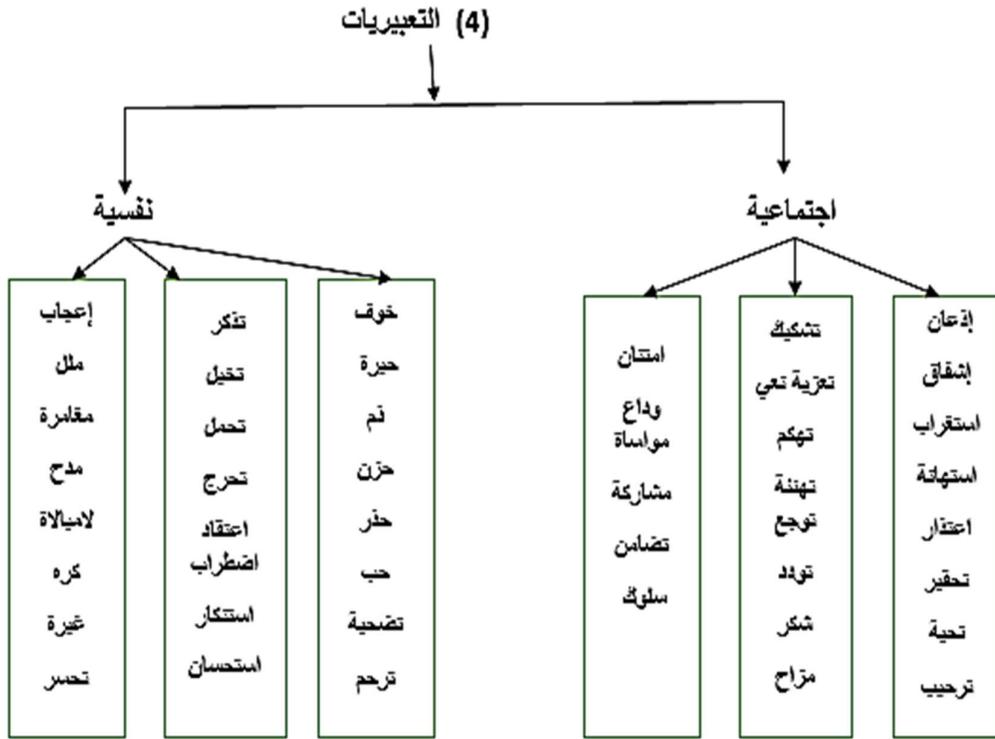
أداء عمل أو الوفاء بحقوق للغير أو تحقيق هدف معين، ويصدر الالتزام عن إرادة شخصية أو معنوية، ويكون في شكل من أشكال العقود، كالوعد، والعزم، أو القسم، كما أنّ الفعل الذي ينم عن الالتزام يكون إحساناً كما قد يكون إساءة كالذي يلتزم بأخذ الثأر لشرفه أو عرضه أو دمه، كما يكون الالتزام خارجاً عن الإرادة، وهنا يصير إلزاماً، بقوة القانون، أو العرف الاجتماعي.

(3) الالتزامات



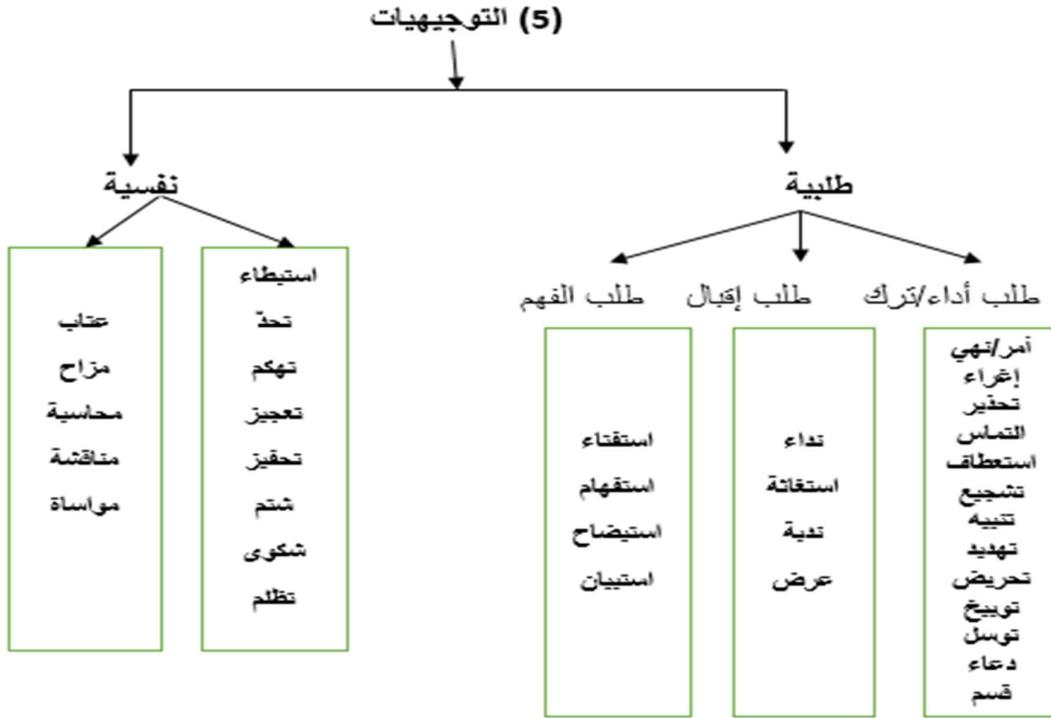
4- التعبيرات (Expressives):

تعني الفعل الكلامي الذي يعبر من خلاله المتكلم عن سلوكه ومشاعره تجاه الغرض. مثال: يهنئ، يعتذر، يشكر، يعزي، وهي التعبيرات الوجدانية والشعورية التي يصدرها الإنسان في تواصله مع غيره داخل المجتمع وهي أفعال إنجازية تمليها أعراف وعادات وتقاليد اجتماعية تختلف من بيئة إلى أخرى، وتنقسم التعبيرات إلى قسمين كبيرين، هما: التعبيرات الاجتماعية ومن أفعالها الإنجازية (اعتذار-ترحيب-تحية-تهكم-تهنئة-وداع-تضامن)، والتعبيرات النفسية التي تتم بين المرء وذاته مثل: (استنكار-ترحم-استحسان-حب-كره-بغض-تحسر-حزن-استكانة-اعتقاد).



5- التوجيهيات: (Directives) .

وتعني الفعل الكلامي الذي يدفع السامع إلى القيام بفعل معين مثال: يطلب، يأمر، ينصح. وتنقسم هذه المجموعة إلى توجيهيات طلبية تأتي في شكل أوامر وطلبات يمكن تصنيفها بين الأوامر الفعل وعدم الفعل، (تحذير-تهديد-تشجيع-توبيخ) وطلبات إقبال مثل: (نداء-استغاثة-عرض)، وطلبات للفهم مثل: (استبيان-استفتاء-استفهام)؛ أما في القسم الثاني: فهناك توجيهيات نفسية، من أفعالها (شتم-تحد شكوى-تظلم-تحفيز-مواساة-محاسبة-مناقشة-عتاب).



مما يلاحظ على هذه المحاولة وجود تداخلات عدّة بين أصناف مختلفة مثل وجود ألفاظ العقود ضمن صنف الإعلانات، ثمّ نجدها أيضا ضمن صنف الالتزاميات، و خلاصة القول أنّها تبقى محاولة قد يعثرها الزلل والنقصان وتحتاج إلى التعديل والتصويب.

خلاصة:

بعد هذا البحث والتنقيب في نظرية الأفعال الكلامية تبين لنا وتؤكد لدينا أنها ولدت في الغرب بثوبها الذي هي عليه اليوم، وقد أسهمت أيما إسهام في تطوير وإغناء اللغات الأجنبية بأثرها الإنجازي المتنوع، وككل علم يتطور ويرى النور هناك لابد من بلوغه مواطن اللغة العربية ثم تجريبه في مجاله المشابه لدينا، ولا يوجد مجالاً أخصب من اللغة العربية مقارنة بباقي اللغات التي ترعرعت ضمنها التداولية.

إذ إنّ دراسة الأفعال الإنجازية في اللغة العربية المعاصرة ترمي إلى الكشف عن مدى استخدام العربية المعاصرة لهذه الوظيفة الاستعملية الإنجازية اللغوية، وتوضيح المجالات الإنجازية للأفعال الكلامية، خاصة في علاقتها مع الفكر والمجتمع، الأمر الذي يعرج بها إلى مجال أرحب عدا اللغة والتواصل وعلاقتها السيكوسوسولوجية ألا وهو مدى التأثير ودوره في التغيير بإسهام من القوة الإنجازية في اللغة الحجاجية.

وكما لا يخفى على أي باحث في المجال التداولي للغة، علاقتها الوطيدة بالدروس اللغوية والفقهية من حيث الاستعمال المختلف والتميز، الذي دأب عليه الأصوليون والفقهاء في استثمار ظاهرة الخبر في استنباط أفعال كلامية منبثقة من الأصلية، وقد حدث ذلك أيضاً مع الإنشاء، انطلاقاً من حرصهم على فهم النصوص الشرعية وإدراك مقاصدها وأغراضها وما تقتضيه من أحكام ومطالب دينية وتشريعية، والكلام هنا حول الخلفية التداولية للغة، وتجلياتها في أفعال إنجازية، ضمن ظاهرة الإنشاء، وليس في المباحث الفقهية والشرعية في حد ذاتها.⁽¹⁾

¹ - ينظر: مسعود صحراوي، الأفعال الكلامية عند الأصوليين، مرجع سابق، ص 218.

وأخيرا وبعدما أتينا -قدر المستطاع والمتاح من البحوث والدراسات- على حيثيات نظرية الأفعال الكلامية، من جانب النشأة والمفهوم، ثم ما استدعته هذه النظرية من ظواهر مرافقة كالقوة الإنجازية للفعل الكلامي وشروطها وأنواعها ثم محدداتها، نحاول ما أمكن إمطة اللثام عن مفهوم السلطة الإقناعية في النظرية الحجاجية من حيث الأساليب البلاغية واستراتيجيات الإقناع في حد ذاته، وعوامل التأثير وفق السلالمة والروابط الحجاجية، لنمر بعدها إلى مجموعة من التطبيقات للنظريات سالفة الذكر ضمن الخطاب السياسي.

الفصل الثاني:

سلطة الإقناع في النظريات المجاجية:

- المجاج واللغة.
- الإقناع مبادئه وأساليبه البلاغية.
- استراتيجيات الإقناع وعوامل تأثيره.
- المجاج والإلزام ووجهة السلطة.

1. الحجاج واللغة:

1-1. مفهوم الحجاج:

الباحث في كتب البلاغة القديمة سيقف حتماً على أنّ الحجاج ليس مصطلحاً حديثاً بل هو موجود منذ أن تعلم الإنسان التواصل باللغة، مادام الحجاج عبارة عن توجيه خطاب إلى متلق فرد أو جماعة بغية تعديل سلوكاته أو رأيه عن طريق الكلام ومعجم اللغة الطبيعي، قال تعالى: (أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ) [البقرة-258].

فالحجاج من حاجّ يحاجج حجاجاً، قال ابن منظور: "من أمثال العرب لَجَّ فَحَجَّ معناه لَجَّ فعَلَبَ مَنْ لاجَهْ بِحُجَجِهِ يقال: حاججته أحاجه حجاجاً ومُحاجَّةً حتى حَجَجْتُهُ أي عَلبْتُهُ بالحُجَجِ التي أَدَلَّيْتُ بها... والحُجَّةُ البرهان وقيل الحُجَّةُ ما دُوْفِعَ به الخصم" (1).

"قال الأزهري إنما سميت حُجَّةً لأنها تُحجُّ أي تقتصد لأن القصد لها وإليها وكذلك مَحَجَّةُ الطريق هي المَقْصِدُ والمسَلَكُ وفي حديث الدجال إن يَحْرُجُ وأنا فيكم فأنا حَجِيجُهُ أي مُحاجُّهُ ومُغَالِبُهُ بإظهار الحُجَّةِ عليه والحُجَّةُ الدليل والبرهان يقال حاججته فأنا مُحاجٌُّ وَحَجِيجٌ فَعِيلٌ بمعنى فاعل ومنه حديث معاوية فَجَعَلْتُ أَحْجُجُ حَصْمِي أي أَعْلِبُهُ بالحُجَّةِ." (2)

¹ - ابن منظور، لسان العرب، دار صادر، ط1 بيروت، 1997، مجلد2 - مادة حجج، ص 27.

² - ابن منظور، لسان العرب - دار صادر ط3، 1414هـ، بيروت، ج2، ص 228.

وقال الأزهري أيضا: "الحُجَّةُ الوجه الذي يكون به الظَّفَرُ عند الخصومة، وجمعها حجج، وهو رجل مُحجَّجٌ أي جَدِلٌ والتَّحاجُّ التَّخاضُّ وجمع الحُجَّةِ حُجَجٌ وحجاجٌ وحاجُّه مُحاجَّةٌ وحجاجاً نازعه الحُجَّةُ وحجَّه يُحجُّه حَجًّا غلبه على حُجَّتِه..."(1).

وجاء في مختار الصحاح: الحجَّة البرهان، وحاجُّه فحجَّه من باب ردّ، أي غلبه بالحجة، وفي المثل (لجّ فحجّ) فهو رجل محجاج، بالكسر أي جدل، و(التحاجج) التخاضم، والمحجة جادة الطريق (2).

كما جاء في مشارق الأنوار ضمن مادة: " (ح ج ج) قَوْلُهُ فَحَجَّ آدَمُ مُوسَى أَي غَلَبَهُ بِالْحُجَّةِ وَظَهَرَ عَلَيْهِ وَقَوْلُهُ فَأَنَا حَجِيجُهُ وَامْرَأُ حَجِيجِ نَفْسِهِ أَي مُحاجُّهُ وَمَنَازِرُهُ" (3)، وجاء في أساس البلاغة أيضا: " (ح ج ج) احتج على خصمه بحجة شهباء، وبحجج شهب. وحاج خصمه فحجه، وفلان خصمه محجوج، وكانت بينهما محاجة وملاجة. وسلك المحجة، وعليكم بالمناهج النيرة، والمحاج الواضحة." (4)

وقيل: "حاجّ يحاجّ، حاجج، حاجّ، مُحاجَّةٌ وحجاجاً، فهو مُحاجّ، والمفعول مُحاجّ (للمتعدّي)، حاجّ الشَّخصُ: أقام الحُجَّةَ والدَّلِيلَ لِيُثَبِّتَ صِحَّةَ أَمْرٍ، برهن بالحُجَّةِ والدَّلِيلِ لِيَقْنَعَ الآخِرِينَ، حاجّ لدعم افتراضٍ، حاجّ الشَّخصُ: جادله وخصمه، نازعه بالحُجَّةِ، ناظره {أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ} [البقرة-258] (5)، أمّا أبو هلال العسكري فيرى أنّ "الحجة هي الاستقامة في النظر والمضي فيه على سنن مستقيم من رد الفرع إلى الأصل، وهي مأخوذة من

1- الأزهري، تهذيب اللغة، ج 3، الدار المصرية للتأليف والترجمة، 1976، مصر، ص 390.

2- الرازي، مختار الصحاح، دار المعاجم مكتبة لبنان، بيروت، 1976، مادة: حجج ص 52.

3- أبو الفضل عياض بن موسى، مشارق الأنوار على صحاح الآثار، دار التراث، ج 1، ص 181.

4- أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري، أساس البلاغة، تح: محمد باسل عيون السود، دار الكتب

العلمية، بيروت، ط 1، 1998، ج 1 ص 169.

5- أحمد مختار عبد الحميد عمر، معجم اللغة العربية المعاصرة، عالم الكتب، ط 1، 2008، ج 1-ص 445.

المحجة وهي الطريق المستقيم... وتأثير الحججة في النفس كتأثير البرهان... لأن الحججة مشتقة من معنى الاستقامة في القصد حج يحج إذا استقام في قصده... والاحتجاج هو الاستقامة في النظر على ذكرنا، سواء كان من جهة ما يطلب معرفته أو من جهة غيره⁽¹⁾، فإذا كان مفهوم الاحتجاج يدور في هذا الفلك ضمن البلاغة العربية فما موقع الجدل من ذلك؟ وهل معنى الجدل يؤدي إلى مفهوم الاحتجاج بالضرورة؟

قال تعالى: (وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ) [البقرة-197]، قال ابن عباس الجدل أن تجادل صاحبك حتى تغيظه، وقوله تعالى: لا جدال في الحج قد تضمن النهي عن ممارسة صاحبه ورفيقه وإغضابه وحظر الجدل في وقت الحج⁽²⁾، كما يقول الله تعالى في موضع آخر: (يَوْمَ تَأْتِي كُلُّ نَفْسٍ تُجَادِلُ عَنْ نَفْسِهَا وَتُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ. [النحل-111] تجادل أي تُخَاصِمُ عَنْ نَفْسِهَا، وَتُحَاجُّ عَنْهَا، وَتَسْعَى فِي خَلَاصِهَا بِمَا أَسْلَفَتْ فِي الدُّنْيَا مِنْ عَمَلٍ.⁽³⁾

وقد عرّف العرب معنى الجدل في اللغة العربية بأنه: اللدد في الخصومة والقدرة عليها، وجادله أي: خاصمه، مجادلة وجدالاً. والجدل: مقابلة الحججة بالحجة؛ والمجادلة: المناظرة والمخاصمة، والجدال: الخصومة؛ سمي بذلك لشدّته⁽⁴⁾، قال الراغب: الجدال: المفاوضة على سبيل المنازعة والمغالبة⁽⁵⁾.

1- أبو هلال العسكري، الفروق اللغوية، تح: محمد إبراهيم سليم، دار العلم والثقافة، القاهرة ص، ص 69،70.
2- الجصاص، أحكام القرآن، تح: محمد الصادق قمحاوي، ج1، دار إحياء التراث العربي - بيروت، 1405، ص 385،383.
3- أسعد حومد، أيسر التفاسير، (د م)، ط4، دمشق، 2009، سوريا، ص 657.
4- ابن منظور، لسان العرب، مصدر سابق، ج11 ص105.
5- الراغب الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن، تح مركز الدراسات والبحوث نزار، دار نزار للنشر، (دت) ج1، ص118.

ويقول أبو وليد الباجي عن الحجاج أنّه: "السبيل إلى معرفة الاستدلال وتمييز الحق من المحال، ولولا تصحيح الوضع في الجدل لما قامت حجّة ولا اتّضحت محجّة، ولا عُلم الصحيح من السقيم، ولا المُعوّجّ من المستقيم." (1)

فمّمّا سبق نكتشف أن لفظ الحجاج لا يكاد يفارق لفظ الجدل أو الجدل، وقد "عُدّت البلاغة جزءاً من الحجاج (الجدل قديماً) وفي ذلك كتب أرسطو: "تعد البلاغة فرعاً متصلًا بالجدل وبدراسة القيم، لذا جاز وصفها بالسياسة" (2)، ومنه فإنّ الجدل والحجاج متلازمان في اصطلاح القدماء، ومن هؤلاء صاحب كتاب: سبيل المنهاج في ترتيب الحجاج، حيث استخدم في العنوان لفظة الحجاج، بينما في المقدمة كان يعبّره بكونه كتاباً في الجدل (3).

هذا ما أجمعت عليه المعاجم والمؤلفات القديمة في مفهوم الحجاج، أمّا الدراسات الحديثة اليوم للحجاج فقد جعلت له مفاهيم ومجالات، فاتسعت بذلك حدوده خصوصاً بعد ارتباطها بالنظريات الغربية، مما يجعل مفهوم الحجاج يتفّلت من بين أيدينا، ولا نكاد نحيط به وذلك "لاستمرار هذه النظرية في التأسّس والتشكّل، فهي نظرية لم تنغلق بعد ولم تدخل كمنظريّات كثيرة حيّز الماضي-ماضي النشأة والاكتمال لا ماضي الفعل والتأثير- لتتناولها وفق منهج تاريخي يهتم ببيداياتها وتطوراتها ويرصد خصائص فترة اكتمالها وكيفيّات انغلاقها، بل نراها تشهد كلّ يوم ظهور مؤلّفات جديدة، تغني هذه النظرية وتثريها وتجعل من أعسر الأمور السعي الجاد إلى الإحاطة بها" (4)، وكذا ارتباط الحجاج بمجالات عديدة بلاغية، فلسفية، قانونية... وسياقات لا نكاد نحصرها، يُصعّب من الوقوف على مفهوم دقيق وبيّن له، لذا ستجدنا نورد مفاهيم مختلفة للحجاج

¹ - أبو الوليد الباجي، المنهاج في ترتيب الحجاج، تح: عبد المجيد التركي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط3، 1987، ص8.

² - أمينة الدهري، الحجاج وبناء الخطاب، دار المدارس للنشر، الدار البيضاء، 2011، ص8.

³ - ينظر: عبد الله صولة، الحجاج في القرآن من خلال خصائصه الأسلوبية، دار الفارابي ط2، 2007، بيروت، ص15.

⁴ - سامية دريدي، الحجاج في الشعر العربي بنيته وأساليبه، عالم الكتب الحديث، الأردن، 2011، ط2، ص15.

كما جاءت في النظريات التي اهتمت به، لكنّ تفصيل و تشريح ذلك المفهوم، سنقف عليه فيما سيأتي في هذا الفصل ضمن النظرية التي جاءت به.

يرى طه عبد الرحمن أنّ حدّ الحجاج: "هو كلّ منطوق مُوجّه إلى الغير لإفهامه دعوى مخصوصة يحق له الاعتراض عليها"⁽¹⁾، فالحجاج عنده مرتبط بغايته المتمثلة في إفهام وإيضاح المتكلم نيته ودعواه للمتلقّي الذي له حق الاعتراض عليها أو تنفيذها لكن بحجاج مماثل.

والحجاج لدى شايم بيرلمان هو: "دراسة التقنيات الخطائية التي تمكّن من إثارة الأذهان وتعزيز انخراطها في الأطروحات المقدّمة"⁽²⁾، فبيرلمان يرى في الحجاج مجموعة تقنيات وآليات ووسائل غايتها استشارة ذهن السامع من أجل إقناعه بقضية أو أطروحة معيّنة.

كذلك كريستيان بلانتان، يعزّز من فكرة الدور الإقناعي للحجاج، في إبرازه لمفهوم الحجاج، إذ يقول: "هو العملية التي من خلالها يسعى المتكلم إلى تغيير نظام المعتقدات والتصورات لدى مخاطبه بواسطة الوسائل اللغوية."⁽³⁾

¹ - طه عبد الرحمن، اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، المركز الثقافي العربي، المغرب، 1998، ص226.

² - « En effet, l'objet de cette théorie est l'étude des technique discursives permettant de provoquer ou d'acroitre l'adhésion des esprits aux thèse qu'on présente à leur assentiment. » Ch.Perelman et O.Tyteca, Traité de l'argumentation-la nouvelle rhétorique, Editions de l'Université de Bruxelles, 6^{eme} edition, 2008, p5.

³ -Christian Plantin, Essais sur l'argumentation, p146.

-أخذا عن: عبد الله صولة، الحجاج أطره ومنطقاته وتقنياته، ضمن كتاب أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم، إشراف: حمادي صمود، سلسلة الآداب، مجلد 34، (دت). جامعة منوبة -تونس، ص 350.

1-2. ميلاد النظرية الحجاجية:

الحجاج منذ القدم وحتى هذا العصر قائم على غاية أساسية هي الإقناع، فقديمًا كان تابعا لمجالات أخرى تستخدمه وتستدعيه، بينما في الدراسات الحديثة صار الحجاج موضوعًا قائمًا بذاته مستهدفًا للإقناع والإفحام بكل الطرق وكيفما كان متلقي الخطاب، إن على مستوى اللغويات أو المنطق أو النقد أو الاستقصاء والتقصي في كل مجالات الحياة والأبحاث المعرفية، وعلى هذا الأساس يصبح الحجاج والتدليل من جوهر اللغة، الأمر الذي ينتج عنه أنه حيثما وجد خطاب العقل واللغة تتواجد استراتيجية معلومة نتوسل بها (عقلية أو لغوية) إما للتدليل لذواتنا وإما لإقناع غيرنا، هذه الاستراتيجية هي الحجاج عينه، مستمدا خصائصه وميزاته وقيمه من المجال الذي وجد فيه.⁽¹⁾

وينطلق البحث عن مفهوم الحجاج بدءًا من العهد اليوناني لدى كل من أفلاطون وأرسطو، في صراعهما مع السفسطائيين الذين "كانوا يستعملون في الغالب سلطة القول في فضاءات السلطة (المدنية) وفي القول ومآتيه، فنزلهم أبوا الفلسفة الغربية أفلاطون وأرسطو وكان بين هذين وأولئك نوعان من الحجاج، حجاج بحجاج في مسائل فلسفية مختلفة، وحجاج في ما به ينبغي أن يكون الحجاج، خطابان متقابلان ناشران لنظريتين مختلفتين إلى وضع القول في علاقته بمسألتي المعرفة والقيم الحاضنة للاجتماع الإنساني، وكان لذلك الحجاج الضاري الذي شهدته أثينا، مزايا عديدة"⁽²⁾.

¹ - ينظر: حبيب أعراب، الحجاج والاستدلال الحجاجي، مجلة عالم الفكر الكويتية، ع 1 مجلد 30، سبتمبر 2001، ص 100.

² - هشام الريفي، الحجاج عند أرسطو، ضمن كتاب أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم، إشراف: حمادي صمود، سلسلة الآداب، مجلد 34، (د.ت). جامعة منوبة - تونس، ص 51.

من ذلك الصراع نجد أنّ السفسطائية⁽¹⁾ هي التي كشفت عن الأسس الفلسفية العميقة للنظم السياسيّة والقوانين والقواعد الأخلاقية التي تنظم حياة الإنسان اليوناني، وأوجدت فروقا سياسية بين الملكية والجمهورية، والأرستقراطية والديمقراطية، ولمن تؤول السيادة، للجماهير أم للطبقة الأرستقراطية أم لرجل واحد⁽²⁾، وفي ظل هذا الحراك الفكري والثقافي - بغض النظر عن من كان الرائد فيه- بين الفلاسفة والسفسطائيين، ازدهر الحجاج وكان أشد ضراوة في أيدي أصحاب هاتين الفئتين، لما ظلّ يثيره من القضايا المختلفة التي كان لها الفضل في تأسيس المدنية منذ الإرهاصات الأولى، عن طريق الجدل تارة والمحاورة تارة أخرى، و الجدل-هنا- لا يُقصد به معناه السلبي الذي يفضي إلى العداوة والفوضى، بل يُقصد به الخصام الفكري الذي ينتج الأفكار وينافح عن وجهات النظر، بتبادل الحجج، إمّا تحت لواء المنطق والاستدلال أو اللوغوس⁽³⁾،

¹ - السفسطائية sophism : مشتقة من اللفظة سفسطة، وهي كلمة يونانية أصلها (sophisma سوفيسما)، وتعني الحكمة والحدق، وقد أطلقها الفلاسفة القدماء كأفلاطون وأرسطو على الحكمة المموهة والحداقة في الخطابة أو الفلسفة، والغرض منها حسبهم هو تغليب الخصم وإسكاته، لأنّها قياس ظاهره الحق وباطنه الباطل، كما أطلقت على كل فلسفة ضعيفة الأساس، متهافئة المبادئ كفلسفة الريبية [الشكية] و[اللاأدرية]، والسفسطائية جملة من النظريات أو المواقف العقلية المشتركة بين كبار السفسطائيين كبروتاغوراس (Protagoras)، جورجياس (Gorgias)، بروديكوس (Prodicus)، وهيبياس (Hippias)، أما في الفلسفة الحديثة فهناك من يرجع الفضل للسفسطائية في إيقاظ الشعور بالتحرّر في السياسة اليونانية، وأنّ السفسطائيين هم سبب التقدم والتنوير الذي شهدته الحضارة اليونانية. ينظر: جميل صليبا، المعجم الفلسفي، دار الكتاب اللبناني، ج1، 1982، بيروت، ص659-660.

² - ينظر: فتح الله خليف، السفسطائيون ومنزلتهم في الفكر اليوناني، حولية كلية الإنسانيات والعلوم الاجتماعية، جامعة قطر، العدد 13، 1990، ص 139.

³ - اللوغوس Logos: ويعني في اليونانية القانون الكلّي أو القول أو العقل، فهرقليطس يرى أن كلّ شيء في الكون يسير وفق اللوغوس الذي هو أبدي ومطلق وجوهري، إذ يقول عنه: "كلّ القوانين الإنسانية تتغذى من قانون إلهي واحد"، أمّا عند الرواقيين فيدلّ على قانون العالمين الفيزيقي والروحي طالما أنهما يمتزجان في وحدة وجود، أمّا فيلون فيرى أنّه جماع الأفكار الأفلاطونية، وأنّه أيضا قوة خالقة تعمل كوسيط بين الله والعالم المخلوق...، واللوغوس هو "الحجج المستندة إلى الخطاب نفسه أو الموضوع، ويشكّل الحجج المنطقي الذي يمثّل الجانب العقلاني في السلوك الخطابي، ويرتبط بالقدرة الخطابية على الاستدلال والبناء الحجاجي" للمزيد ينظر: الموسوعة الفلسفية، مجموعة من العلماء والأكاديميين السوفيتيين، إشراف: روزنتال يودين، تر: سمير كرم، دار الطليعة، (دت)بيروت، ص414. وينظر أيضا: عبد العالي قادا، بلاغة الإقناع، كنوز المعرفة، الأردن، 2016، ص88.

فمن "فضائل ذلك الحجاج على الفلسفة الإغريقية أنّه كان لها بمثابة الخميرة كما ذكر مؤرخو الفلسفة، وفلسفة أفلاطون تشكلت -في جوانب أساسية منها- من جهد الإجابة عن معضلات أثارها السفسطائيون في حجاجهم كمعضلة "مينون" Menon في المعرفة.⁽¹⁾

واستمر "صراع صناعة القول بين الفلاسفة والسفسطائيين"⁽²⁾، حيث واصل أرسطو مسيرة أستاذه أفلاطون في الإنتاج الفلسفي بالردّ على حجاجهم وتساؤلاتهم وغوامض المعرفة لديهم، بشكل أقوى وأكبر، ممّا شكّل منطلقاً ومعيناً لتأسيس وبلورة نظرية واضحة المعالم في الحجاج.

وقد انماز أرسطو عن السفسطائيين وبقية الفلاسفة الذين دأبوا على الحجاج، بفصله بين الجدل معتبراً إياه قولاً حجاجياً، وبين البرهان وهو القول العلمي حسبه، لأنّ الأوّل يتعلّق بالمحتمل لا بالحقيقة -كما كان يرى أفلاطون- وأنّ القول الحجاجي كائن ضمن وضعيات التواصل المنتسبة إلى الحياة الاجتماعية والدينية والسياسية، في الفضاء العمومي والخاص،⁽³⁾ لذا "لم يقص من دائرته البحثية القول الواقع في دائرة الممكن والمستند إلى الرأي، بل فكّر في قواعد انتظامه العامّة، وبحث في معايير استقامته، وعلى الرغم من أنّه وضع القول البرهاني في المرتبة الأولى واعتبره مطمح الإنسان الأساسي في تفهّم الوجود، فإنّه درس الأجناس الجامعة للأقاويل الأخرى الواقعة في بابي التصديق والتخييل، وبيّن أنّ لها في حياة الإنسان مجالات خاصة بها لا يمكن أن يتنزّل فيها القول البرهاني"⁽⁴⁾.

ونافلة القول أنّ الحجاج كان مقوماً من مقومات السلطة، ومنهجاً بارزاً لممارسة السياسة لدى الإغريق، الأمر الذي رسّخ لدى هؤلاء اهتماماً منقطع النظير بما يهدف إليه الحجاج وما يعنيه، وكذا الأساليب التي يمارس وفقها.

¹ - هشام الريفي، الحجاج عند أرسطو، مرجع سابق، ص 51.

² - هشام الريفي، الحجاج عند أرسطو، ص 53.

³ - ينظر: زكريا السرتي، الحجاج في الخطاب السياسي، عالم الكتب الحديث، الأردن، 2013، ص 31.

⁴ - هشام الريفي، الحجاج عند أرسطو، مرجع سابق، ص 92.

الحجاج كموضوع ارتبط بتاريخ معين وجغرافيا محددة، ونعني بذلك أثينا خلال القرن الخامس قبل الميلاد، حيث شهدت جذوة فلسفية اهتمت بالمنطق الصوري والبلاغة والجدل والخطابة، يقول جان بيير فيرنان Jean Pierre Vernant: "لم يكن مفهوم الفعل بالنسبة إلى أثينا القرن الخامس قبل الميلاد يعني صناعة الأشياء أو تحويل الطبيعة، بل كان يعني بالأحرى التحكم في الناس وغلبتهم والسيطرة عليهم ففي إطار الحاضرة، كانت الأداة الضرورية للفعل، الأداة التي تمكن من السيطرة على الآخر، هي الكلام، إنّ فحص السوفسطائيين للتقنية الإنسانية، ولوسائل بسط قوتها، ولتطوير أدواتها، لم يخلص إلى فكر ولا إلى فلسفة تقنية، لقد خلس إلى البلاغة وأنشأ الجدل والمنطق"⁽¹⁾ نتبين من المقولة أنّ اهتمام المجتمع اليوناني كان منصباً على الجانب الاتصالي التواصلي وما يتطلبه من أدوات وفتيات كاللغة وفنون الخطابة، في حين لم يكن هؤلاء يولون اهتماماً للعمل التقني أو العمل المنتج عامة.

ولو تمعنّا جزءاً من مقالات أرسطو ضمن كتابه "الخطابة" لوجدناه يستهله بتعريف جامع لمواطن الحجاج عندما يقول: "إنّ الريطورية ترجع على الديالكتيكية وكتاهما توجد من أجل شيء واحد ويشتركان في نحو من الأنحاء"⁽²⁾، أي أنّ صناعة الخطابة مردها إلى صناعة الجدل وكلاهما يشتركان من أجل تحقيق هدف واحد وفي اتجاه واحد، حيث إنّ الهدف يكمن في تغيير سلوك المتلقي، وإحداث التوجيه المطلوب، والسيطرة على رأيه في قضية من القضايا، ويقول أرسطو: "من أجل هذا ما يقول على أنّ الحيلة أو الصناعة في التفسير والتشاجر واحدة، وأنّه إذا كان التشاجر فوليطيا أي مدنيا، فهو خير وأشرف مذهبا من التفسير الذي يجري في الأخذ والإعطاء، فأما هؤلاء فلو يقولوا في التفكير شيئاً، لكنهم يتكلفون بتزويق الكلام أن يضعوا الحكم في كل شيء [...] فأما في التشاجر فليس يكتفى بهذا، لكن من بوادي العمل في ذلك أن يتحفظ الذي

¹ - محمد الولي: مدخل على الحجاج أفلاطون وأرسطو وشايم بيرلمان، مجلة عالم الفكر العدد 2 مجلد 40-2011،

ص20. نقلا عن: Jean Pierre Vernant, *Mythe et pensée chez les grecs*, t.ii, p64.

² - أرسطو طاليس، الخطابة، الترجمة العربية القديمة، تح عبد الرحمن بدوي، دار القلم، بيروت 1979، ص3.

ينصت⁽¹⁾ أي أنّ الدهاء والذكاء من جهة والحكمة والبراعة والقدرة على المناظرة، وكذلك التشاجر أي الصدام الكلامي أو الجدل المتحضر، علماً أنّ الجدل أو الصراع الحجاجي أفضل وأحسن إقناعاً بكثير من البيانات والتوضيحات والأحكام والحكم التي عادة ما تكون من جهة واحدة، يغلفها الترميق المتكلف والتزويق في الكلمات ويقل فيها الإقناع بالحجة الدامغة.

3-1. الحجاج لدى الغربيين القدامى:

1-3-1. الخطابة عند أفلاطون:

لقد عرّف أفلاطون الخطابة قائلاً: "أليست الخطابة على الجملة صناعة قيادة النفوس بالقول؟ لا في المحاكم والمجالس العامة فحسب، بل في الاجتماعات الخاصة أيضاً، قيادتها إلى الحق والخير، وكل حركة تتوق نحو هاتين القيمتين هي حركة جمال أو حركة إلى الجمال [...] وهذا التعريف يؤسس لتصور ويرسم المسافة التي تفصله عن التصور الشائع"⁽²⁾، حيث قدّم أفلاطون أسس تقييم القول الخطبي في نظره أو الأقاويل الحجاجية، وذلك بعدما سعى إلى تقويض ومناهضة حركة السفسطائيين داخل أثينا، من خلال محاوراته مع أكبارهم ونخص بالذكر محاورتي جرجياس (Gorgias) وفيدر (Phedre)، "اللّتين تُعدّان من المصادر المركزية، حتّى لا نقول المصدر المركزي الأول، في تاريخ البلاغة أو الخطابة في الغرب"⁽³⁾، ففي المقطع الأول من محاورة جرجياس يرى أفلاطون أنّ الإقناع نوعان: إقناع يعتمد العلم، وهو ما يسمى بالإقناع البرهاني، وهذا ما يحبّذه أفلاطون- وإقناع يعتمد الظنّ والقدرة على التصور، وهو ما يسميه بالإقناع الحجاجي، وإن كان الإقناع بالاستناد إلى الظنّ هو موضوع الخطابة السفسطائية، هذا

¹ - المرجع نفسه، ص 6.

² - هشام الرفي، الخطابة عند أرسطو، مرجع سابق، ص 77-78.

³ - محمد الولي، تأملات في محاورتي أفلاطون جرجياس وفيدر، ضمن كتاب: البلاغة والخطاب، ش: محمد مشبال، دار الأمان، الرباط، 2014، ص 49.

الإقناع الذي لا يكسب - حسب أفلاطون- الإنسان معرفة بل ينشئ لديه اعتقاداً⁽¹⁾، والاعتقاد دوماً مهتد بالأخطاء والتهافئات، يقول سقراط في هذا الصدد: "إنّ الخطابية هي إذن، حسب ما يبدو، مؤلدة الاعتقاد، إنّها تبعث الاعتقاد بأنّ العدل و الظلم هما هذا و ذلك، إلاّ أنّها لا تولد معرفةً بهما"⁽²⁾، وبالتالي مرجع هذا الحكم يعود إلى ما خلص إليه أفلاطون في نهاية المحاورّة من كون الخطابية تضرب العدالة في مقتل، وتجعلنا نُفَلت من العقاب لأنّها قائمة على الإيهام بالإقناع المؤسّس على أهواء ورغبات الناس، لا على الحقيقة، يقول سقراط: "إنّ الخطابية في غنى عن معرفة ما هي الأشياء التي تتحدّث عنها، إنّها قد اكتشفت مقوّمًا صالحًا للإقناع، والنتيجة هي أنّه أمام جمهور من الجهلة تبدو وكأنّها تعرف أكثر ممّا يعرفه العارفون."⁽³⁾

أمام سطوة السفسطائيين على شباب أثينا بخطبهم، رغم حدّة الانتقادات التي وجهها أفلاطون لهم، أدرك هذا الأخير خطورة القول الخطبي (الحجاجي) في توجيه الرأي العام واستحالة إيقافه أو دحضه، واستشعر أهمية القول الحجاجي في البحث الفلسفي من ناحية وفي التعامل القولي بين الإنسان والإنسان من ناحية أخرى، فدعا إلى "إمكانية الإبقاء عليه وإصلاحه وتحديد الشروط الكفيلة بقيام نوع من الخطابية الفلسفية التي لا تقتنع بإيهام الجمهور تبعاً لأهواء الخطباء بل تلتزم التعبير عن الحقيقة والتوجيه إلى الخير"⁽⁴⁾، مخصّصاً لذلك محاورّة ثانية بعنوان (فايدروس)، وفايدروس شاب كان مفتوناً بالقول، لذلك استحضره أفلاطون في هذه المحاورّة التي تدور في بعض مستوياتها على القول وفتنته، ولم تكن المحاورّة مجادلة للسفسطائيين في تصوّرهم للخطابة وإنّما كانت "معارضات" و"موازنة"، وكانت نشراً للأصول التي كان هذا الفيلسوف يعتمد عليها في دراسة النصوص الحجاجية عموماً، فالنص الذي دارت عليه المحاورّة لم يكن خطبة، بل نصاً

¹ - ينظر: هشام الرفي، الخطابية عند أرسطو، مرجع سابق، ص 63.

² - محمد الولي، تأملات في محاورتي أفلاطون جورجياس وفيدر، مرجع سابق، ص 53.

³ - المرجع نفسه، ص 56.

⁴ - أفلاطون، فايدروس أو عن الجمال، تر: أميرة حلمي مطر، مكتبة الدراسات الفلسفية، دار المعارف، مصر، 1969،

حجاجيا في الحب، لم يرض أفلاطون بافتتان شباب أثينا به، لذلك حاول ببعض محاوراته تغيير ذلك الوضع، باستدراج "فايدروس" للخروج عن ذلك اللون الحجاجي الممؤه إلى حجاج يعتمد النظر في منطلقات القول الفكرية ومقاصده الأخلاقية في المعنى الفلسفي للعبارة.⁽¹⁾

وقد عمد أفلاطون إلى وضع شروط الخطابة الجديدة القائمة على قيمتي الحق والخير، وهي: المعرفة والإحاطة الشاملة بالموضوع الذي نبحت فيه معرفة تصل إلى تأمل الحقائق، وليس تلك التي تتغذى بالظن، ثم القدرة على تنظيم وترتيب الخطاب ضمن بنية متماسكة ومتكاملة حتى تكون له الفعالية، ثم معرفة أنواع النفوس وما يناسبها من أقاويل، لإقامة التوافق الذي يربط أنواع النفوس بأنواع الخطاب، ثم أهم شرط في بناء القول الخطبي وهو اعتماد المنهج الجدلي الذي به يستطيع الخطيب بلوغ الحقيقة⁽²⁾، "ويبين في الأخير أنّ الحجاج السفسطائي لا يحرر فكر الإنسان ولا يحقق له ما به يكون الخير، وخالصة القول هي أن أفلاطون لم ينتقد الحجاج السفسطائي بما هو صناعة قول، بقدر ما نظر إليه بما هو قول صانع للإنسان والمجتمع."⁽³⁾

الجدل الأفلاطوني هو "منهج كلام وفكر"⁽⁴⁾ يقوم على عمليتين، عملية تأليف (synthèse) وعملية تقسيم أو تفرّيع (division) تسمى العملية الأولى جدلا صاعدا بها يرتقي الباحث من مفهوم إلى مفهوم، ومن قضية إلى قضية، حتى يبلغ أكثر المفاهيم عموما ويبلغ المبادئ الأولى ليتجاوز بها عالم المحسوس إلى عالم المثل، بينما العملية الثانية سماها بعض الدارسين جدلا نازلا، وبها يُفَرِّع الباحث ما انتهى إليه في العملية الأولى إلى أقسامه وأجناسه ولوازمه على نحو تدريجي.⁽⁵⁾

¹ - ينظر: هشام الريفي، الخطابة عند أرسطو، مرجع سابق، ص 68-70.

² - ينظر: عبد اللطيف عادل، بلاغة الإقناع في المناظرة، دار الأمان، الرباط، 2013، ص 42-44.

³ - هشام الريفي، الخطابة عند أرسطو، مرجع سابق، ص 72.

⁴ - أفلاطون، فايدروس أو عن الجمال، مرجع سابق، ص 107.

⁵ - ينظر: هشام الريفي، الخطابة عند أرسطو، مرجع سابق، ص 81-82.

إذن هذا هو موقف أفلاطون من الخطابة، عدّها شقيقة للفسفسطة متعارضة مع الفلسفة والعدل في محاورته لجورجياس، لا تستسيغ إلا المعرفة العامية البعيدة عن التفكير و التأمل النقدي وهي وسيلة تأثير طيّعة في يد الديماغوجيين من رجال السياسة، أمّا في المحاورّة الثانية مع فيدر فقد سعت الفلسفة إلى احتضان القول الخطبي، وذلك بعد مروره عبر مُطَهَّر الجدل الذي ييني الحقائق والاستنتاجات لبنة لبنة من لدن المتجادلين⁽¹⁾، ثمّ مراعاته للجانب النفسي من السامع ومبدأ التناسب في الأسلوب من طرف الخطيب، وتحقيق سعادة الإنسان كغاية من القول، مع أن الجوانب التي يقع الاهتمام بها تختلف من نظرية حجاجية إلى أخرى⁽²⁾، وبهذا "يتمّ ترويض الخطابة على يد الفلسفة."⁽³⁾

وبعد وفاة أفلاطون، استمرّ أرسطو في السير على خطى أستاذه، بعدها بسنوات أسس مدرسته (الليسي) (Le Lycee)، التي بدأ يتحرر فيها على التدريج من آراء أستاذه وأرسى فيها معالم فلسفة خاصة به وفق مسار تحليلي جديد، ففي كتاب "المواضع" تغيير -في التصوّر- للمجال الذي أراد أفلاطون أن يجعل فيه الجدل وتغيير للوضع الذي أراده له في نسق بناء المعرفة، وفي كتاب "التبكيّات" كشف عن صور الاستدلال في الحجاج السفسطائي مبينا عن آليات المغالطة فيه ، وقد جعل من تلك الدروس مراجع لطلابه، لكنّها لم تنشر إلاّ بعد أمد طويل من وفاته رغم ما فيها من جهود تأسيسية وآفاق في البحث جديدة.⁽⁴⁾

1-3-2. مقومات الخطابة(الحجاج) لدى أرسطو:

يرى أرسطو أنّ الخطابة بمنزلة الجدل وهي مثله في النفع مع أنّها غير مطالبة بالإقناع بقدر ما هي مطالبة بالتعريف والتبليغ للأمور، حيث قال: "قد استبان إذاً أن الريطورية ليست جنسا

¹ - ينظر: محمد الولي، تأملات في محاورتي أفلاطون جورجياس وفيدر، مرجع سابق، ص 81.

² - ينظر: هشام الريفي، الحجاج عند أرسطو، مرجع سابق، ص 82-83.

³ - محمد الولي، تأملات في محاورتي أفلاطون جورجياس وفيدر، مرجع سابق، ص 81.

⁴ - ينظر: هشام الريفي، الحجاج عند أرسطو، مرجع سابق، ص 86، 113.

لشيء واحد مفرد، لكنّها بمنزلة الديالكتيكية، وأنها جد نافعة، وأنه ليس عملها أن تقنع، لكن أن تعرّف المقنعات في كل أمر من الأمور، كما يوجد في صناعات آخر⁽¹⁾، ثم يبين أن الخطابة تتمتع بقوة تتكلف الإقناع الذي يمكن أن يوجه للمتلقي، والتكلف هنا هو ما يسميه أرسطو الصناعة إذ يقول: "أما الريطورية فقد يظن أنها هي التي تتكلف الإقناع في الأمر يعرض كأننا ما كان، ولذلك ما لا ننسبها إلى جنس أصلي منفرد حتى تكون لها تلك الصناعة خاصة، فأما التصديقات فمنها بصناعة ومنها بغير صناعة، وقد أعني باللاتي بغير صناعة تلك التي ليست تكون بحيلة منا"⁽²⁾، حيث يصر أرسطو على أنّ صناعة الخطابة قوامها التصديقات (Les preuves)، بينما حصر القول الخطبي في إطار التفاعلات القولية بين الإنسان والانسان، فطرق بالدراسة للتصديقات الخطبية (Les preuves oratoires)، كما درس أيضا أخلاق ومميزات الباث أو القائل (Les caractères) وانفعالات المتلقي (Les passions)، ففي الخطابة خروج عن البحث المنطقي المحض نحو البحث في علاقة القول بالأخلاق والسياسة، وهو يرى أنّ الخطابة فرع من الجدل كما هي فرع من علم الأخلاق، فالمشروع الأرسطي لا يفصل الجدل عن الخطابة، بل يحرص كل الحرص على تأكيد تلك العلاقة.⁽³⁾

والحاصل من ذلك في مجمله أنّ أرسطو قد اتخذ من الخطابة مجالا خصبا للمحاججة، لكونه قد وضع التصديقات أو الحجج جوهرًا للعلاقة الخطابية بين المخاطب أو الباث والمخاطب أو المتلقي، فسَلَط الضوء على أخلاقيّات الأول وانفعالات الثاني أثناء العلاقة الخطابية، مركزًا على صلة هذه الأخيرة بالجدل الذي يراه مدار العملية كلها، حيث إنّ عناصر الممارسة الكلامية ثلاثة هي المتكلم والمخاطب وموضوع الكلام، إذ يمكن تعويضها بعناصر أكثر اصطلاحية في الفلسفة اليونانية والتي هي: الإيتوس والباتوس واللوغوس، إذا ما سلمنا أن كل منها يقابل واحداً

¹ - أرسطو طاليس، الخطابة، مرجع سابق، ص 8.

² - أرسطو طاليس، الخطابة، ص 9.

³ - ينظر: هشام الرفي، الحجاج عند أرسطو، مرجع سابق، ص 98.

من الإصطلاحات السابقة، فالإيتوس يقابل المتكلم، والباتوس يقابل المتلقي، واللوغوس يقابل موضوع الكلام، أو الخطاب.⁽⁵⁰⁾

1-3-2-1. مراحل إنشاء القول الخطبي:

لقد صدر أرسطو مقاله الثالث من كتابه "الخطابة"، بنص يتبين من خلاله مراحل إنتاج القول الخطبي، إذ يقول: " إنَّ اللاتي ينبغي أن يكون القول فيهن على مجرى الصناعة فتلاث: (إحداهن): الإخبار من أيّ الأشياء تكون التصديقات، (والثانية): ذكر اللاتي تستعمل في الألفاظ، و(الثالثة): أن كيف ينبغي أن ننظم أو ننسق أجزاء القول "⁽⁵¹⁾. حيث يبين أنّ الدعائم الحجاجية للخطابة الأرسطية تكمن في ثلاثة أمور أساسية: أولها الإخبار عن جميع المعاني والأشياء التي يقع بها الإقناع، أي إيجاد الخطاب، وثانيها: الإخبار عن الألفاظ التي يعبر بها عن تلك المعاني وما يستعمل معها مما يجري مجراها، والثالث: عن أجزاء القول الخطبي وكيف ينبغي أن يكون ترتيبها ومما يتألف كل جزء منها من الألفاظ والمعاني أو ما يسمى اختصاراً: الإيجاد أي إيجاد القول الخطبي، والترتيب (ترتيب الألفاظ والمعاني) ثم الأسلوب.

أ- الإيجاد (اكتشاف الحجج **Eurisis**): "هي في مصطلح أرسطو (eurisis) وفي المصطلح اللاتيني الغالب (inventio) وفي المصطلحين معنى الظفر بالشيء والوقوع عليه، مما تؤدبه العبارة العربية، بل ويشير منطوق لفظها إلى ما ورد ضمناً في الكلمتين الأخيرتين، أو يرد في سياق التفسير "المصاحب لهما، وهو حسن التدبير والتقاط المناسبة بين الحجة وسياق الاحتجاج في صورتها المثلى، حتى يسد المتكلم السبيل على السامع،

⁵⁰ - ينظر: محمد الولي، مدخل إلى الحجج: أفلاطون وأرسطو وبيلمان، مجلة عالم الفكر، ع2، أكتوبر-ديسمبر

2011، مج 40، الكويت، ص12.

⁵¹ - أرسطو طاليس، الخطابة، مرجع سابق، ص 181.

فلا يجد منفذاً إلى استضعاف الحجة والخروج عن دائرة فعلها، وربما نقضها بما يخالفها

أو يباينها. وهذه المعاني موجودة في تقديرنا في كلمة (البصر بالحجة).⁽⁵²⁾

ب- ترتيب الأقسام (Taxis): بعد إيجاد الخطيب للحجج يسعى إلى تنظيمها والتنسيق بينها

وترتيبها ووضع كلّ واحدة في المكان المناسب لها فيزيديها ذلك قوّة ويمكن لها في ذهن

المتلقي، فالمقدّمات تستميله والخبر يحيطه بالوقائع حسب جنس الخطاب والخاتمة تلخّص

ما انتهى إليه الخطيب وتسعى إلى تحريك الجمهور⁽⁵³⁾، أمّا أرسطو فله رأي خاص به عن

الترتيب حيث يقول: "الكلام يتضمّن جزأين إذ لا بدّ من ذكر الموضوع ثمّ البرهنة عليه [...]

فأولى هذه العمليات هي العرض والثانية الدليل [...]" أمّا الاستهلال والمناقشة بالتساجل و

التكرار بإيجاز لما قيل، فإنّها لا توجد في خطب المحافل إلا إذا كانت ثمة مناظرة، أمّا

الخاتمة فلا تدخل في كل نوع من أنواع الخطب [...]" إذا كان العرض قصيراً أو كانت تفاصيل

القضية سهلة الحفظ، وهكذا ليس ثمّ من ضرورة إلاّ للقضية والدليل، فهذا هو الملائم حقاً

للكلام، وفُصارانا السماح ب: الاستهلال والعرض والدليل والخاتمة⁽⁵⁴⁾، وانطلاقاً من هذا

النص المطوّل فإنّ أجزاء الكلام هي: الاستهلال، العرض (السردي)، الدليل (الحجاج)، الخاتمة،

فالعرض والدليل يشكّلان العنصر الجوهرية، أمّا الاستهلال والخاتمة فيشكّلان العنصر الثانوي

لأتهما - حسب أرسطو - قد يتمّ التخلي عنهما في بعض الخطب، وبارث أيضاً يسير وفق

هذا التقسيم فيرى أنّ الاستهلال والخاتمة يرتبطان بالعواطف أمّا السردي والحجاج (الاثبات)

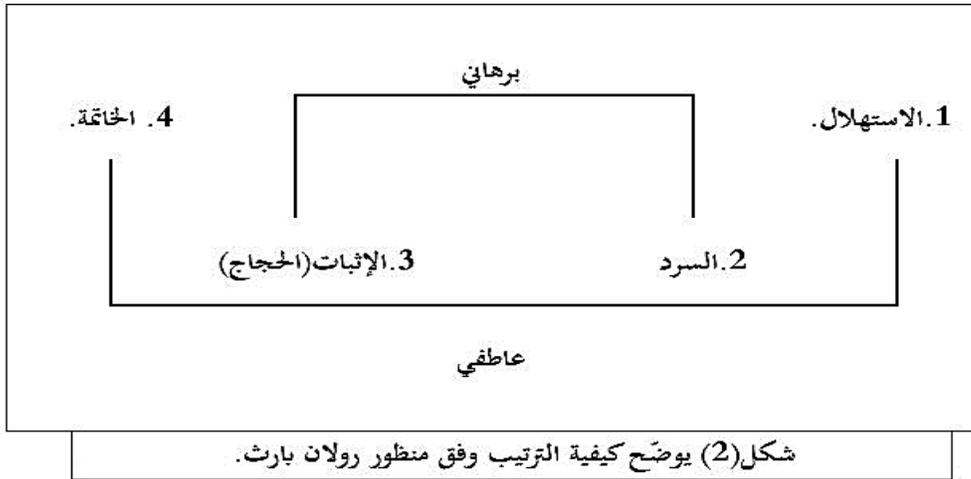
فيرتبطان بالوقائع والعقل ويعتبر أنّ العاطفي يؤطّر البرهاني ضمن الترسّمة التالية⁽⁵⁵⁾:

⁵² - حمادي صمود، في الخلفية النظرية للمصطلح، أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم، مرجع سابق، ص 14.

⁵³ - ينظر: المرجع نفسه، ص 15.

⁵⁴ - أرسطو، الخطابة، مرجع سابق، ص 229.

⁵⁵ - رولان بارث، قراءة جديدة للبلاغة القديمة، تر: عمر أوكان، إفريقيا الشرق، 1994، ص 71.



الاستهلال هو ما يتدئ به الخطيب وبه يدل على الغرض من خطابه وعن طريقه يستميل السامع إليه لذا يرى بارث "وجوب الحذر والتحفظ في الاستهلال"⁽⁵⁶⁾، لأنه الخيط الرفيع الذي يجعل المتلقي يتمسك بحبل الخطاب أو يُقلته بعدم الاهتمام أو الانشغال عنه-رغم أنّ هذا يختلف من جنس خطبي إلى آخر-، بعد ذلك يمرّ الخطيب إلى السرد فيعرض بشكل مفصّل ما مهّد له في الاستهلال دون إيجاز أو إطالة، باثاً في ثانيا عرضه حججه وإثباتاته التي تدعم عرضه، ويفنّد بالمقابل آراء وحجج خصومه ويسعى لنقضها، ثم يمضي إلى الخاتمة بحيث تكون ملخصاً لما سبق ونتيجة أخيرة يضع بها الخطيب بصمة وصورة في ذهن السامع تجعله يتفاعل ويتعاطف مع الخطيب ويؤيده فيما يذهب إليه.⁽⁵⁷⁾

ت- العبارة (الأسلوب Lexis): إنّ الحجج التي يكتشفها-على حد قول أرسطو-الخطيب ثم يرتبها في ذهنه لا بدّ لها من عبارات وألفاظ توصلها إلى ذهن السامع، "فيخرج كلّ ما كان في ذهن الخطيب وذاكرته إلى الوجود والفعل، وبالعبارة يتغيّر حكم الخطبة من آراء وحجج وقضايا مستورة، إلى وجود ظاهر لا يمكن بدونه أن يبلغ الخطيب من المخاطب

⁵⁶- رولان بارث، قراءة جديدة للبلاغة القديمة، ص 72.

⁵⁷- ينظر: عبد العالي قادا، بلاغة الإقناع، مرجع سابق، ص 96-103.

ماربه" (58)، إذ "لا يكفي أن يعرف المرء ما يجب أن يقوله، بل عليه أيضا أن يعرف كيف يقوله، وهذا يسهم كثيرا في جعل الكلام يظهر ذا طابع معيّن" (59)، فقد اشترط أرسطو للأسلوب شروطا وصفات متعدّدة لا بدّ من وجودها فيه منها: البيان والوضوح والدقة والملاءمة حتى يتحقّق شرط الإفهام، كما بيّن العيوب التي يجب على الخطيب أن يتجنّبها في أساليبه الخطابية حتى لا تتصف بالبرود-حسب أرسطو-منها: استعمال الغريب والحوشي من الألفاظ، الإطناب والحشو، عدم ملاءمة المجازات، التعسّف في استعمال الألفاظ المركبة (وذلك بوصف الشيء بكلمات متعدّدة بدل تسميته في كلمة واحدة)... (60)

ث- الإلقاء (**Hypocrisy**): هي مرحلة رابعة أضافها أرسطو في إنتاج القول الخطبي، تتعلّق بطريقة استعمال الصوت وكيف تكون نبراته عند إلقاء الخطبة ليكون منسجما مع كلّ نوع من الانفعالات (61)، وقد سمى بارث هذه المرحلة "مسرحة القول"، حيث كان "الخطباء يستعينون به لرفع قدرة القول على التأثير في المستمع وتحديد مآتي الدلالة في الخطاب، فتصبح طريقة إخراج القول عوناً للنص على بلوغ مقاصده من المخاطب" (62).

ج- التذكّر (**Mémoria**): بيّن رولان بارث أنّ: "اللاتين قد أضاف إلى المراحل التي ذكرها أرسطو مرحلة أخرى خامسة، لكن لا علاقة لها بالإنتاج في الحقيقة، وتتمثل في استظهار الخطيب للخطبة، استعدادا لإلقائها" (63) لأنّها على الأرجح كانت تُلقى مرتجلة.

58- حمادي صمود، في الخلفية النظرية للمصطلح، مرجع سابق، ص 17.

59- أرسطو، الخطابة، مرجع سابق، ص 193.

60- ينظر عبد العالي قادا، بلاغة الإقناع، مرجع سابق، ص 107-110.

61- ينظر: الحسين بنو هاشم، بلاغة الحجاج: الأصول اليونانية، دار الكتاب الجديد المتّحدة، بيروت، 2014، ص 329.

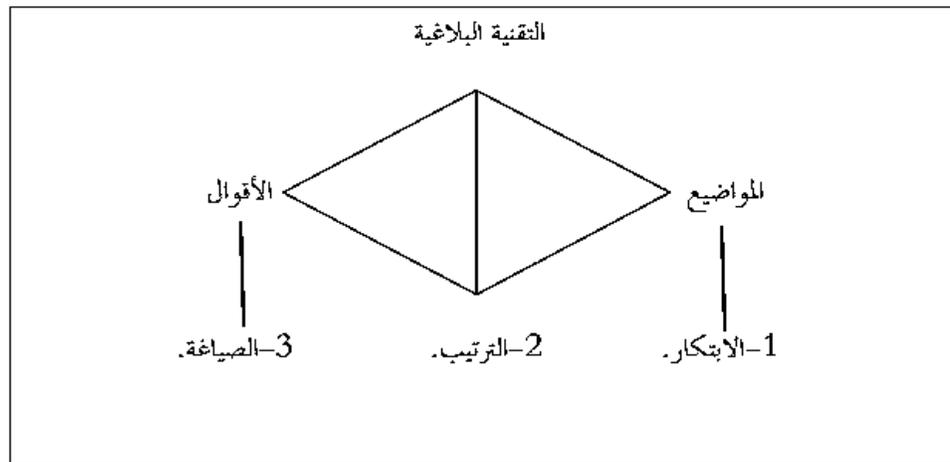
62- حمادي صمود، في الخلفية النظرية للمصطلح، مرجع سابق، ص 37.

63- هشام الريفي، الحجاج عند أرسطو، مرجع سابق، ص 174.

وقد سمى رولان بارث هذه المراحل ب: "الأجزاء الخمسة للتقنية البلاغية" وأجزها في الجدول الآتي: (64)

1. الابتكار، الإيجاد.	العثور على ما يمكن قوله.
2. الترتيب، التصنيف.	تنظيم ما تمّ العثور عليه.
3. الصياغة، اللفظ.	إضافة زخرفة الكلمات، الوجوه.
4. الفعل، الإيماء.	لعب الخطاب مثل ممثل: إشارات وأداء.
5. الذاكرة، الحفظ.	الرجوع إلى الذاكرة.

فالابتكار أو الإيجاد يتعلّق بمادة الخطاب وحججه وموضوعه، والصياغة تتعلّق بالأقوال، أمّا الترتيب فهو أساسي في كليهما، ليأتي بعد ذلك الفعل أو الإلقاء أي كيفية إلقاء الخطيب لخطابه وما يصاحبه من إيماءات وإشارات- هذا إن كان منطوقا-، بعدها حفظ الخطيب للخطاب واستظهاره بشكل جيّد من أجل إلقائه، ثمّ ما يلبث بارث أن يرى أنّ العمليات الثلاثة الأولى هي الأكثر أهمية مقارنة بالعمليتين الأخيرتين فيقترح الرسم الآتي الذي يطلق عليه اسم الآلة البلاغية: (65)



شكل(1): يوضح الآلة البلاغية الأرسطية وفق منظور " رولان بارث".

⁶⁴ - رولان بارث، قراءة جديدة للبلاغة القديمة، مرجع سابق، ص48.

⁶⁵ - ينظر: المرجع نفسه، ص49.

فمراحل إنشاء القول الخطبي لدى أرسطو هي معايير ثابتة لا يستطيع أي خطيب أن يني خطابا مقنعا يحقق غايته (الإرضاء، الاستمالة، التأثير، التنفيذ...) دون المرور عليها، وقد أجمل بروتون وجوتيه، معايير بناء الخطابة الأرسطية في الجدول التالي:⁽⁶⁶⁾

مراحل بناء الخطاب	الأسئلة الكاشفة عن المرحلة	النظريات المستخدمة
الإبداع (الابتكار، الإيجاد)	ما القضية المدافع عنها؟ ما المسلمات التي تركز إليها؟ ما الحجج التي يتم استخدامها للدفاع جيدا عنها؟	المسلمات (معرفة المتفق عليه والآراء المتعارف عليها). نظرية الاستدلال: القياس المضمّر/المثل.
الترتيب	كيف يتم تركيب الحجج؟ ما التدرج الأفضل للحجج؟	الاستهلال/السرد/الحجاج/الخاتمة
الأسلوب (العبارة، الصياغة)	ما الصور الأسلوبية الأكثر توافقا؟ كيف يقوم الخطيب بتقديم نفسه؟ كيف يأخذ المتلقين في اعتباره؟	الأسلوب (الوضوح، الدقة، حسن الصياغة، المجاز...)، صورة الخطيب النصية، مشاعر المتلقي.
الاستظهار (التذكر، الحفظ)	كيف يقوم الخطيب بتفعيل ذاكرته؟ كيف يدخل في	المسلمات

⁶⁶ - فيليب بروتون وجيل جوتيه، تاريخ نظريات الحجاج، تر: محمد صالح الغامدي، مركز النشر العلمي، جامعة الملك عبد العزيز، جدة، 2011، ص37.

	علاقة مع ذاكرة متلقيه؟ كيف يستخدم الذاكرة الجماعية؟	
دور السياق في تلقي الحجّة، التنغيم (رفع الصوت وخفضه)، أجناس الخطاب (مشاجري، مشاوري، تثبتي)	أي جنس خطبي؟ ماهي نوعية المتلقي؟ ما نوعية المواقف الخطابية؟	الفعل (الإلقاء)

بعد الكشف عن مراحل إنشاء القول الخطبي، نعود لنفصّل في التصديقات أو الحجج التي سبق أن أشرنا إليها دونما أن نوفيها حقها من الشرح، وفي مايلي استفاضة في ذلك.

1-3-2-2. الحجج والتصديقات غير الصناعية:

يميّز أرسطو في تصنيفه للحجج بين نوعين من أنواع الحجج، أحدهما: الحجج غير الصناعية، إذ يقول: "فأما التصديقات فمنها بصناعة، ومنها بغير صناعة، وقد أعني باللاتي بغير صناعة تلك اللاتي ليست تكون بحيلة منا، لكن بأمور متقدمة، كمثل الشهود والعذاب، والكتب والصكاك وما أشبه ذلك، وأما اللاتي بالصناعة فما أمكن إعداده وتثبيته على ما ينبغي بالحيلة وبأنفسنا..."⁽⁶⁷⁾، ويُقصد بالحجج غير الصناعية لدى أرسطو، تلك التي تكون جاهزة خارجة عن إرادة الخطيب وليس له دخل فيها، إذ هي خارجة عن نطاق تصرفه واجتهاده، مثل: الشهود، والاعترافات، والوثائق والعقود والإثباتات المكتوبة، والأقوال المنتزعة عن طريق التعذيب، وهي ترتبط خاصّة بالمجال القضائي والقانون والمحاكمات، ويرى رولان بارث أنّها: "عناصر مؤسسة من لغة اجتماعية، تمرّ مباشرة إلى الخطاب، دون أن تكون قد تحوّلت بواسطة أي إجراء تقني

⁶⁷ - أرسطو، الخطابة، مرجع سابق، ص 9.

للخطيب"⁽¹⁾، فهو لا يستطيع استقراءها واستنباطها والتصرّف فيها لأنّها جامدة في ذاتها بل يمكنه فقط أن يجعلها ذات قيمة بواسطة ترتيب منهجي.⁽²⁾

1-3-2-3. الحجج والتصديقات الصناعية:

النوع الثاني من الحجج التي يلجأ إليها الخطيب هي الحجج الصناعية، ويُقصد بها الحجج التي لا تكون جاهزة بل تكون من اجتهاد الخطيب نفسه، وتتوقف على مدى فطنته وخبرته في استخراجها والإدلاء بها في وقتها المناسب، وتنقسم بحسب أرسطو إلى أقسام ثلاثة، "فمنها ما يكون بكيفية المتكلم وسمّته، ومنها ما يكون بتهيئة السامع واستدراجه نحو الأمر، ومنها ما يكون بالكلام نفسه قبل التثبيت"⁽³⁾، إذن نبيّن من هذا النص أنّ الحجج الصناعية لدى أرسطو تكمن في ثلاثة أنواع:

أ- الإيتوس (Ethos): هو مراعاة كل ما يتعلق بسمت الخطيب -المرسل وأخلاقه- بإثبات فضائل نفسه التي هو أهل بها ولها، انطلاقاً من هيئته وشكله الخارجي، ووقاره وآدابه وحظوته وغير ذلك من الصفات التي تحدّد شخصيته، والتي يكون لها تأثير جليّ في نفسية المتلقي وتجعله يُصدق ما يتلقاه من الخطيب دون أدنى شكّ، فالصورة التي يمتلكها السامع عن الخطيب قبل انخراطه في خطابه، ممّا يعرفه عن سمعة الخطيب وشهرته وطريقة حياته وسلوكه ووضعه الاجتماعي أو السياسي أو الثقافي وأقواله وإنجازاته السابقة، تبني لدى السامع معطيات تُسهّم في فعالية الصورة الذاتية للخطيب وتؤثر على السامع⁽⁴⁾، لأنّ الخطيب -حسب أرسطو- "هو خلق يُكسب المَقول مصداقية ويوفّر في

¹ - رولان بارث، قراءة جديدة للبلاغة القديمة، مرجع سابق، ص 52.

² - ينظر: المرجع نفسه، ص 51.

³ - أرسطو، الخطابة، مرجع سابق، ص 10.

⁴ - ينظر: محمد مشبال، في بلاغة الحجاج، دار كنوز المعرفة، الأردن، 2017، ص 181.

في الحركة الحجاجية عنصر الثقة، وهو عنصر خارج الاستدلال لكن له دوره في تحقّق عملية الإقناع⁽¹⁾، فمصدقية الخطيب تجعل المتلقي يسلم بفحوى الخطاب ويتأثر به.

ب- الباتوس (Pathos): أي مراعاة ما يتعلق بأحوال السامعين ونفسياتهم وانفعالاتهم فالخطابة دوماً تنتبه لحال النفس المتلقية للقول، وردّة فعلها، فحال الفرح ليست كحال الحزن وحال السخط ليست كحال الرضا، يقول أرسطو: "وأما بتهيئة السامع فحين يستميله الكلام إلى شيء من الآلام المعترية، فإنّه ليس إعطاؤنا الأحكام في حال الفرح والحزن ومع المحبة والبغضة سواء"⁽²⁾، فالعواطف مهمة جداً لذا يجب على الخطيب استمالتها واستقطابها، ليسهل التأثير فيها كيفما كان نوع الخطاب، فالحجج "لا تقصد إلى البرهنة على صدق قضية ما ولكنها تقصد إلى كسب واستمالة ذهن واحد أو أكثر، والحال أنّ ما قد يبدو حجّة جيّدة في نظر شخص ما يمكن أن يبدو عديم القيمة في نظر شخص آخر، ينبغي للخطاب الإقناعي أن يتلاءم مع المستمع الذي يقصد إلى إقناعه إذ إنّ لا يمكن أن يتطور إلا انطلاقاً مما يقبله الآخر"⁽³⁾، فينبغي للخطيب أن يكون محيطاً بالأحوال النفسية والعاطفية لمستمعيه حتى يضمن لكلامه التأثير والفعالية.

ت- اللوغوس (Logos): هو "الحجج المستندة إلى الخطاب نفسه أو الموضوع، ويشكّل الحجاج المنطقي الذي يمثّل الجانب العقلاني في السلوك الخطابي، ويرتبط بالقدرة الخطابية على الاستدلال والبناء الحجاجي"⁽⁴⁾، فهو يكمن في مراعاة ما يتعلق بكلام المتكلم، وما تحمله اللغة داخلها من حجج منطقية وعقلية، لأنّ تثبيت الأشياء في النفوس

¹ - هشام الرفي، الحجاج عند أرسطو، مرجع سابق، ص 146.

² - أرسطو، الخطابة، مرجع سابق، ص 10.

³ - Perleman: La philosophie du pluralisme et la nouvelle rhétorique ; in Revue internationale de philosophie (La nouvelle rhétorique/the new rhetoric) n127/128.1979.p14.

أخذاً عن: عبد العالي قادا، بلاغة الإقناع، دار كنوز المعرفة، الأردن، 2016، ص 86.

⁴ - عبد العالي قادا، بلاغة الإقناع، مرجع سابق، ص 88.

إنّما يتم بالكلام المقنع، يقول أرسطو: "إنّ الإقناع يحدث عن الكلام نفسه إذا أثبتناه حقيقة أو شبه حقيقة بواسطة حجج مقنعة مناسبة للحالة المطلوبة"⁽¹⁾، والكلام المقنع يحصل عليه الخطيب عن طريق براعته في التأليف والإجادة في الصياغة وحفظه للأقوال المؤثرة والمقنعة المثيرة للانفعالات، والأقوال المشحونة بالأخلاق والفضائل، وحتى يتم له ذلك فلا بد أن يكون عالماً بثلاثة أشياء، أولها: معرفة الأقاويل المقنعة، وثانيها: معرفة الأخلاق والفضائل، وثالثها: معرفة الانفعالات، وذلك بأن يعرف كلّ انفعال، ومن أي شيء يكون، ومتى يكون، وكيف يكون.

1-4. الخطابة وسلطة الحجة:

أيّ خطاب يسعى للتأثير في متلقيه وإقناعهم، مستقياً قوّته وسلطته إمّا من الخطيب أو من الخطاب ذاته، أي من الأقوال الخطبية (الحجج) القائم عليها، فتفرض بذلك الحجّة سلطتها على السامع حسب صنفه والغاية من قوله، حيث يبيّن أرسطو أنّ هناك ثلاثة أنواع من السامعين، على أساسهم يبرز نوع الخطاب والحجج التي يقوم عليها، يقول: "قد توجد أنواع من الريطورية ثلاثة عدداً، وكذلك يوجد السامعون للكلام، والكلام نفسه مركب من ثلاثة: من القائل، ومن المقول فيه، ومن الذي إليه القول، والغاية إنّما هي نحو هذا، أعني السامع..."⁽²⁾، فنجد أنّ أرسطو قد قرن أنواع الخطابة بمتلقيها جاعلاً الأولوية لهم و على أساسهم يتحدّد نوع الخطابة، ويشرح ابن رشد ذلك في تلخيص الخطابة قائلاً أنّ "عدد أصناف السامعين للقول الخطبي ثلاثة، وذلك أنّ الكلام مركب من ثلاثة: من قائل وهو الخطيب؛ ومن مقول فيه وهو الذي يعمل فيه القول؛ ومن الذين يوجه إليهم القول وهم السامعون، والغاية بالقول إنّما هي متوجهة نحو هؤلاء السامعين، والسامعون لا محالة: إمّا مُناظر، وإمّا حاكم، وإمّا المقصود إقناعه"⁽³⁾، وعلى أساس

¹ - أرسطو، الخطابة، تر: عبد الرحمن بدوي، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، 1986، ص 30.

² - أرسطوطاليس، الخطابة، مرجع سابق، ص 16.

³ - ابن رشد، تلخيص كتاب الخطابة، تح: عبد الرحمن بدوي، دار القلم، (دت)، بيروت، ص 28.

هذه الأصناف المستمعة تتحدد "أجناس القول الخطبي فتكون إما مشوري أو مشاجري أو تثبتي"⁽¹⁾، وفي كَلِّ سُلْطَة معينة تتفاوت من حيث الدرجة.

فأما المشوري: فمنه إذن، ومنه منع؛ وذلك أنّ كل من يشير على الخاصة أو العامة، فإنّما يشير دائما بقول هو إذن أو منع، وأما القول المشاجري فهو أيضا صنفان: شكايّة وتنصل من الشكايّة، وأما القول التثبتي فهو كذلك صنفان: إما مدح، وإما ذم، وأما الغايات من هذه الأقاويل فهي ثلاث غايات، فالقول المشير فغاياته النفع والضرر، فإن الذي يشير يأذن في النافع أو في الذي هو أنفع، ويمنع من الضار، وأما القول المشاجري فغاياته العدل والجور، وأما القول المثبت فغاياته الفضيلة والرذيلة⁽²⁾، إنّ هذه الغايات تثبت أنّ الإقناع الخطبي يتوخى من خلال السلطة التي يفرضها على المتلقي بحججه بُعدا قيميا وأخلاقيا، ويُعنى أساسا بمصير الأفراد كما يُعنى أيضا بمصير المجتمع⁽³⁾.

والخطابة عند أرسطو بأنواعها الثلاث تشترك في أنّها "صناعة مدارها إنتاج قول تبني به الإقناع في مجال المحتمل والمسائل الخلافية القابلة للنقاش، بمعنى أنّها علاقة بين طرفين تتأسس على اللغة والخطاب، يحاول أحد الطرفين فيها أن يؤثر في الطرف المقابل جنسا من التأثير يوجه به فعله أو يثبت لديه اعتقادا أو يمليه عنه أو يصنعه له صنعا"⁽⁴⁾، إذ أنّ قوّة الخطاب الحجاجية الإقناعية هي ما يكسبه سلطة ذاتية تؤثر في المتلقي للخطاب، وتكون نابعة من داخل الخطاب أي من خصائصه ومكوّناته اللغوية والدلالية، يقول أرسطو: "إنّ الإقناع يحدث عن الكلام نفسه إذا أثبتناه حقيقة أو شبه حقيقة بواسطة حجج مقنعة مناسبة للحالة المطلوبة"⁽⁵⁾، فالخطاب عندما

¹ - ابن رشد، تلخيص كتاب الخطابة، ص 29.

² - ينظر: المرجع نفسه ص 29-30.

³ - ينظر: عبد اللطيف عادل، بلاغة الإقناع في المناظرة، مرجع سابق، ص 56.

⁴ - حمادي صمود، مقدمة في النظرية الخلفية النظرية للمصطلح، ضمن كتاب: أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم، مرجع سابق، ص 12.

⁵ - أرسطو، الخطابة، تر: عبد الرحمن بدوي، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، 1986، ص 30.

يرد منسابا متناسق الألفاظ والمعاني، يستميل متلقيه ويسيطر عليهم بقوة الجذب اللغوي القائم على معيار اللوغوس الذي يعدّ من المعايير الحجاجية، وكذلك عن طريق الباتوس حين يتم استعطاف المتلقي أو ترهيبه والتركيز على عواطفه وأحاسيسه⁽¹⁾، وحتى عن طريق الإيتوس حيث يؤكّد أرسطو ذلك بقوله: "الخطيب يُقنع بالأخلاق إذا كان كلامه يلقي على نحو يجعله خليقا بالثقة [...] وليس صحيحا أنّ الطيبة الشخصية التي يكشف عنها المتكلّم لا تسهم بشيء في قدرته على الإقناع بل بالعكس ينبغي أن يعدّ خلقه أقوى عناصر الإقناع لديه"⁽²⁾، فصورة المتكلّم في مجتمعه والتمثّلات التي يكوّنها السامعون حوله تمارس أيضا سلطتها وحجّيتها وسطوتها عليهم، ومما يُكسب أيضا الحجّة سلطة تُمارس على المستمع، ما يدعوه أرسطو بالمثل والقياس المضمّر وذلك لما ينطويان عليه من عناصر حجاجية، فالمثل نوع من الاستقراء لأنّه يقوم على استدعاء الجزئي للجزئي والمثيل للمثيل وهو حجّة تقوم على المشابهة بين حالتين في مقدّمتيهما، ويُراد استنتاج نهاية إحديهما بالنظر إلى نهاية مماثلتها، إذن المثل يشتغل بوصفه بُنية استشهادية تقودنا إلى الاعتقاد، ويكون إمّا تاريخي يرتبط بحادثة مضت وإمّا مُخترع من قِبَل الخطيب، فالمثل يفيد الخطيب في تدعيم حججه وتيسير الحركة الحجاجية لخطابه⁽³⁾، أمّا القياس المضمّر فيقوم على الاستنباط ويتعلّق بمجال المُحتمل لأنّه يُسقط قضايا وأمور تكون ظاهرة معروفة وغير ضرورية فلا حاجة لذكرها، بل تُترك للسامع لذّة الكشف عنها ممّا يولّد انطبعا لديه بأنّه هو نفسه الذي قضى على ذلك الجهل بقدرته العقلية الذاتية، فيُسلّم بها، كما أن الإضمار أيضا يُسقط المقدّمات

¹ - ينظر: قوتال فضيلة، حجاج السلطة أم سلطة الحجاج؟، مجلة فصل الخطاب، مج3، ع1، جامعة ابن خلدون، تيارت، الجزائر، 2014، ص32-34.

² - أرسطو، الخطابة، مرجع سابق، ص30.

³ - ينظر: عبد اللطيف عادل، بلاغة الإقناع في المناظرة، مرجع سابق، ص56. وكذا: عبد العالي قادا، بلاغة الإقناع، مرجع سابق، ص92-93.

التي من شأنها أن تستثير اعتراضاً يعرقل حركة الحجاج⁽¹⁾، إذن كلّ العناصر السابقة الذكر تُكسب الحجّة سلطة ملزمة للمتلقّي وتحقّق الإقناع الذي جعله أرسطو محور عملية الخطابة لديه ومركزها.

1-5- الحجاج الغربي الحدائي:

1-5-1. أفول بلاغة الحجاج ثم نهضتها:

بلاغة الحجاج التي أرسى معالمها أرسطو في كتابه الخطابة، انحرفت بعده لتتشغل بالزخرفة اللفظية والمحسّنات الكلامية، وتركّز على الجانب الجمالي (elocutio) دون الجانب الحجاجي الإقناعي، وقد ساد هذا الاتجاه أمداً طويلاً، حتى صارت البلاغة في عداد الأموات بمجيء اليقينية العقلانية على يد ديكارت والحسية التجريبية في القرن السادس عشر، وبسط سطوتها على مختلف المجالات العلمية والفكرية، فتمّ حصر البلاغة في مجال التعليم فقط، يقول بارث: "يتمثّل انتصار البلاغة في هيمنتها على التعليم، أمّا احتضارها فيتجلّى في اختزالها ضمن هذا القطاع، إنّها تسقط شيئاً فشيئاً في زوال نفوذ ثقافي، وهذا الزوال مُقادّ من طرف إعلاء قيمة جديدة هي البداة (اليقينية) التي تكتفي بذاتها وتتجاوز اللّغة، أو على الأقلّ تزعم أنّها لا تستعملها إلا مثل أداة، وساطة، تعبير، وتأخذ هذه البداة ثلاثة اتجاهات: بداة شخصية (في البروتستانتية)، بداة عقلانية (في الديكارتية)، بداة حسية (في التجريبية)، فالبلاغة إذاً كُنّا سمحنا بها في التعليم فقط، لم تعد منطقاً، بل مجرد لون أو زخرف"⁽²⁾، مثلما نجده في كتب برنارد لامي (Lamy Bernard)، ودومارسيس (Dumarsais)، وفونتانييه (Fontanier)، فكلّها تقدّم فن القول على الإقناع وتركّز على المحسّنات والصور الأسلوبية.⁽³⁾

¹ - ينظر: عبد العالي قادا، بلاغة الإقناع، مرجع سابق، ص 90-92.

² - رولان بارث، قراءة جديدة للبلاغة القديمة، مرجع سابق، ص 38.

³ - ينظر: فيليب بروتون وجيل جوتيه، تاريخ نظريات الحجاج، مرجع سابق، ص 40.

ويوضّح بروتون وجوتيه أن: "حركة تدهور الحجاج كانت مزدوجة، فهي أولاً داخلية إذ إنّ مرحلتي الترتيب والتعبير (الصياغة) في داخل البلاغة صعّدتا تدريجياً لمكان عالٍ جديد هو التعبير الأدبي، ثم هي ثانياً خارجية إذ فقد الحجاج مكانه ليحل فيه البرهان العقلاني خاصة مع ديكرت"⁽¹⁾، والعقلانية ترفض المحتمل الذي يُعد أساس بلاغة الحجاج فشكّل هذا صعوبة للبلاغة في الاحتفاظ بموقع مركزي في أنظمة الفكر الحديثة.⁽²⁾

فكانت النتيجة أن لم يعد لبلاغة الحجاج وجود كنظرية ولا كممارسة، لا في الثانوية ولا في الجامعة، وتمّ اعتبارها مبحثاً قديماً، وآل بها الأمر إلى الحذف من المقررات المدرسية الفرنسية سنة 1902 في الوقت ذاته الذي فرغت فيه البرامج من أي إحالة إلى البلاغة.⁽³⁾

غير أنّ هذا الأفل لم يستمر، وبدأ بريق البلاغة يعود شيئاً فشيئاً مع ثلّة من الباحثين بقيادة رولان بارت الذين أدركوا أنّ: "الانشغال بالبلاغة في فرنسا لا يمكن إدراكه بوصفه مفارقاً للتاريخ أو تحدياً للطلائعية، فلفظ البلاغة نفسه كان قد بدأ يفقد إحياءاته السلبية التي ارتبطت به منذ أكثر من قرن، ندرك أنّ البلاغة ليست تزييناً للخطاب، ولكنها بُعْدُ أساس للمعنى"⁽⁴⁾، كما حاول ستيفان تولمن أيضاً (Stephen Toulmin)، من خلال كتابه "استخدامات الحجّة" معارضة بعض أساليب المنطق والرغبة في إصلاحه لجعله أكثر قابلية للتطبيق في مواقف الحياة اليومية⁽⁵⁾.

¹ - فيليب بروتون وجيل جوتيه، تاريخ نظريات الحجاج، ص 38.

² - ينظر: فيليب بروتون، الحجاج في التواصل، تر: محمد مشبال وعبد الواحد التهامي، المركز القومي للترجمة، القاهرة، 2013، ص 21.

³ - ينظر: فيليب بروتون وجيل جوتيه، تاريخ نظريات الحجاج، مرجع سابق، ص 40.

⁴ - فيليب بروتون، الحجاج في التواصل، تر: محمد مشبال وعبد الواحد التهامي، مرجع سابق، ص 21-22.

⁵ - ينظر: فيليب بروتون وجيل جوتيه، تاريخ نظريات الحجاج، مرجع سابق، ص 41.

أمّا نهضة البلاغة وعودة مكائنها إليها، فترتبط أساساً بمشروع شايم بيرلمان وزميلته تيتكا في البلاغة، اللذان كان لهما فضل كبير في إعادة بعثها وإحيائها من خلال كتابهما المشترك "مصنّف في الحجاج-الخطابة الجديدة"، الذي أعاداه به للبلاغة بعدها الحجاجي، ونقلها من مجرد وسيلة لزخرفة وتنميق الكلام إلى وسيلة إقناع ذات سلطة حجاجية، ودراسة للخطاب الإقناعي وهما بتجديدها وردّها إلى بعدها الفلسفي مرة أخرى، حيث انطلقا من النقطة التي توقفت فيها البلاغة اليونانية، وقاما بضمّ الخطابة إلى الجدل، بعد عزلها عنه من طرف أرسطو بشكل من الأشكال، إذ يرى بيرلمان أن الحجاج الجدلي لا يختلف عن الحجاج الخطابي إلا في الظروف والملابسات المحيطة بهما، مع أنه فصل ما بين البرهنة والحجاج وأحدث قطيعة مع الفلسفة العقلانية الديكارتية و الفلسفة التجريبية الحسية - اللتان تريان في البلاغة أنها لا توصل إلى حقيقة ثابتة - باعتبار أنّ البرهان يعبر عن الحقيقة البديهية التي تتعلق بالعلوم الدقيقة، بينما الحجة فتعبر عن الإقناع الذي يتعلق بما يشبه الحقيقة، أو ما يعتبره بيرلمان المجال الحيوي للخطابة⁽¹⁾.

إذن بهذا النهوض بعد الأفل استطاعت البلاغة الخروج من حدود البعد الجمالي الذي كانت محصورة فيه، والتجديد بالانفتاح على مجالات الخطاب، نازعة لأن تصبح علما واسعا للمجتمع، منتقلة بذلك من المعيارية إلى الوصفية، وصار الهدف الأوّل للبلاغة هو التحليل بدل إنتاج النصوص.⁽²⁾

¹ - ينظر: الحسين بنو هاشم، نظرية الحجاج عند شايم بيرلمان وآفاق تحليل الخطاب، ضمن كتاب: البلاغة والخطاب، تنسيق: محمد مشبال، منشورات دار الأمان، ط1، الرباط، 2014، ص 150

² - ينظر: محمد العمري، أسئلة في البلاغة، في النظرية والتاريخ والقراءة، إفريقيا الشرق، المغرب، 2013، ص 183-

1-5-2. نظرية الحجاج عند شايم بيرلمان "Chaïm Perelman" وتيتكا

أولبريشتس "Lucie Olbrechts-Tyteca" (1):

تنطلق نظرية الحجاج عند الباحثين من بحثهما عن منطق للقيم ومما سبق ذكره، أي من محاولتهما إعادة الاعتبار للبلاغة اليونانية و"تخليص الحجاج من تهمة المغالطة والمناورة والتلاعب بعواطف الجمهور وبعقله أيضا، ودفعه دفعا إلى القبول باعتبارية الأحكام ولا معقوليتها، وتهمة صرامة الاستدلال الذي يجعل المخاطب به في وضع ضرورة وخضوع واستلاب" (2)، ومن ثمة تطويرها، يقول بيرلمان حول ما قاما به من جهود في هذا الصدد: "إنّ العمل الطويل النفس الذي خُضت فيه مع أولبريشتس تيتيكا، هو الذي قادنا إلى نتائج غير متوقعة إطلاقا، نتائج كانت بالنسبة إلينا كشفا لأمر كان محجوبا عنا، ألا وهو أنّه لا يوجد منطق للقيم وأنّ ما نبحت عنه كان قد عولج من طرف مبحث ضارب في القدم، منسي حاليا ومستهجن، هو البلاغة أي فن الإقناع و الاقتناع" (3).

¹ - شايم بيرلمان (1912-1984) هو مؤسس البلاغة الجديدة وأحد رموز مدرسة بروكسل، حيث درّس بجامعة مواد المنطق والأخلاق والميتافيزيقا. ولقد جرى إدراج أبحاثه ضمن مجالات القانون والبلاغة والحجاج. وحصل شايم بيرلمان، خلال مساره العلمي، على جوائز عدة، وخلع عليه الملك بودوان، ملك بلجيكا، سنة 1983 لقب البارون بالنظر إلى مكانته العلمية الرفيعة وإلى مستوى اجتهاداته الوازنة، أما تيتيكا أولبريشتس فهي صديقة شايم بيرلمان، واشتغلت معه في مجال البلاغة الجديدة، من مؤلفاته:

-Rhétorique et philosophie، avec Lucie Olbrechts-Tyteca, 1952.

- (الخطابة والفلسفة-بالاشتراك مع أولبريشتس تيتكا).

-Le Champ de l'argumentation, 1969. (حقل الحجاج).

-L'Empire rhétorique, 1977. (إمبراطورية الخطابة)

-Traité de l'argumentation: La nouvelle rhétorique، avec Lucie Olbrechts-

Tyteca, 2009. (الحجاج -الخطابة الجديدة، بالاشتراك مع تيتكا)

² - عبد الله صولة، الحجاج أطره ومنطلقاته وتقنياته، ضمن كتاب: أهم نظريات الحجاج، مرجع سابق، ص 298.

³ - Ch.Perelman, L'empire rhétorique. Rhétorique et argumentation, Librairie philosophique J.Vrin, Paris, 2^{eme} edition, 2002, p9-10.

وقد حدّد الباحثان موضوع نظرية الحجاج في "دراسة التقنيات الخطابية التي تمكن من إثارة الأذهان وتعزيز انخراطها في الأطاريح المقدّمة"⁽¹⁾، وغايته في قولهما: "غاية كلّ حجاج أن يجعل العقول تدعن لما يطرح عليها أو يزيد من درجة ذلك الإذعان، فالحجاج الفعّال هو الذي يوفق في جعل درجة الإذعان تقوى لدى المتلقين فينجزون العمل المطلوب أو على الأقل يجعلهم مهيبين لذلك العمل في اللحظة المناسبة"⁽²⁾، -وهنا تكمن سلطة الحجاج وقوته-، والإذعان الذي يقصده هنا هو منطقة وسطى بين الاستدلال الذي ينطلق من مقدمات تُستنبط منها بالضرورة نتائج واحدة لا ترتبط بالمقام، وبين الإقناع القائم على تعطيل العقل بمخاطبة العاطفة والخيال وإلغاء حرية الاختيار، هذه المنطقة الوسطى يمكن دعوتها بالاقتناع الذي يحقّقه المرء بنفسه⁽³⁾، إذن الاستدلال(الاقتناع) المقصود لدى بيرلمان وتيتكا يتصدى للعقلانية الديكارتية والحسية التجريبية، وهو -أي الاستدلال- ليس استنباطا شكليا أو استقراءً بل حجاج، والحجاج عندهما "معقوليّة وحرية وحوار من أجل الوفاق بين الأطراف المتجاورة، ومن أجل حصول التسليم برأي آخر بعيدا عن الاعتبارية واللامعقول اللذين يطبعان الخطابة عادة، وبعيدا عن الإلزام والاضطرار اللذين يطبعان الجدل."⁽⁴⁾

¹ -« En effet, l'objet de cette théorie est l'étude des technique discursives permettant de provoquer ou d'acroitre l'adhésion des esprits aux thèse qu'on présente à leur assentiment. » Ch.Perelman et O.Tyteca, Traité de l'argumentation-la nouvelle rhétorique, Editions de l'Université de Bruxelles, 6^{eme} edition, 2008, p5.

² -« Le but de toute argumentation, avons-nous dit, est de provoquer ou d'accroitre l'adhésion des esprits aux thèses qu'on présente à leur assentiment: une argumentation efficace est celle qui réussit à accroitre cette intensité d'adhésion de façon à déclenchez chez les auditeurs l'action envisagée, ou du moins à créer, chez eux, une disposition à l'action, qui se manifesterà au moment opportun.» ibid. p59.

³ - ينظر: عبد العالي قادا، بلاغة الإقناع، مرجع سابق، ص 160.

⁴ - عبد الله صولة، الحجاج أطره ومنطقاته وتقنياته، مرجع سابق، ص 298.

وقد قام بيرلمان وتيتكا بمقاربة الحجاج مع الجدل الأرسطي والخطابة، حيث يقولان: "الغاية من تقريننا بين الحجاج والخطابة أن نلحّ على أنّه لا حجاج بدون وجود مستمع يجعله الخطاب يقتنع ويسلم ويصدق على ما يعرض عليه"⁽¹⁾، كما عمداً إلى توسيع حدود البلاغة الحجاجية من خلال تمييزها بين البرهنة التي تسعى للحقيقة وتميّز بالإلزام والضرورة، وبين الحجاج الذي يبقى في إطار الشبيه بالحقيقة، حيث لا مجال لحقيقة ثابتة نهائية، بل هي نسبية ذاتية مرتبطة بالمقام الموجودة فيه و عناصره ووحداته، ففتحا بذلك المجال واسعا لبلاغة الحجاج أو البلاغة الجديدة، أمام كلّ أشكال الخطابات الإنسانية التي لا تتصل بالمجال العلمي الدقيق: كالخطاب الأدبي، والصحافي، والسياسي، والإشهاري، والتربوي...، وحتى الخطابات التي تجري في مناحي الحياة اليومية، منطوقة كانت أم مكتوبة⁽²⁾، إذ يقول بيرلمان: "إنّ الحياة اليومية والعائلية والسياسية توفّر لنا كمّاً هائلاً من أمثلة الحجاج البلاغي، إنّ أهمية الأمثلة المنتمية إلى الحياة اليومية تكمن في التقارب الذي تسمح به مع الأمثلة التي يوفّرها الحجاج الأكثر سموّاً عند الفلاسفة والقانونيين"⁽³⁾، فهو يعتبر البلاغة علماً يهدف من خلاله إلى تطوير المجتمع عن طريق دراسة مختلف خطاباته والوقوف على تحليل خطتها الحجاجية المؤسسة عليها، ومنه يعدّ بيرلمان نظريته مُستهدفة لكلّ أنواع المتلقّين، بل تصل حتى لدرجة حديث النفس حينما يتشاور الإنسان مع ذاته، يقول عنها أنّها: "تتعلق بالخطابات الموجهة إلى جميع أنواع المستمّعات (الموجه إليهم الخطاب لإقناعهم)، سواء تعلق الأمر بجمهور مجتمع في الساحة العمومية، أم باجتماع للمتخصصين، وسواء توجهنا إلى فرد واحد أم إلى الإنسانية جمعاء، وستعالج حتى الحجج التي يوجهها المرء لنفسه أثناء مشاوره مع النفس"⁽⁴⁾، وهنا نجد بيرلمان يُقسّم المستمع أو المتلقي إلى قسمين، مستمع خاص

¹ - Perelman et Tyteca, Traité de l'argumentation-la nouvelle rhétorique, p7.

² - ينظر: الحسين بنو هاشم، نظرية الحجاج عند شايم بيرلمان وآفاق تحليل الخطاب، مرجع سابق، ص153.

³ - ينظر: محمد الولي، الاستعارة في محطات يونانية وعربية وغربية، دار الأمان، المغرب، 2005، ص356.

⁴ - Ch.Perelman, L'empire rhétorique, p19.

-نقلا عن: الحسين بنو هاشم، نظرية الحجاج عند شايم بيرلمان وآفاق تحليل الخطاب، مرجع سابق، ص151.

ومستمع كوني (l'auditoire universel) يعني الأول شخص الخطيب نفسه أو جمع محدود العدد في مقام معين، ويشمل الثاني كل كائن ذي عقل حاضرًا كان في المقام أم غائبًا، هذا التقسيم مكن بيرلمان من التمييز بين الخطابات التي تهدف إلى الإقناع (persuasion) وتكون موجّهة إلى مستمع خاص وتسعى لحمل المخاطب على قبول دعوى الخطيب بكلّ الوسائل خصوصًا التأثيرية إذ تخاطب الخيال والعاطفة لديه (تشبه الخطاب السفسطائي)، وبين الخطابات التي تهدف إلى التيقين أو الاقتناع (conviction) وتكون موجّهة إلى مستمع كوني، وتسعى لجعل القناعة ترسخ في ذهن المخاطب بكل حرية، عن طريق حجج تخاطب العقل أكثر من مخاطبتها الوجدان⁽¹⁾، وبالتالي: "فإنّ الحجاج غير الملزم وغير الاعتباطي هو وحده الجدير بأن يحقّق الحرية الإنسانية من حيث هي ممارسة لاختيار عاقل"⁽²⁾، فاستراتيجية النظرية الحجاجية تُبنى على المستمع، والزّهان قائم على دفعه للاقتناع.⁽³⁾

وتثير قضية المستمع الكوني في البلاغة الجديدة عدّة اعتبارات، فالخطيب حتى لو اختار مستمعيه إلا أنّه لا يمكنه أن يمنع مستمعين آخرين من الاستماع إليه، كما لا يستطيع بالمقابل أن يفرض على مستمعيه تلقي الرسالة، وقد تبلغ الرسالة إلى من لم ترسل إليه، وربما يفهم المتلقي من الخطاب ما لا يقصده الخطيب، حتى أنّه قد يفهم ما يتعارض مع قصده، كلّ هذه الاحتمالات تؤكّد على أنّ الحجاج يبقى في إطار النسبي والشبيه بالحقيقة.⁽⁴⁾

¹ - ينظر: الحسين بنو هاشم، نظرية الحجاج عند شايم بيرلمان وآفاق تحليل الخطاب، ص 151-152.

² - « Seule l'existence d'une argumentation, qui ne soit ni contraignante ni arbitraire, accorde un sens à la liberté humaine, condition d'exercice d'un choix raisonnable. » Perelman et Tyteca, Traité de l'argumentation-la nouvelle rhétorique, p682.

³ - ينظر: عبد اللطيف عادل، بلاغة الإقناع في المناظرة، مرجع سابق، ص 86.

⁴ - ينظر: محمد الولي، الاستعارة في محطّات، مرجع سابق، ص 371.

كما أنّ "أي حجاج يُثار إلّا وقد أوجده شكّ في مدى صحّة قضية أو فكرة ما، فالمحاجة تفترض أنّ هنالك فكرة ما ينبغي تدقيقها والتشديد عليها، وبدون ذلك التدقيق والتشديد تبقى غامضة وغير واضحة بما فيه الكفاية، فلا يمكن فرضها على المستمع القوي الذي ينبغي أن يفرض به"⁽¹⁾، وذلك لأنّ المحاجة -رّبّما- لم تقم على الاقتناع المستند إلى حجج عقلية مختارة بحرية، بل هي تتضمن خلافاً ما، كقيامها على أحكام اعتبارية أو ملزمة للمستمع، لذلك وجب على المُحاجّ (الخطيب) أن يتكيف مع مخاطبه ويتلاءم معه، كأن يختار مقدماته ليلقى المقبولة لدى مستمعه، ويترتب على ذلك أنّ قوة الحجة تبقى رهينة بمدى الانسجام الذي يحدث بينهما، وبمن توجه إليه تحديداً مع مدى سلطة الخطيب على مستمعه، وأن يولي كل الظروف النفسية والاجتماعية المحيطة بمخاطبه أهمية إذا أراد التأثير بفعالية على العقول، "فليس الحجاج في النهاية سوى دراسة لطبيعة العقول، ثمّ اختيار أحسن السبل لمحاورتها والإصغاء إليها، ومحاولة انسجامها الإيجابي وتمسكها بالطرح المقدّم، فإذا لم توضع هذه الأمور النفسية والاجتماعية بالحسبان فإنّ الحجاج يكون بلا غاية وبلا تأثير."⁽²⁾

1-2-5-1. منطلقات الحجاج لدى بيرلمان وتيتيكا:

يرى الباحثان أنّ الحجاج يتأسس بدءاً من مقدماته، فلكي يحقق الخطيب الإقناع لدى المستمع وينال القبول لديه، ينبغي عليه أن ينطلق من مقدمات ومسلّمات تمتلك القدر الكافي من المقبولة لدى المستمع فتشكّل لديه موجّهات حجاجية وحاملاً للاتفاق يقول بيرلمان: "غاية الحجاج هي أن تخصّ النتائج بنفس الاستمالة أو القبول التي تخصّ بها المسلّمات، وتفادياً للفشل في أداء القصد، فإنّ الخطيب لا ينبغي له التسليم إلّا بالمسلّمات التي تتمتع بقبول كاف،

¹ - Perelman et Tyteca, Traité de l'argumentation-la nouvelle rhétorique, p635.

²- Ibid, p18.

أو التي تكون مقبولة أيضا عند المستمع⁽¹⁾، فالخطيب الذي ينطلق من مقدمات غير مسلّم بها لدى السامع فإنّه بذلك "يتجاهل في حجاجه قبول المستمع لمسلّمات خطابه، ويقع في خطأ جسيم هو المصادرة على المطلوب (pétition de principe)"⁽²⁾، ممّا يؤدي إلى نتائج عكسية على الحجاج، وهذا يبرز أهمية ضرورة الانطلاق من مسلمات مقبولة لدى المستمع لأنّها تشكّل قاعدة الخطيب المؤسّسة لإقناعه، وتتجلى هذه المقدمات والمنطلقات في:

أ- الوقائع (les faits): تمثّل ما هو "مشترك بين عدّة أشخاص أو بين جميع الناس"⁽³⁾، فهي تتضمّن إجماعا كونيا، لذا نجد الجمهور يسلمّ بها، "فاستمالة المستمع نحو الواقعة، هي بالنسبة له مجرد استجابة ذاتية تجاه شيء ما يفرض نفسه تلقائيا على الجميع"⁽⁴⁾، والوقائع قد تكون عيانية أو محتملة.

ب- الحقائق (les vérités): "تربط بين الوقائع عن طريق النظريات العلمية والفلسفية والدينية المتعالية عن التجربة"⁽⁵⁾، أي تلك النظريات التي لها قدسية أو ضمانة مطلقة لا شكّ فيها لدى المستمع، كأن يضاف الاقتناع (التيقن) من الواقعة (أ) إلى النظرية (س) لإنشاء الاقتناع من (ب)، أي أنّ التسليم بالواقعة (أ) وبالنظرية (س) يعني التسليم بالواقعة (ب).⁽⁶⁾

ت- الافتراضات (les présomptions): هي أحكام قبلية أو آراء متصوّرة سلفا، وتكون موضع موافقة كونية، مرتبطة بما يحدث عادة، إلّا أنّ التسليم بها لا يصل حدوده القصوى إلّا إذا عضّدها المسار الحجاجي وقواها، وهي غير ثابتة تتغيّر بتغيّر الحالات

1 - Ch.Perelman, L'empire rhétorique, p35.

-نقلا عن: محمد الولي، الاستعارة في محطات، مرجع سابق، ص371.

2 -ibid, p36.

3 - Perelman et Tyteca, Traité de l'argumentation, p89.

4- Ibid, p93.

5- Ibid, p92.

6- ينظر: عبد الله صولة، الحجاج أطره ومنطلقاته وتقنياته، مرجع سابق، ص 309.

والأوضاع لأتّها تتحدد بالقياس إلى العادي أو المحتمل⁽¹⁾، ففي العادة مثلاً أنّ الناس تسلّم بأمانة الحارس على ممتلكات غيره أو مؤسسته، لكن هناك حُرّاس يخونون الأمانة ويسرقون ممتلكات من يحرسونهم أو يتواطؤون على ذلك.

ث- القيم (**les valeurs**): هي ركائز حجاجية لاغنى عنها في المحاجّة فرغم خلوها من البعد العلمي إلا أنّها تدفع السامع على الفعل المرجو وقوعه، خاصة في مجالات السياسة والقانون والفلسفة، إذ يقول بيرلمان أنّها: "تحمل المخاطب على القيام بأفعال معيّنة بدل أخرى، ويبرّر استدعاؤها الأفعال التي ندعو إليها فيجعلها تقبل تأييد الآخرين [...]"، فبالقيم تتشكّل الحقيقة المطلوبة على الوجه الذي يريده الخطيب، وتظلّ محافظة على نصاعتها بعد استخدامها ممّا يجعلها صالحة للاستخدام في مقامات أخرى⁽²⁾، والقيم إمّا تجريدية تكتسي طابعا معنويا مثل قيمة العدل والحق والجمال والخير وغيرها، وإمّا محسوسة مثل الوطن ومؤسّسات الدولة والمسجد...

ج- الهرميات (**les hiérarchies**): نجد لها أيضاً تسمية التراتبيّات والسلالم، وهي تتعلق بالقيم، إذ إنّ القيم تتفاوت في درجة حُجّيتها وتخضع للترتيب، فنجد قيمة أعلى درجة في حجيتها من قيمة أخرى، مثلاً العدل أعلى قيمة من الجمال، يقول بيرلمان: "تراتبية القيم في البنية الحجاجية أهمّ من القيم نفسها، فرغم تسليم السامعين بالقيم إلا أنّهم يختلفون في ترتيبهم لها"⁽³⁾، ممّا يؤثر على القيمة نفسها.

ح- المواضع (**les lieux**): هي مقدّمات عامّة ويطلق عليها أيضا لفظ المعاني، ونجدها في الفكر الأرسطي بمعنى "مخازن أو مستودعات الحجج"⁽⁴⁾، وتشكّل مرجعية بناء القيم وترتيبها لدى المتكلّم لكي تدفع السامع إلى الفعل وتزيل العقبات التي لا تنسجم مع البناء الحجاجي

¹ - ينظر: عادل عبد اللطيف، بلاغة الإقناع في المناظرة، مرجع سابق، ص 87.

² - Perelman et Tyteca, Traité de l'argumentation, p99-102.

³ - Ibid, p109.

⁴ - Ibid, p112.

المقدم⁽¹⁾، وهي أنواع عدّة كمواضع الكم أي المواضع المشتركة التي تبين أنّ شيئاً أفضل من شيء لأسباب كمية، ومواضع الكيف التي يتم فيها التفضيل بين شيئين لأهمية أحدهما على الآخر، ومواضع الترتيب التي يتم فيها الإقرار بأفضلية السابق على اللاحق، ومواضع الموجود التي تقول بأفضلية الموجود والواقعي على المحتمل والممكن والمستحيل.⁽²⁾

تشكّل هذه المقدمات على تعدّد أنواعها أطراً ينطلق منها الحجاج، فهي بذلك تؤدي عملاً تكاملياً لإنجاح مسار حجاجي يسعى لإقناع السامع، ولا يمكن أن يتحقّق إلا بوجود المُحاجّ الذي يقوم بدور المحرّك له، وبدونه لا تتحقّق الفاعلية الحجاجية، إذ إنّ هذه المقدمات كثيرة قد لا يُستطاع حصرها، فهو باختياراته لما يناسب ويخدم موضوعه الحجاجي من تلك المقدمات وحسن تقديمه وتنظيمه لها أمام من يحاججه يكسبها تلك الفاعلية الحجاجية، كما أنّ المُحاجّ ملزم بزيادة على حسن اختيار وتنظيم المقدمات أو ما يسمى بالاستحضار، بتوجيه مسار الحجاج نحو تأويل معين يتوافق وينسجم ومقصديته، حتى ينفى الدلالات الأخرى التي تحملها تلك المقدمات ويزيل اللبس والغموض على السامع، فيكون بذلك قد قرن معطياته باختيار دلالي معيّن، إذ لا وجود-حسب بيرلمان- لأي اختيار محايد، كما أن اختيار الصفات والنعوت له دوره الحجاجي أيضاً، فالصفة التي يختارها المُحاجّ تبين عن وجهة نظره وموقفه من الموضوع، كلّ هذا يحتاج إلى إخراج جيّد وحسن عرض واستعانة بالألفاظ الخاصة بدل العامة، وابتعاد عن المقدمات المبتدلة، واستخدام لموجّهات التعبير من إثبات وإلزام واستفهام وتمني واعتماد للحكم والأمثال والصور البلاغية وغيرها، يتحمّل مسؤوليتها المُحاجّ أو الخطيب، لإثارة حضور الحدث في ذهن السامع⁽³⁾، ولتبيان أهمية الموجّه التعبيري يقول بيرلمان عن الموجه الاستفهامي: "السؤال يفترض موضوعاً ما وانطلاقاً منه يتوقع أنّ ثمة اتفاق حول وجود هذا الموضوع، كما أنّ الإجابة

¹ - ينظر: عبد العالي قادا، بلاغة الإقناع، مرجع سابق، ص 164.

² - voir: Perelman et Tyteca, Traité de l'argumentation, p115-126.

³ - ينظر: عادل عبد اللطيف، بلاغة الإقناع في المناظرة، مرجع سابق، ص 89.

على سؤال ما تعني التأكيد على هذا الاتفاق الضمني، ولكم علمتنا الحوارات السقراطية مدى أهمية هذه التقنية الحوارية.⁽¹⁾

1-2-5-2. التقنيات الحجاجية الإقناعية لدى بيرلمان وتيتيكا:

تقوم نظرية الحجاج من أجل إقناع السامع-لدى بيرلمان وتيتيكا-على أنّ الحجاج في أي خطاب يقوم على طريقتين، إمّا عن طريق الفصل (procédés de dissociation)، وإمّا عن طريق الوصل أو الاتصال (procédés de liaison).

1-2-2-5-1. طرق الوصل في الحجاج:

يقوم مفهوم الوصل في الحجاج على التقريب بين العناصر التي تشكّل الحجاج، والتي تكون متباينة في الأصل، فتبرزها طرق الوصل كبنية حجاجية واضحة بما تقيمه من روابط بينها، وللوصل الحجاجي ثلاثة أشكال هي: الحجج شبه المنطقية، الحجج المؤسسة على بنية الواقع، والحجج المؤسسة لبنية الواقع.⁽²⁾

1-1-2-2-5-1. الحجج شبه المنطقية (Les arguments quasi logiques)

هي حجج يمكن صياغتها وفق المنطق لكنّها غير ملزمة بعكس البرهان المنطقي الذي يكون ملزماً تماماً، إذ إنّها تستمدّ قوتها الإقناعية من مشابهتها للطرائق المنطقية والرياضية في البرهنة وتستند إليها في حجّيتها، لكنّها خلافاً للحجج المنطقية الخالصة يمكن أن تردّ بيسر، بدعوى أنّها ليست منطقية، لأنّها تفتقر إلى الاختزال والتدقيق، كما أنّها لا تخلو من الغموض والانفتاح على تأويلات متعدّدة ممّا يؤكّد على أنّها غير ملزمة كما سبق القول.⁽³⁾

¹ - Perelman et Tyteca, Traité de l'argumentation, p214.

² - ينظر: عبد الله صولة، الحجاج أطره ومنطلقاته وتقنياته، مرجع سابق، ص 324.

³ - ينظر: قوتال فضيلة، حجاجية الشروح البلاغية، مرجع سابق، ص 44.

1-1-2-2-5-1. الحجج شبه المنطقية التي تعتمد البنى المنطقية:

أ- التناقض والتعارض (عدم الاتفاق *Incompatibilité*):

يرتبط التناقض بالمنطق بحيث إذا كانت لدينا قضيتان متضادتان فإنّ إحداهما تنفي وجود الأخرى، لأحادية الدلالة والمعنى في اللغة الرمزية، أما التعارض أو عدم الاتفاق فيرتبط بالحجاج ولا يبلغ درجة التناقض المنطقي لأنه يظل رأيا خاصا أو قرارا شخصيا مرتبطا بظروف معينة و مقام محدّد، ولأنّ اللغة الطبيعية على العكس من اللغة الرمزية، تفتح احتمالات التعارض على نفسها من خلال ملفوظاتها التي يمكن أن تؤوّل بأشكال عدّة، فالمحاجّ مسؤول عن تبرير ذلك التعارض إن وجد حتى لا تكون فكرته أو أطروحاته موضع ضعف أمام من يحاججه، كأن يقوم بتنفيذ فكرة خصمه - حتى لو كانت صائبة- وإظهار التعارض فيها هي وتحويلها ضدّه، عن طريق الاستهزاء والسخرية مثلا، وهذا ليدعم المحاجّ رأيه أو فكرته.

(1)

ب- الحد والتعريف (*Identité et définition*):

تشكّل التعريفات والحدود مبرّرات حجاجية في الخطاب لأنّها تستمد قوّتها الإقناعية من اتفاق الجماعة حولها وتسليمها بها، فالتعريف "على تعدّد أنواعه، بديهي وبسيط، علمي أو تعليمي، هو بالدرجة الأولى وسيلة وحيلة للإقناع، لأنّه يفرض الإنصات باسم قانونه"⁽²⁾، ويقوم على استراتيجية المعنى الصحيح بحيث يقدّم اختيارات دون أخرى ويشكّل حكما على الأشياء أو تقويما لها، أمّا مشابهته المنطق فتبدو في كونه يضيف موضوعية نسبية على ما يقوم بتعريفه، ويصدر أساسا من القاعدة الصارمة التي يقوم عليها، بحثا عن الكلمة الدقيقة والمعتمّقة، من أجل تحقيق الإقناع لدى المتلقي، و يرى بيرلمان أن التعريف أربعة أنواع هي: التعريف المعياري الذي تحكّمه قاعدة يعتقد أنّه على الجميع تتبعها، والوصفي الذي يرتبط

¹ - ينظر: قوتال فضيلة، حجاجية الشروح البلاغية، مرجع سابق، ص 49-65.

² - المرجع نفسه، ص 66.

بسياق خاص، والمكثف الذي يركّز على عناصر أساسية فقط في التعريف الواصف، والمركب الذي يجمع بين الأنواع التي سبق ذكرها.⁽¹⁾

ت- الحجج القائمة على العلاقات التبادلية أو قاعدة العدل (arguments de réciprocité):

ترتبط الحجج هنا بوضعيتين متماثلتين أو أكثر لأشخاص أو حالات أو أشياء، مما يقتضي معاملة أو حكما واحدا بينهم من باب قاعدة العدل²، كأن يوبخ أب أبناءه لأنهم ارتكبوا خطأ معيناً، أو يقيس المُحاجّ خطابه على وضعية وُجدت من قبل مشابهة لما يريد أن يقنع به سامعه، فيقتنع السامع لكون الوضعية التي قاس عليها المُحاجّ أدت إلى نتائج مماثلة يريد المُحاجّ الوصول إليها، مثلاً: أجير يرفض أجره يقدمها له المستأجر فيقنعه هذا الأخير بأن نفس المبلغ أخذه أجير قبله بنفس العمل، فيستفسر الأجير ممن عمل قبله ثم يرضى بمبلغ الأجرة.

ث- حجج التعدية (Arguments de transitivité):

هي حجج شكلية صورية لبعض العلاقات التي تتيح الانتقال من إثبات أنّ العلاقة الموجودة مثلا بين (أ) و(ب) من ناحية و (ب) و(ج) من ناحية أخرى هي علاقة واحدة تؤدي إلى الاستنتاج بأن هذه العلاقة نفسها موجودة بالتالي بين (أ) و(ج)، فعلاقات المساواة، الأفضلية، التضمنين، الإرتقاء هي علاقات متعدية⁽³⁾، ومبدأ التعدية "يطبق بطريقة صورية في القياس، لكنّه لا يسعفنا عندما نطبّقه على وقائع إنسانية"⁽⁴⁾، فإذا كان الفريق (أ) هزم في مباراة كرة القدم الفريق (ب)، والفريق (ب) هزم الفريق (ج)، فليس بالضرورة أن الفريق (أ) سيهزم الفريق

¹ - ينظر: قوتال فضيلة، حجاجية الشروح البلاغية، ص 67-93.

² - ينظر: عادل عبد اللطيف، بلاغة الإقناع في المناظرة، مرجع سابق، ص 93.

³ - Perelman et Tyteca, Traité de l'argumentation, p305.

-أخذا عن: فضيلة قوتال، حجاجية الشروح البلاغية، مرجع سابق، ص 117.

⁴ - محمد الولي، الإستعارة في محطات، مرجع سابق، ص 379.

(ج)، بل تبقى كل حظوظ كل فريق قائمة والمنطق السوري هنا لا جدوى منه بل السطوة للمنطق الطبيعي.

1-1-2-2-5-1. الحجج شبه المنطقية التي تعتمد العلاقات الرياضية:

أ- إدماج الجزء في الكل:

تجسد هذه الحجّة مفهوم أن ما ينطبق على الكل ينطبق على الجزء، ويربطها أحد الباحثين بالقاعدة الفقهية في تحريم الخمر "ما أسكره كثيره فقليله حرام".⁽¹⁾

ب- حجة تقسيم الكل إلى أجزائه:

تنطلق من فكرة أنّ الحكم الذي ينطبق على مجموعة من العناصر، ينطبق على الكل الذي تنتمي إليه، أي أنّ ما يصدق على الأجزاء سيصدق على الكل شريطة إحصاء الأجزاء جميعها وخلوّها من أيّ غموض، لأنّ الغاية من استعمال حجّة التقسيم⁽²⁾ هي "البرهنة على وجود المجموع، ومن ثم تقوية الحضور، بمعنى إشعار الغير بوجود الشيء موضوع التقسيم من خلال التصريح بوجود أجزائه"⁽³⁾، كإقناع مسؤول ينفي وجود أزمة غلاء في البلاد، بتعداد السلع التي غلا ثمنها.

ت- الحجج بالمقارنة:

يقوم على المقارنة بين الحقائق بغية تقديم حجّة على حكم ما، "فنحن حين نقارن نكشف للغير عن شيء آخر، نفتح حقل استثماراته ونخرجه من العالم بنظرة ضيقة جدا، نحصرها في قطبين اثنين، هما الشيء المقارن والشيء المقارن به، فيقتنع بمعرفتنا الجديدة بموضوع الحجج"⁽⁴⁾

¹ - ينظر: عبد العالي قادا، بلاغة الإقناع، مرجع سابق، ص 170.

² - ينظر: فضيلة قوتال، حجاجية الشروح البلاغية، مرجع سابق، ص 170.

³ - عبد الله صولة، الحجج أطره ومنطلقاته وتقنياته، مرجع سابق، ص 331.

⁴ - قوتال فضيلة، حجاجية الشروح البلاغية، مرجع سابق، ص 179.

1-5-2-2-1-2. الحجج المؤسسة على بنى الواقع:

هي حجج لا تكتفي بالبعد العقلاني المنطقي الموجود في الحجج شبه المنطقية، بل تتأسس على التجربة، وعلى علاقات حاضرة بين الأشياء المكوّنة للعالم، لأنّ الحجاج هنا يعمد إلى تفسير الأحداث والوقائع وتوضيح العلاقات الرابطة بين عناصر الواقع وأشياءه، يقول بيرلمان: "بمجرد ما يتم الجمع بين عناصر من الواقع في علاقة معترف بها، يصبح من الممكن أن نؤسس عليها حجاجا يسمح بالمرور ممّا هو مقبول إلى ما نسعى لجعله مقبولا"⁽¹⁾، فالغاية إذن هي إقامة وحدة بين الأحكام المقبولة سابقا وأخرى يُسعى لنشرها، وهي أحكام تُظهر قيمة الأثر انطلاقا من قيمة سببه، لذا يمكن القول أنّها أحكام قيمية، وهذه الحجج المعتمدة على بنى الواقع، لا تصف الواقع وصفا موضوعيا إنّما تسعى لتقديم الآراء المتعلقة به، ويمكن أن تكون هذه الآراء وقائعا أو حقائقا أو افتراضات. (2)

وتنقسم الحجج القائمة على بنية الواقع إلى قسمين:

1-5-2-2-1-2. حجج الاتصال التتابعي:

أ- **الحجاج والرابط السببي:** تتأسس الحجج هنا على رابط سببي يصل بين أحداث متتابعة بشكل ثابت، وفق آلية استدلالية ترمي إلى تبرير الأحداث (3)، ويسير هذا الرابط في اتجاهين من السبب إلى النتيجة ومن النتيجة إلى السبب، ويتمظهر هذا النوع من الحجاج ضمن ثلاثة مظاهر:

¹ - Ch.Perelman, L'empire rhétorique, p95.

² - ينظر: قوتال فضيلة، حجاجية الشروح البلاغية، مرجع سابق، ص195-198.

³ - ينظر: المرجع نفسه، ص201.

- الحجاج الرابط بين حدثين متتابعين بواسطة رابط سببي، مثل: خان الأمانة فسُجن.

- الحجاج الذي يقوم على إثبات أو استنتاج وجود سبب مؤد إلى حدث ما، مثل: عوقب لأنه اختلس أموال الدولة.

- الحجاج الذي يوضح الأثر الذي ينتجه حدث ما، مثل: يحارب الفساد فسيواجه المصاعب.

ب- **الحجة البراغمية:** هي الحجة التي تستمد قوتها الإقناعية انطلاقاً من نتائج الحدث، وتعتدُّ بفعالية موضوع الحجة أو ضرره، وهو "نمط حجاجي بالغ الأهمية في مجال منطق الأحكام القيمية، والأكثر استعمالاً فيها. حتى أننا لا نستغني عنه في كلامنا اليومي، إذ ينبع من نمط تفكيرنا البراغماتي الذي يركّز على نتائج الأشياء، وأكثر السلوكات نفعا وفعالية، حتى يبدو الاستدلال بالنتائج استدلالاً فعالاً، لا يحتاج لأيّ تبرير أو تعليل"⁽¹⁾، مثال: مطالبة الرأي العام الجزائري بتفعيل القصاص أو عقوبة الإعدام، والتركيز على نتائج تعطيل هذا الحد أو العقوبة من انتشار لجرائم قتل الأطفال وكثرة الفساد وعدم مراعاة مصالح الناس، فاستدلّ بنتائج تعطيل هذا الرادع و جعل منها حجة لانتشار تلك الجرائم، دون البحث عن الأسباب الحقيقية التي أوجدت تلك الأفعال من انعدام للأمن أو عدم وجود هيئة رقابية نزيهة.

ت- **حجة الاتجاه:** تتأسس هذه الحجة على فكرة مفادها التحذير من اتباع سياسة التنازل التتابعي، "ففعالية هذه الحجة تتلخص في الإقرار بوجود سلسلة من المراحل المؤدية إلى هدف ما، غالباً ما يكون متهيّباً، واستحالة التوقف بعد الانطلاق في الاتجاه المؤدي لذلك، مما يقنع بالانصراف عنه، أو الحذر منه"⁽²⁾، وإذا استمر ذلك الأمر

¹ - قوتال فضيلة، حجاجية الشروح البلاغية، مرجع سابق، ص 221.

² - المرجع نفسه، ص 255.

السلبى في الزيادة والكثرة تدعى هذه الحجة لدى بيرلمان بحجة الانتشار، وحجة العدوى، ونجد هذا النوع من الحجج في الاعتصامات والإضرابات الجماعية والمفاوضات، حيث يعمد رئيس النقابة أو التنسيقية إلى إقناع المضربين، بضرورة الصمود في الإضراب، وإذا تنازلوا عن المطالبة بحقوقهم هذه المرة فإن الحكومة سترى فيهم هذا الضعف، وتعرض عن الإنصات لمطالبهم، بل وقد تُقدم على سلب حقوق أخرى منهم غير آبهة بهم.

1-5-2-2-1-2-2-2. حجج الاتصال التواجمي:

أ- حجة استحضر الشخصيات وأعمالهم: هي حجة تربط بين الشخص وعمله بحيث يكون عمله انعكاسا وتمظهرا لجوهره، وبالتالي حجة له أو عليه، فيتم تقييمه من خلال التداخل الموجود بين شخصه وعمله، "فلئن كانت الأعمال تجلو جوهر الشخص وتفسره فإنه في المقابل يمكن أن يكون الشخص أو بالأحرى ما نعرفه عن الشخص، هو الذي يفسر لنا ما غمض من أعماله، وههنا يكون للسياق دور في تأويل العمل."⁽¹⁾ على سبيل المثال: يطلب جار من جاره إقراضه بعض المال، فيقرضه دون تردد نتيجة أفعال الجار المقترض للمال التي أكسبته سمعة طيبة لم يطعن فيها أحد سابقا، فكانت حجة له في ذهن المقرض للمال واقتنع بأن جاره هذا هو حقا في عُسر دفعه إلى الاقتراض منه وهو أمين وسيرجع ذلك الدين، بينما لا يفعل ذلك إزاء وضعية مماثلة، لكن مقترض المال فيها معروف عنه طبع سيء معين فكان هذا حجة عليه.

ب- حجة السلطة: تستمد هذه الحجة قوتها الإقناعية من مكانته وهيئة ونفوذ صاحبها وسنأتي عليها بالتفصيل لاحقا.

¹ - عبد الله صولة، الحجج أطره ومنطقاته وتقنياته، مرجع سابق، ص334.

ت- **الرابط الرمزي:** "يقوم هذه الحجج على الانتقال من الرمز إلى ما يرمز إليه كالانتقال من العلم إلى الوطن ومن شخص الرئيس إلى الدولة، معتمدة على ما تثيره من عواطف وأحاسيس وهو يؤثر فيمن يقر بوجود الاتصال بين طرفيه فقط"⁽¹⁾، فمثلا رمزية يوم الشهيد أو يوم الاستقلال أو يوم أول نوفمبر لها حضور خاص فقط لدى الجزائريين الذين يؤمنون بأن الثورة جلبت لهم الحرية، بينما لا نجد لهذا أي تأثير على الشعوب الأخرى.

1-5-2-2-1-3. الحجج المؤسسة لبنى الواقع:

تقوم هذه الحجج على مستويين اثنين هما:

- أ- **تأسيس الواقع بواسطة الحالات الخاصة:** ويقوم هذا النوع من الحجج على حالات خاصة منها:
- **المثل:** ويؤتى به في الحالات التي لا توجد فيها مقدمات، عادة ويسمح بالانتقال من حالة خاصة إلى حالة خاصة أيضا، لكن قد يُعتمد المثل لتعميم حكم ما ويؤدي تواتره إلى تأسيس قاعدة عامة، ثم الانطلاق منها وبناء الواقع عليها ولهذا السبب يصنف بيرلمان هذا النوع الحجاجي ضمن ما يطلق عليه اسم الحجج التي تؤسس الواقع.⁽²⁾
- **الاستشهاد:** "لكن كانت الغاية من المثل تأسيس القاعدة فإنّ الاستشهاد من شأنه أن يقوّي درجة التصديق بقاعدة ما معلومة، وذلك بتقديم حالات خاصة توضّح القول ذا الطابع العام، والاستشهاد يؤتى به للتوضيح ويكون لا حقا بعد المثل قصد تقوية حضور الحجّة في ذهن السامع."⁽³⁾

¹ - عبد الله صولة، الحجج أطره ومنطقاته وتقنياته، مرجع سابق، ص 336.

² - ينظر: فضيلة قوتال، حجاجية الشروح البلاغية، مرجع سابق، ص 312.

³ - عبد الله صولة، الحجج أطره ومنطقاته وتقنياته، مرجع سابق، ص 337.

- الأنموذج وعكس الأنموذج: الأنموذج لدى بيرلمان هو من يصلح على صعيد المجتمع بسلوكه، أو بماله، أو بهيئته، أو منصبه... وبالتالي يكون قدوة وذو قيمة فيه، مجسداً منوال تطبيق القاعدة، فيُحض على العمل مثله، ويكون حجّة، أما عكس الأنموذج فهو من يُحض على عدم الاقتداء به. (1)

ب- الاستدلال بواسطة التمثيل (**Analogie**): التمثيل أداة حجاجية تقوم على تبيان تشابه العلاقات، فهو مواجهة بين بنى متشابهة وإن كانت من مجالات مختلفة، وصيغة التماثل العامة هي: إنّ العنصر (أ) يمثّل بالنسبة للعنصر (ب) ما يمثّله العنصر (ج) بالنسبة للعنصر (د)، وهذا المفهوم مطابق لمفهوم التشبيه التمثيلي في البلاغة العربية، والعنصران (أ) و (ب) -حسب بيرلمان وتيتيكا- هما الموضوع، بينما (ج) و(د) الحامل، والحامل يكون أشهر من الموضوع ليوضح بنيته العلائقية (2)، "فهو ضرب من القياس، إذ إنّ التسليم بالمقدمتين الصغرى والكبرى يقودان المتلقي إلى التسليم بالاستنتاج، والطابع البلاغي الذي يخص التمثيل عموماً يحقق فعلاً الإقناعية فيه." (3)

مثال:

قال الله تعالى: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا ۚ بِئْسَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ ۗ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ [الجمعة: 05]

أ = اليهود، ب = التوراة، ج = الحمار، د = الأسفار.

¹ - ينظر: عبد الله صولة، الحجاج أطره ومنطقاته وتقنياته، مرجع سابق، ص 338.

² - ينظر: المرجع نفسه، ص 339.

³ - فضيلة قوتال، حجاجية الشروح البلاغية، مرجع سابق، ص 383.

فعلاقة اليهود بالتوراة كعلاقة الحمار بالأسفار، فهم لديهم كتاب الله لكن لا يأخذون به ولا يعملون به، وكذلك الحمار مهما حمل فوق ظهره من كتب نافعة إلا أنه لا يستفيد منها شيئاً، والحامل -حسب بيرلمان- الذي يتصف بالشهرة في هذه العلاقة هو الحمار الذي لا ينتفع بالأسفار، لكن موضوع الآية هو تحميل التوراة لليهود وتكليفهم بها، أمّا الحكم المستنتج فهو استنكاف اليهود عن الأخذ بالتوراة.

1-5-2-2-2. طرق الفصل في الحجاج:

يقوم الفصل في الحجاج على فكرة وجود وحدة بين مجموعة من العناصر فتؤدي بذلك دورها المنوط بها، لكن الفصل يعمد إلى فكّ وحلّ تلك الوحدة بالفصل بين عناصرها المتضامنة، "من أجل توليد عالَمين متمايزين حيث لا يجد الرأي المقترح مكاناً له في البداية، وبعد عملية الفصل، سيتوافق مع إحدى رؤى العالم المحصل عليها، وهذا هو الهدف المنشود"⁽¹⁾، والغاية من عملية "تفكيك الأبنية الحجاجية هذه، هي خشية المتكلم على نجاح حجاجه منها"⁽²⁾، أمّا العالَمان المتمايزان فهما -حسب بيرلمان- **الظاهر والواقع**، أي أنّ كلّ الأشخاص والمفاهيم والأشياء لها: ظاهر زائف وواقع حقيقي، فالظاهر ما يدركه الفكر منذ البداية، بينما الواقع يزودنا بالقاعدة لكشف تناقضات الظاهر، فبالحقيقي نتكّن من تحديد العناصر الزائفة وغير المطابقة للظاهر، وتتجلى طرائق الفصل في الأقوال والخطابات في عبارات وطرائق من مثل⁽³⁾:

¹ - فيليب بروطون، الحجاج في التواصل، مرجع سابق، ص 114.

² - محمد سالم محمد الأمين الطلبة، الحجاج في البلاغة المعاصرة، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، 2008، ص 127.

³ - عبد الله صولة، الحجاج أطره ومنطقاته وتقنياته، مرجع سابق، ص 345.

ظاهري/حقيقي، هو شبه كذا (شبه علمي)، الّا (اللاعلمي)، غير (غير صحيح)، بعض الجمل الاعتراضية (إنّ هذا البطل - إن صحّ أنّه بطل -...)، بعض الأفعال (يزعم، يتوهم أنّه بطل)، وضع بعض الأقوال بين قوسين أو مزدوجتين (لقد كنت يومها "بطلا")،...

بهذا نظن أنّنا قد أحطنا بنظرية بيرلمان وتيتكا الحجاجية أو ما يسمى أيضا بالبلاغة الجديدة التي لها الفضل البين في إعادة بعث البلاغة من جديدة وتحريك عجلة تحليل الخطاب عن طريق التقنيات الحجاجية التي تشكّل لبّ هذه النظرية، وهدفها دوما إقناع السامع بالفعل أو بالأحرى حمله على الإقناع به، أو الإحجام عنه وفق أسس معقولة ومقبولة، يقول ميشال مايير حول الجهود التي قام بها بيرلمان: "إنّ الثورة الكبرى في البلاغة خلال هذا القرن قد أنجزها سواء سلمنا بذلك أم لا، شايم بيرلمان [...].، هناك طريقة جديدة لفهم البلاغة وطبيعتها ودورها، إنّ آثاره ستُقرأ خلال القرون المستقبلية كما يُقرأ شيشرون وكينتيان."⁽¹⁾

3-5-1 ميشال مايير Michel Meyer⁽²⁾:

ينطلق ميشال مايير في دراساته من كون "العقل الغربي في أزمة"، على إثر تهاوي الفلسفة الديكارتيّة، "فبسقوط الكوجيتو تحت الضربات المتتالية التي ألحقها به كلّ من ماركس ونيتشه وفرويد، انهار هذا التصرّو للإنسان باعتباره أساسا، وفقد كلّ مشروعية تأسيسية، وبانهياره فقد

¹ -Michel Meyer, Histoire de la Rhétorique des Grecs à nos jours, Livre de poche, Paris, 1999, p259-260.

² - ميشال مايير فيلسوف بلجيكي تلميذ شايم بيرلمان، ولد سنة 1950، شغل مقعد أستاذ بجامعة بروكسل ورئيس

المركز الأوروبي للدراسات الحجاجية، ومدير المجلة العالمية للفلسفة، له كثير من المؤلفات منها:

المنطق اللغة والحجاج (*Logique, langage et argumentation*)

اللغة والأدب (*Meaning and Reading. A philosophical Essay on Language and*)

(*Litterature*)

أسئلة البلاغة (*Questions de rhétorique*)

تاريخ البلاغة (*Histoire de la rhétorique des Grecs à nos jours*)

الوعي دوره التأسيسي كذلك، واجتاحت الخطاب(اللوعوس) إشكالية يصعب حلّها وتولّدت عن كلّ ذلك إشكالات تتصل بالعقل وما يتفرّع عنه لأنّ كلّ جواب يظلّ فاقدا لمعناه على مستوى وعي المجيب وخطابه"⁽¹⁾ فيدعو بذلك مايير إلى تجاوز تلك الأزمة بإعادة قراءة تاريخ الفلسفة لكن بمنظور جديد، ويرى ضرورة العودة إلى وظيفة الفلسفة الأولى وهي المساءلة، و من هنا تتضح لنا علاقة الحجاج والبلاغة والخطابة بالمجال الفلسفي عنده، فقد نهج مايير على درب أستاذه بيرلمان في الحجاج، لكن ذلك لم يمنعه من أن تكون له وجهة نظر خاصة به، تميّز بها عن غيره من الباحثين، تمثلت في ربطه الحجاج بنظرية المساءلة في الفلسفة، ورصد الآليات الأساسية لكيفية اشتغال الفكر، فهو يرى أنّ "الحجاج جواب عن سؤال يطرحه المتلقي ليواجه به المتكلّم، أي أنّ الخطيب يقدّم مجموعة من الأجوبة الواقعية والمحتملة لأسئلة افتراضية وحجاجية يتصوّرها السامع"⁽²⁾، فما الحجة لديه سوى جواب عن وجهة نظر يجاب بها عن سؤال مقدّر يستنتجه المتلقي ضمنا من خلال الجواب، ويكون ذلك بطبيعة الحال في ضوء المقام وبوحي منه⁽³⁾، أي أنّ كلّ حجاج عبارة عن إثارة لأسئلة، عقلية كانت أو بلاغية، وهي لا تقتصر على الفلسفة فقط بل تشمل كل الخطابات والنصوص بمختلف أنواعها، وقد تكون تلك الأسئلة صريحة بيّنة، كما قد تكون مضمرة خفيّة، وعلى هذا الأساس ينبنى الخطاب بالمساءلة، وانطلاقا من هذه الفكرة اعتمد مايير التداخل بين الحجاج والفلسفة حيث يقول: "اليوم يجب أن تكون الخطابة- بما فيها من حجاج وبلاغة- في خدمة الفلسفة لا عكس ذلك، ويجب أن تحدّد الفلسفة موضوع الأسئلة قبل أن نأمل في إيجاد أجوبة لها."⁽⁴⁾

¹-محمد علي القارصي، البلاغة والحجاج من خلال نظرية المساءلة لميشال ميار، ضمن كتاب أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية، مرجع سابق، ص389.

²- جميل حمداوي، الفلسفة والأسئلة الكبرى عند ميشيل مايير، دار الريف، المغرب، 2019، ص8.

³- عبد الله صولة، الحجاج في القرآن الكريم، دار الفارابي، بيروت، 2007، ط2، ص38.

⁴- Michel Meyer, Questions de rhétorique, Hachette, Le livre de poche, Paris, 1993, p142-143.

إذن مفهوم الحجاج عند مايير مرهون بالسؤال، والإشكال المعرفي الذي يستدعي البحث والاستقصاء للوصول إلى إجابة مقنعة حيث يقول: "وبصفة عامة فإنّ السؤال والمشكل يتماهيان، وإذا رغبتم في تعريف بسيكولوجي قلنا إنّ كلّ سؤال هو حاجز أو صعوبة أو ضرورة اختيار، وبالتالي فهو نداء إلى اتخاذ قرار." (1)

هذا باختصار شديد ما يميز مفهوم الحجاج لدى مايير واختلافه عن حجاج غيره لا سيما أستاذه بيرلمان.

1-5-4. الحجاج في اللغة:

انبثقت نظرية الحجاج في اللّغة جراء تأثر الباحثين اللغويين الفرنسيين ديكرو وأنسكومبر (J.L.Austin) (2) بنظرية الأفعال الكلامية لأوستين (J.L.Austin) وسيرل (J.Searle)، وأبحاث بنفنيست (Benvenist) حول التلفظ، وحوارية باختين (M.Bakhtine)، فأرسييا بذلك أسس نظرية الحجاج في اللغة بالضبط سنة 1973 من خلال كتابهما المشترك (L'argumentation dans la langue)، وقد كان توجّه هذه النظرية لسانيا يهتم بالوسائل اللغوية وإمكاناتها لدى المرسل بغية توجيه خطابه كيفما أراد، ليتمكن من تحقيق بعض الأهداف الحجاجية، وفق الفكرة التداولية التي مؤداها "نحن نتكلم عامة بقصد

¹ - Michel Meyer, Logique, langage et argumentation, Hachette, Paris, 1982, p 124.

² - أوزوالد ديكرو (Oswald Ducro) وجون كلود أنسكومبر (Jean-Claude Anscombe): لسانيا
فرنسيان أسسا مع نظرية الحجاج في اللّغة، من أشهر مؤلفاتهما:

(L'argumentation dans la langue, Ducro et Anscombe.)

(La parole exemplaire, Anscombe.)

(Les échelles argumentatives, Ducro.)

(Les mots du discours, Ducro.)

التأثير " وهي نظرية تطمح أن تبين أنّ اللغة تحمل وظيفة حجاجية في حد ذاتها، ولديها مؤشرات متضمنة في بنية القول تؤدي هذه الوظيفة (1).

ولكي نتبين مفهوم الحجاج اللغوي ينبغي مقابلته بمفهوم البرهنة والاستدلال المنطقي، الذي سبق لنا الحديث عنه عند بيرلمان وتيتيكا، "فالخطاب الطبيعي ليس خطابا برهانيا بالمعنى الدقيق للكلمة، فهو لا يقدم براهين وأدلة منطقية، ولا يقوم على مبادئ الاستنتاج المنطقي، فلفظة الحجاج لا تعني البرهنة على صدق إثبات ما، أو إظهار الطابع الصحيح لاستدلال ما من وجهة نظر منطقية، ويمكن التمثيل لكل من البرهنة والحجاج بالمثلين التاليين: " (2)

1- كل الأئمة فقهاء.

- محمد إمام.

- إذن محمد فقيه.

2- انخفضت درجة الحرارة بشكل واضح، كما أنّ السماء مُسوّدة بالغيوم.

- إذن سينزل المطر.

ففي المثال الأول ضرب من البرهنة والقياس المنطقي، ورغم أنّ صياغته كانت في قالب لغوي، إلاّ أنّه يفتقد خاصية أساسية تميّز الخطاب الحجاجي، فالملفوظات التي ترد فيه توجد مستقلة عن بعضها البعض، لأنّ كلّ ملفوظ يحيل على قضية في الواقع، ومنه يُستنتج أنّ تعالق الملفوظات الواردة في البنى الاستدلالية البرهانية لا يقوم على الملفوظات ذاتها، بل على القضايا التي تمثلها، أي وقائع العالم وأحوالها، حقيقية كانت أو مفترضة (3)، بينما في المثال الثاني حجاج

¹ - ينظر: أبوبكر العزاوي، الحجاج في اللغة، ضمن كتاب: الحجاج مفهومه ومجالاته، إشراف حافظ عليوي، عالم الكتب الحديث، الأردن، 2010، ج1، ص57.

² - أبوبكر العزاوي، الحجاج في اللغة، ص57.

³ - ينظر: الراضي رشيد، الحجاجيات اللسانية عند أنسكومبر وديكرو، مجلة عالم الفكر، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، يوليو-سبتمبر 2005، مج 34، ع1، ص226.

طبيعي احتمالي غير برهاني، إذ ليس هناك لزوم في الانتقال من المقدمات إلى النتيجة كما هو الشأن في المثال الأول، بل يستند الانتقال إلى معرفتنا بالواقع، ثم مدلول الحجج المعروضة في هذا الملفوظ، فهي شواهد اشتباهية -بتعبير أنسكومبر- تجيز توقع نتيجة معينة (سقوط المطر)، فالحجج هنا غير ملزمة بل تزيد من احتمالية وقوع النتيجة، وكلما كانت الحجج أجود وأكثر، كلما زادت درجة الاعتقاد فيها⁽¹⁾، كما أنّ العلاقة في الحجج اللغوي هي علاقة بين عمليتين لغويتين أو أكثر وليس بين قضيتين، و ممّا يُلاحظ في الحجج اللغوي أيضاً، تعدّد الحجج على عكس الاستدلال البرهاني الذي يكتفي بدليل واحد في العادة لإثبات النتيجة، فالفعل الحجاجي يتميّز عادة بتعدّد الحجج.⁽²⁾

"وقد قام ديكرو وأنسكومبر بتطوير أفكار وآراء أوستين بالخصوص، واقترحا في هذا الإطار إضافة فعلين لغويتين هما فعل الحجج وفعل الاقتضاء، وبما أنّ نظرية الفعل اللغوي عند أوستين وسيرل قد واجهتها صعوبات عديدة [...] فقد قام ديكرو بإعادة تعريف مفهوم الإنجاز -مع التشبّث دائما بفكرة الطابع العرفي (conventionnel) للغة- بأنه فعل لغوي موجّه إلى إحداث تحويلات ذات طبيعة قانونية، أي مجموعة من الحقوق والواجبات، ففعل الحجج يفرض على المخاطب نمطا معينا من النتائج باعتباره الاتجاه الوحيد الذي يمكن أن يسير فيه الحوار، والقيمة الحجاجية لقول ما هي نوع من الإلزام تعلق بالطريقة التي ينبغي أن يسلكها الخطاب بخصوص تنامي واستمراره"⁽³⁾، أي أنّ القول يتضمّن قوّة حجاجية موجودة في ذاته، تُكسبه قيمة حجاجية انطلاقا من التوجيه الحجاجي للخطاب الذي يقوم به المتكلّم، لأنّ القول مُنشئ للحجّة لكنّ قيمته خاضعة للتوجيه، وبهذا تفرض الحجّة الموجهة سلطتها على المخاطب فتلزمه بما يريد موجّه الخطاب.

¹ - ينظر: الراضي رشيد، الحججيات اللسانية عند أنسكومبر وديكرو، ص 226.

² - J.Moechler, Argumentation et conversation, Publication Hatier, Paris, 1985, p 46.

³ - ينظر: أبو بكر العزاوي، اللغة والحجاج، العمدة في الطبع، المغرب، 2006، ص 15-16.

وقد بيّن الباحثان أنّ الحجاج باللّغة يجعل الأقوال تتابع وتترابط على نحو دقيق فتكون بالتالي حججا تسند وتثبت بعضها الآخر⁽¹⁾، فالأقوال-حسبهما- هي حجج لأقوال أخرى، ويؤكد هذا أحد تلامذة ديكروديقوله عن الحجاج اللغوي: "إنّه إنجاز متواليات من الأقوال، بعضها هو بمثابة الحجج اللغوية، وبعضها الآخر هو بمثابة النتائج التي تستنتج منها"⁽²⁾ أي أنّ " المتكلّم يقدم قولاً (ق1) يفضي إلى التسليم بقول آخر (ق2)"⁽³⁾، فالأول حجّة والثاني نتيجة يسعى المتكلّم إلى إقناع المتلقي بها، إذن فالحجج عندهما: "إنجاز لعمليتين هما: عمل التصريح بالحجّة من ناحية، وعمل الاستنتاج من ناحية أخرى، سواء كانت النتيجة مصرّحاً بها أو مفهومة من القول (ق1)"⁽⁴⁾،

ومن الأمثلة التي يوردها الباحثان حول هذا الرأي في الحجج قولهما: " الطقس جميل فلنخرج للنزهة، يكون (ق1) هو: الطقس جميل، و(ق2) هو: فلنخرج للنزهة، و(ق2) هنا نتيجة مصرّح بها، ثمّ يضيفان: "على أنه بالإمكان أن يكون (ق2) وهو النتيجة، ضمناً لكن بشرط أن يكون التوصل إلى هذه النتيجة سهلاً يسيراً"، فقد يُضمّن المتكلّم الحجّة أو النتيجة في أقواله، لوجود معارف مشتركة بينه وبين المتلقي، ولا اعتبارات سياقية، ولتوضيح ذلك نورد هذا الحوار كمثال:

أ- هل ترافقني لنشاهد المسرحية؟

ب- غدا لديّ امتحان.

حيث جواب (ب) يعني ضمناً أنّ النتيجة هي لن أرافقك، والحجّة في ذلك هي التحضير للامتحان.

¹ -O.Ducro et J.Anscombe, L'argumentation dans la langue, Pierre Mardaga, Bruxelles, 1983, p28.

² - أبو بكر العزاوي، الحجج في اللغة، مرجع سابق، ص 57.

³ -Ibid, p 08.

⁴ -Ibid, p 11.

وعلى هذا النحو يكون الخطاب مبنياً على تتابع (ق1) و(ق2) تتابعا صريحا أو ضمنيا، في شكل سلسلة من الحلقات الحجاجية الممكنة⁽¹⁾، وتجدر بنا الإشارة هنا إلى أنّ ديكرو وسّع من مفهوم الحجّة والنتيجة، إذ أنّهما لا يقتصران على كونهما قولين فقط، بل هما عبارة عن عنصر دلالي يقدّمه المتكلم لصالح عنصر دلالي آخر، وبذلك فقد تكون الحجّة والنتيجة فقرة أو نصّا أو عنصرا غير لفظي كسلوك معيّن مثلا. (2)

كما أن للحجّة خصائص تتسم بها منها⁽³⁾:

- خضوعها للسياق الذي يُكسبها طبيعتها الحجاجية، ويُلبسها لباس الحجّة أو النتيجة.
- كونها نسبية فإنّها تخضع للتفاوت من حيث قوّتها الحجاجية، فقد تقوم حجّة بإفحام أخرى لأنّها أقوى منها من حيث الحجّية.
- بما أنّها نسبية فهي قابلة للإبطال وبالتالي لا يُعتدّ بها.

إنّ الحديث عن تفاوت الحجج من حيث القوّة والضعف يحيلنا إلى الحديث عن التراتبية التي تقوم عليها مجموعة من الحجج تنتمي لحقل حجاجي واحد، إذ نجد ديكرو يدعوها بالسلم الحجاجي حيث يقول: "إنّ أي حقل حجاجي ينطوي على علاقة ترتيبية لحجج نسميه سلّما حجاجيا"⁽⁴⁾، فالسلم الحجاجي يضم مجموعة من الحجج التي تدعم نتيجة معينة وتترتّب تلك الحجج في السلم من أضعف حجّة إلى أقواها، فالحجّة التي تكون في أعلى السلم هي الأقوى وتستلزم وجود ما في أدنى منها في نفس السلم، والمثال التالي يوضّح ذلك:

¹- ينظر: عبد الله صولة، الحجاج في القرآن الكريم من خلال أهم خصائصه الأسلوبية، ط2، دار الفارابي، بيروت، 2007، ص 33.

²- ينظر: أبو بكر العزاوي، الحجاج والمعنى الحجاجي، ضمن كتاب التحاجج، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط، 2006، ط1، ص58.

³- ينظر: المرجع نفسه، ص 59.

⁴- O.Ducro, Les échelles argumentatives, les éditions de minuit, Paris, 1980, p18.

ق1: عامر يتقن القراءة.

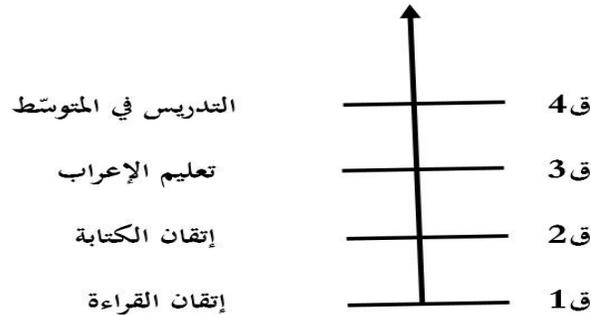
ق2: عامر يتقن الكتابة.

ق3: عامر يُعلّم ابنه الإعراب.

ق4: عامر مدرّس في المتوسط.

فالأقوال ككل تشكّل حججاً للنتيجة "ن" والتي تمثل: "كفاءة عامر في التدريس"، وهي مُرتبةٌ وفق درجات قوتها البيانية للمدلول، حيث يبدأ السلم بأقل درجة دلالية، وينتهي بأقواها درجة دالة على الكفاءة التدريسية لعامر، فترتيب الدرجات منطقي، ومتفق مع مفهوم السلم الذي يتفاوت في درجاته، بحيث من يقف على الدرجة الأعلى لا بدّ أنه يكون قد مرّ بالدرجات التي دونها، فلما نقول إن عامر (مدرّس) هذا يعني أنه يتقن كل ما يتعلق بالتدريس، وهي دلالة قوية، لذا كانت ضمن الدرجة الرابعة (ق4)، ومنها نستدل على أن (عامر المدرّس) يمكنه أن ينجز كل متطلبات الدرجات الأخرى (ق3)، (ق2)، (ق1)، لأن أبعديات تكوينه أرغمته على المرور بالدرجات المذكورة من أدناها إلى أعلاها.

ن = كفاءة عامر في التدريس



إنّ الحجج السابقة الذكر لا تؤدي الفعل الحجاجي إلّا إذا كان بينها انسجام ووحدة وما يحقّق هذا الانسجام هو الروابط الحجاجية، ولما كان دورها أساسياً في إنجاح التوجيه الحجاجي،

أولاًها ديكرو أهمية كبرى، فهي الأدوات اللغوية التي تربط بين العناصر الحجاجية، أي بين الحجج نفسها وترتيب درجاتها ضمن الخطاب، أو بين الحجّة والنتيجة، ومن هذه الروابط في اللغة العربية: حتى، إذا، لكنّ، بل، فضلاً عن، إنّما، كما أنّ...، وهناك أيضاً العوامل الحجاجية، وهي تفرق عن الأولى في كونها "لا تربط بين متغيّرات حجاجية (أي بين حجّة ونتيجة أو بين مجموعة حجج)، ولكنّها تقوم بحصر وتقييد الإمكانيات الحجاجية التي تكون لقول ما، وتضم أدوات من قبيل: ربّما، تقريبا، كاد، قليلا، كثيرا..."⁽¹⁾، على سبيل المثال:

- حضر عامر.

- ما حضر إلاّ عامر.

ففي المثال الثاني قام العامل الحجاجي ما...إلاّ، بحصر الإمكانيات الحجاجية للقول، إذ أنّ النتيجة في القول الثاني مفادها لم يحضر أي أحد ما عدا عامر، أمّا النتيجة في القول الأول مفادها أنّ عامر حضر، لكن قد يحضر بعده آخرون، أو كان قبله آخرون ثم حضر هو، أي أنّ النتيجة مفتوحة حسب السياق، أمّا القول الثاني فالنتيجة غير قابلة للتأويل ونهائية.

وخلاصة القول في مسألة الحجاج واللغة هي أنّ ديكرو وأنسكومبر حصرا الحجاج في اللّغة، فهي سجالية في جوهرها، وتحمل بعدا حجاجيا في جميع مستوياتها، إذ إنّ "ترابط الأقوال لا يستند إلى قواعد الاستدلال المنطقي، وإنّما هو ترابط حجاجي لأنّه مسجل في أبنية اللّغة بصفته علاقات توجه القول وجهة دون أخرى وتفرض ربطه بقول دون آخر، فموضوع الحجاج في اللّغة هو بيان ما يتضمنه القول، من قوة حجاجية، تعمل مكونا أساسيا، لا ينفصل عن معناه، يجعل المتكلم في اللحظة التي يتكلم فيها يوجه قوله وجهة حجاجية ما"⁽²⁾، أمّا عملية الإقناع فتتداخل

¹- أبو بكر العزاوي، اللّغة والحجاج، مرجع سابق، ص 27.

²- شكري المبخوت، نظرية الحجاج في اللّغة، ضمن كتاب: أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم، (مجموعة مؤلفين) إشراف حمادي صمود، المطبعة الرسمية، تونس، (دت) ص 352.

فيها عدّة أشياء من قبيل القيمة التي تحملها الحجّة في حد ذاتها، الروابط والعوامل الحجاجية المستخدمة من لدن طرفي الحجاج بالإضافة إلى التوجيه الحجاجي الذي يفرضه كلّ من المتكلم والمتلقي ضمن عملية الإقناع.

1-6 الحجاج في مدونة التراث العربي:

مما يدل على أن موضوع الحجاج كان بالغ الأهمية لدى العرب هو وجوده ما بين المصطلحات الموضّحة والمشروحة ضمن معاجم اللغة العربية التي أنجزها اللغويون العرب طيلة قرون من الزمن، كلسان العرب لابن منظور، وتاج العروس للزبيدي، والتهديب للأزهري والمحكم لابن سيده وغيرها من الكتب، وقد سبق أن أوردنا مادة حجج ضمن مفهوم الحجاج.

والقول "عربي" لكونه مكتوبا باللغة العربية، وليس لكون علمائه كلّهم عربا، لأن الكثير من المساهمين في هذا الرصيد التراثي عامّة والحجاجي خاصّة لم يكونوا عربا بل كانوا مسلمين من أعراق مختلفة، وهذا وحده عامل كاف لخلق الاختلاف والمناظرة والخصام والجدال حول جل القضايا الحياتية وعلى رأسها القضايا العقديّة (الملل والنحل) وكل ما ولدته اتجاهات علم الكلام، والقضايا اللغوية والمسائل النحوية، والقضايا الأدبية وما انجر عن رواية الشعر ونسبته (النقاد)، ففي المجال اللغوي يرجع الدكتور إبراهيم أنيس الكثير من الاختلافات اللهجية إلى "صناعة النحاة حين اشتد الجدال بينهم، وحاول كل فريق أن يأتي بجديد في تلك القواعد الإعرابية التي ملكت عليهم مشاعرهم، وصرفتهم عن كثير من البحوث القيمة في اللغة".⁽³⁾

حيث يقول حسن عباس: "أثار النحاة والبلاغيون جدلا مرهقا حول بعض الحالات التي يكون فيها المبتدأ والخبر متساويين في التعريف والتكثير، أو متقاربين فيهما؛ من غير لبس في المعنى، ويدور الجدال حول معرفة الأحق منهما بأن يكون المبتدأ، وإذا ظهر الأحق فهل يجوز

³ - إبراهيم أنيس، في اللهجات العربية، مكتبة الأنجلو المصرية، ط 8 القاهرة 1990، ص 84.

الإغضاء عن أحقيته بجعله خبيراً وجعل الخبر مبتدأ؟"⁽⁴⁾ وقد تعود النحاة - بعد الكلام على الأنواع في قضية ما- أن يوازنوا بينها موازنة أساسها: "علم المنطق ويطيلوا فيها الجدل".⁽⁵⁾

كما أنّ "الأنباري قد اقتاس في تأليف رسائله بأصول الفقه كما اقتاس بأصول الجدل وعلم الكلام فأحكم النسب بين النحو وعلوم الفقه والكلام فيما نهج".⁽⁶⁾

مع أن بعض النحاة عافوا هذا المنهج، فقد "ثار ابن مضاء القرطبي على النحاة وعاف مذهبهم في (العامل) لغلوّهم في التعليل، فاستبعد الجدل النظري والحجاج الفلسفي، وكل ما ينأى باللّغة عن طبيعتها وينحرف عن خصوصها، وعوّل على النص وأغفل القياس من هذه الجهة".⁽⁷⁾ لكنّ النحاة بصفة عامة لا يخلو عملهم بالقياس والاستشهاد من الحجاج والإثبات والبرهان.

كما عرف التراث العربي في وقت مبكر معالجة القضايا المعرفية والأدبية في النوادي والحواضر عن طريق المقولات، أو ما نصلح على تسميته في أيامنا هذه بالمقالات، "والمقولات هي أيضا موضوعة لصناعة الجدل والسفسطائية، ولصناعة الخطابة ولصناعة الشعر، ثمّ للصنائع العمليّة"⁽⁸⁾ حتى لا نتصور أنّ الجدل كان قائما بين صنّاعه مشافهة فقط، وذلك لأن مجالات البحث العلمي أو الصنائع المعرفية والفكرية كانت في أوج قوتها، لذلك يرى الفارابي أن "كلّ صناعة من الصنائع القياسيّة الخمس فيها ضرب أو ضروب من السؤال خاص بها، ففي الفلسفة سؤال برهانيّ وفي الجدل سؤال جدليّ وفي الفلسفة سؤال سفسطائيّ وفي الخطابة سؤال خطبيّ وفي الشعر سؤال

4 - حسن عباس، النحو الوافي، دار المعارف، ط3، (دت) مصر، 499.

5- ينظر: حسن عباس، النحو الوافي، ص18

6 - صلاح الدين الزعبلأوي، دراسات في النحو-مقالات، اتحاد كتاب العرب، (دت)دمشق، ص343

7- المرجع نفسه، ص348.

8- أبو نصر الفارابي، كتاب الحروف، تح: محسن مهدي، دار المشرق، ط2، بيروت، 1990، ص70.

شعري⁽⁹⁾، هذا إذا ما رأينا إلى مواطن الحجاج لدى العرب القدامى بصورة إجمالية دون تحديد، أما إذا ما توجهنا للتخصيص فهناك أعلام بارزين كانت أعمالهم برمتها تصب في الدرس الحجاجي إن لم يكن نظيرا فتطبيقا.

فمن الأعلام العرب الذين اهتموا بالبلاغة ومن خلالها الخطابة والحجاج وعلم الكلام، نجد أبا عثمان عمرو بن بحر المعروف بالجاحظ الذي خص كتابه "البيان والتبيين" بإشارات وإلماحات حجاجية منطلقا من حاجته للإقناع والبيان والتبيين للناس، كما يبدو من خلال عنوان كتابه المشار إليه آنفا، ونلاحظ أيضا أنّ ملامح الحجاج بادية وجلية لدى الجرجاني مؤسس البلاغة العربية، وذلك في كتابيه الشهيرين، دلائل الإعجاز وأسرار البلاغة، وقد اقترن الحجاج لدى الجرجاني بالنظم وما فيه من دلالات ووظائف وأداءات حجاجية.

1-6-1. الحجاج لدى الجاحظ:

سنحاول في هذه الجزئية من هذا المبحث إيراد شذرات حجاجية لدى الجاحظ كأنموذج عن الحجاج في مدونة التراث العربي، ولسنا نعمد إلى الإحاطة بكل ما يتعلّق بالحجاج لديه، وفي سبيل ذلك نجد الجاحظ يقول في أهم مصنف تبرز فيه معالم الحجاج لديه ألا وهو كتاب **البيان والتبيين**: "مع ما أعطى الله موسى عليه السلام من **الحجة البالغة** ومن **العلامات الظاهرة** و**البرهانات الواضحة**، إلى أن حل الله تلك العقدة، ورفع تلك الحبسة، وأسقط تلك المحنة، ومن أجل الحاجة إلى حسن البيان وإعطاء الحروف حقوقها من الفصاحة رام أبو حذيفة إسقاط الرء من كلامه وإخراجها من حروف منطقته فلم يزل يكابد ذلك ويغالبه ويناضله ويساجله ويتأنى لستره والراحة من هجنته حتى انتظم له ما حاول واتسق له ما أمل ولولا استفاضة هذا الخبر وظهور هذه الحال حتى صار لغرابته مثلا ولظرافته معلما لما استجزنا الإقرار به والتأكيد له ولست أعني

⁹- أبو نصر الفارابي، كتاب الحروف، مرجع سابق، ص 125.

خطبه المحفوظة ورسائله المخددة لأن ذلك يحتمل الصنعة وإنما عنيت محاجة الخصوم ومناقلة الأكفاء ومفاوضة الإخوان"⁽¹⁰⁾

لقد أتى الجاحظ في هذا النص على مجموعة من المصطلحات مؤداها اتجاه واحد هو الحجاج، وفيها دلالة قطعية على تمرسه المتقن لعملية الحجاج والتوسل بها في جل أدبياته التي كانت في معظمها تتناول الوضع الاجتماعي والسياسي للأمة العربية والإسلامية، ومن هذه المصطلحات: الحجة البالغة، أي البرهان الساطع الذي لا جدال فيه، ثم قال: العلامات الظاهرة التي لا تحتاج إلى كبير تأويل، ثم قال: والبرهانات الواضحة، محاجة الخصوم، مناقلة الأكفاء، مفاوضة الإخوان، كلها اصطلاحات حجاجية لغوية محضنة، تبرز مدى اهتمام الجاحظ بالحجاج وتبيان سبل تقويته بحسن البيان والفصاحة.

"وقد وضع الجاحظ أسس الممارسة الحجاجية في البيان والتبيين إذ أرسى فيه معالم الحجاج الخطبي، عن طريق تناوله للآليات التواصلية والتقنيات الخطابية، التي تمكن الخطيب المتكلم من التواصل الجيد مع مستمعه، ومن ثم إقناعه، ولذلك عد كتاب البيان والتبيين من أهم الكتب التي نظّر فيها الجاحظ لبلاغة الإقناع أو الحجاج الخطبي، الذي اقترن -عنده- بفكرة البيان؛ أين خاض معركة فكرية وحضارية من أجل الدفاع عن البيان العربي، والرد على مطاعن الشعوبية"⁽¹¹⁾، ويعود اهتمام الجاحظ بالحجاج أيضا إلى "منطلقه المذهبي الذي صدر عنه، فلقد كان منخرطا بشكل قوي في نحلة تعتبر أن اللغة والبلاغة هما سلاح المناظرين والمجادلين الذين يتوخون نصرته مذهبهم والإقناع به، إنّ هذا المعتزلي الذي كان على رأس إحدى الفرق وعى بشكل حاد الدور الجسيم للكلام في مقارعة الرأي بالرأي، ومواجهة الخطاب بالخطاب، لذلك أثنى على أصحاب

¹⁰ - أبو عثمان عمرو بن بحر، البيان والتبيين، تحقيق: عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي-القاهرة، ط7، ج1، 1998، ص15.

¹¹ - نور الدين بوزناشة، الحجاج بين الدرس البلاغي العربي والدرس اللساني الغربي، (أطروحة دكتوراه مخطوطة)، جامعة سطيف2، الموسم الجامعي 2015-2016، ص174.

هذه الملكة من المحاججين، لا سيما أهل مذهبه المعتزلة⁽¹²⁾، الذين كانوا يقدمون العقل على النقل، وسلاح العقل الحجج الدامغة والأدلة القوية، لذلك نجده قد برع في هذا الجانب.

ف نجد أنّ الجاحظ قد انتبه إلى سلطان الكلام وعارضة الجدل والحجاج في استمالة المستمعين وإقناعهم بالرأي والقول البليغ لتحويل حيادهم أو معارضتهم إلى رضى وتجاوب، وهذا منهج الأنبياء والدعاة كموسى بن عمران في التماسه " من ربه، وقد استبد به التهيب والرهبه من لقاء فرعون (قَالَ رَبِّ إِنِّي قَتَلْتُ مِنْهُمْ نَفْسًا فَأَخَافُ أَنْ يُقْتُلُونِ (33) وَأَخِي هَارُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَانًا فَأَرْسَلْهُ مَعِيَ رِدْءًا يُصَدِّقُنِي ۗ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُكَذِّبُونِ) (القصص 33-34)، ويعلق الجاحظ: رغبة منه [موسى] في غاية الإفصاح بالحجة، والمبالغة في وضوح الدلالة لتكون الأعناق إليه أميل، والعقول عنه أفهم، والنفوس إليه أسرع⁽¹³⁾، فطلب موسى عليه السلام، إرسال أخيه هارون معه، بغية تبيان الحجج التي أيده بها الله عز وجل، وإقناع الظالمين الكفار بالعدول عن ذلك.

وبما أنّ غاية الحجاج الأسمى هي إقناع السامع دونما إجبار أو إكراه، إنّما باستمالة العقول والتأثير فيها بالحجج الدامغة والأدلة الواضحة، نجد الباحث محمد العمري قد أجمل لنا في جدول ما يدفع الإقناع قدما، وما يعرقله ثمّ يبيّن صفاته ومواضيعه والغرض منه في مصنّف البيان والتبيين وهو كالتالي⁽¹⁴⁾:

¹² - عبد اللطيف عادل، بلاغة الإقناع في المناظرة، دار الأمان، الرباط، 2013، ص 63.

¹³ - المرجع نفسه، ص 64.

¹⁴ - محمد العمري، البلاغة العربية أصولها وامتداداتها، افريقيا الشرق، المغرب، 1999، ص 198.

المؤهلات والعوائق		صفات البيان وموضوعه		الغرض
المؤهلات	العوائق	الصفات	الموضوع	التأثير
المنطق	العي	الإبلاغ	الدعوة إلى	استمالة
الأحلام	الحصر	الإبانة	مقالة	القلوب
العقول	ضيق الصدر	الإفصاح	الدفاع عن	ثني الإقناع
الدهاء	توقف	الفصاحة	نحلة	التصديق
المكر	اللسان	الوضوح	إبلاغ الرسالة	ميل الأعناق
الألسنة	اللثغ	الصحة	الحجة	فهم العقول
النكراء		البيان	الحاجة	إسراع النفوس
التمييز		حسن	المنازعة	الاضطرار
السياسة		التفصيل		التحريك
لباس		الإيضاح		
التقوى		وضوح		
طابع النبوة		الدلالة		
		الإفهام		
		الفهم		
		الاحتجاج		
		الأدلة		

ولم تقتصر المحااجة لدى الجاحظ على كتابه البيان والتبيين بل تعدته لمؤلفاته الأخرى، ومنها الرسائل التي جاء فيها على سبيل الذكر لا الحصر، ضمن رسالته المعنونة فخر السودان على

البيضان قوله: " ذكرت أنك قرأت كتابي في محاجة الصرحاء للهجناء، وردّ الهجناء، وجواب أحوال الهجناء، وأني لم أذكر فيه شيئاً من مفاخر السودان. فاعلم حفظك الله أني إنما أخرجت ذلك متعمداً"⁽⁹⁵⁾، فتلفيه دوماً يعمد إلى الحجاج كسبيل للإقناع، ولا يورد رأياً أو فكرة دون ذلك.

كما نجد أيضاً رسالة في رد الجاحظ على النصارى، حيث يقول: " وسنقول في جميع ما ورد علينا من مسائلكم، وفيما لا يقع إليكم من مسائلهم، بالشواهد الظاهرة، والحجج القوية، والأدلة الاضطرارية، ثم نسألهم بعد جوابنا إياهم عن وجوه يعرفون بها انتقاض قولهم، وانتشار مذهبهم، وتهافت دينهم، ونحن نعوذ بالله من التكلف وانتحال مالا نحسن، ونسأله القصد في القول والعمل"⁽⁹⁶⁾، نستطيع أن نستنبط من قول الجاحظ أن الرجل كان في جدال حامي الوطيس مع أهل الكتاب، الذين ظلوا ينازعون وينافحون عن أباطيلهم، بغرض الانتقاص من خاتم الأديان، وأنه كان لهم بالمرصاد، سلاحه الحجة القوية ووسيلته التمكن من اللغة العربية وسبر أعماقها وبلوغ جواهرها.

1-6-2. حجاجة النظم والبلاغة لدى الجرجاني:

1-6-2-1. حجاجة النظم:

لا يخفى على طالب علوم اللغة أنّ العلامة عبد القاهر الجرجاني (ت 471هـ) صاحب كتابي أسرار البلاغة ودلائل الإعجاز، يعد من أبرز المصنفين في علوم البلاغة، والمبين لأهم مباحثها ومقاييسها، ولم يتأت له ذلك إلا لكونه حجة في اللغة، صاحب برهان وبيان، استطاع أن يفض الجدال الذي ظلّ قائماً لدى علماء الكلام واللغة بين اللفظ والمعنى.

⁹⁵ - أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، رسائل الجاحظ، تح: عبد السلام هارون، ج1، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1964، ص177.

⁹⁶ - أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، رسائل الجاحظ، تح: عبد السلام هارون، ج3، دار الجيل، بيروت، 1991، ص322.

وقد خصّ كتابه "دلائل الإعجاز" بباب مهم أسماه النظم، تحدث فيه مبينا مفهوم النظم في اللغة العربية، مقسما إياه إلى قسمين نظم الحروف، ونظم الكلم وهذا هو الأهم، وقبلهما يجري الجرجاني عدة مباحث يحاجج من خلالها كل من ادعى ادعاء باطلا حول مسألة من مسائل البلاغة وما تحويه من بديع ومعاني وبيان، وهو القائل حول أهمية الفصاحة: "وجملة ما أردت أن أبينه لك أنه لا بدّ لكلّ كلامٍ تستحسنه ولفظٍ تستجيده من أن يكونَ لاستحسانك ذلك جهةً معلومةً وعلّةً معقولةً، وأن يكونَ لنا إلى العبارة عن ذلك سبيلٌ وعلى صحة ما ادّعينا من ذلك دليلٌ"⁽⁹⁷⁾ فنستخلص من قوله هذا، مكان الحجاج لديه، بتحديد عناصره وهي الخطاب، ثم نتبين أنه موجه لمستمع أو متلقي (لك، استحسانك/ تستحسنه، تستجيده)، كما أن للخطاب خطيب تبينه الألفاظ الدالة على المتكلم: (أردت، أبينه)، وزيادة على ذلك يمكّننا النص من تبيان نوع هذا الخطاب بواسطة مجموعة من الألفاظ التي تستخدم للإقناع: (أبينه - علة معقولة - ادّعينا - دليل) وبالتالي نستطيع القول أن النص المائل نص حجاجي محض.

ومن جملة ما أورده الجرجاني حول أهمية النظم، ووجوب معرفته والعلم به والمحااجة لأجله، وكأنه فرض من فرائض اللغة، فقال: "كان حري بأن توظف له الهمم، وتوكل به النفوس، وتحرك له الأفكار، وتستخدم فيه الخواطر، وكان العاقل جديراً أن لا يرضى من نفسه بأن يجد فيه سبيلاً إلى مزية علم، وفضل استبانة، وتلخيص حجة، وتحرير دليل"⁽⁹⁸⁾، فهذا الخطاب الذي استهله الجرجاني بمقدمة تحاصر المستمع أو المتلقي عقلياً، وتدفعه إلى الإحساس بتفريطه في ركن هام من أركان اللغة العربية، (أسرار النظم)، ثم ما يلبث أن يبيّن له سبيل استدراك ذلك بتوجيهه نحو مخرج الأزمة بقوله (وكان العاقل جديراً ألا يرضى من نفسه...) فحيثما كان العقل تكون الحجة، فالخطاب هنا موجه للغائب (العاقل) الذي ينبغي أن يكون يقظ الهممة، محرك الفكر،

⁹⁷ - عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، تح: علي محمد زينو، مؤسسة الرسالة، بيروت، 2005، ص 49.

⁹⁸ - عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، مصدر سابق، ص 55.

مستخدم الخاطر، لبلوغ سبل العلم، والاستبانة والحجة والدليل، فالخطاب هنا مفعم بالحجاج إلى حدّ كبير.

كما نجد الجرجاني محاججا الأفهام لإبلاغها مفهوم النظم في قوله: " لو كان القصد بالنظم إلى اللفظ نفسه دون أن يكون الغرض ترتيب المعاني في النفس، ثم النطق بالألفاظ على حدوها لكان ينبغي ألا يختلف حال اثنين في العلم بحسن النظم."⁽⁹⁹⁾ فهنا توجيه للأفهام إلى المفهوم الصحيح للنظم وذلك بإقامة الحجة التي مفادها أن ترتيب الألفاظ وانتقائها يحاكيه ترتيب للمعاني في الأنفس، وهذا الأخير يكون سببا في حدوث الأول، و يقول أيضا: " النظم الذي يتوأسفه البلاء، وتتفاضل مراتب البلاغة من أجله صنعة يستعان عليها بالفكرة لا محالة. وإذا كانت مما يستعان عليه بالفكرة، ويستخرج بالروية فينبغي أن ينظر في الفكر بماذا تلبس، أبالمعاني؟ أم بالألفاظ؟"⁽¹⁰⁰⁾ حيث يستعمل الجرجاني أدوات الحجاج ليقنع خصمه ومنها: (لا محالة) التي تعني الجزم الذي لا نقاش ولا جدال فيه، ومنها: (إذا كانت فينبغي أن أب كذا؟ أم بكذا؟) وهو أسلوب لغوي حجاجي فيه شرط وجواب الشرط، وفيه الاستفهام على التخيير، يبين مقدرة الجرجاني على الاستقصاء والنقاش والحوار باستعمال الحجة والدليل الدامغ، وخلاصة القول أنّ أمر الخصومة في دلائل الإعجاز واضح المعالم شديد اللهجة فيه ما فيه من مواطن الحجاج، إن لم نقل كلّ المصنف كان حجاجا قارع فيه الجرجاني خصومه من المعتزلة وعلماء عصره.

1-6-2-2. حجاجية البلاغة:

ما ميز كتاب أسرار البلاغة للجرجاني ميزتان أولاهما: أسلوبه الجدلي الحجاجي الذي نافح بواسطته عن قضايا جمّة من مباحث الدرس البلاغي التي ناقشها كناقذ لأسلافه ومعاصريه من

⁹⁹ - المصدر نفسه، ص 55

¹⁰⁰ - المصدر نفسه، ص 55.

البلاغيين، وثانيهما: التأسيس لنقد بلاغي ومقولات غير مسبوقه جعلت منه رائدا لهذا العلم وفنونه (101)، فمن أساليبه السّجالية الحجاجية: (قالوا كذا... قلنا لهم: كذا...) مثل قوله: " وقالوا: أتشكون أن ذلك لا يجدي إلا كد الفكر وإضاعة الوقت؟ قلنا لهم: أما هذا الجنس فلسنا نعيكم إن لم تنظروا فيه،..." (102) "، فإن قال منهم قائل: إنك قد أغفلت فيما رتبت،... قيل له: خبرنا عما اتفق عليه.. " (103)، أما بالنسبة للمباحث البلاغية التي قارع فيها الجرجاني، مبحث الاستعارة، حيث إنّ القول الاستعاري لديه قول حوارى، يتكون من مستويين، مستوى المعنى الحقيقي ومستوى المعنى المجازي، وبما أن المعنى الحقيقي (ظاهر غير مراد)، والمعنى المجازي (مضمّر مراد)، أو (مضمّر مبلغ)، جاز أن نميز في المقام الحقيقي بين (حال الإظهار وحال التأويل) وفي المقام المجازي بين (حال الإظهار وحال التبليغ) لتتشارك في الأخير أربع ذوات خطابية في القول الاستعاري، هي: الذات المظهرة-الذات المؤولة-الذات المضمرة- الذات المبلّغة. (104) وفي هذا الخضم يقول الجرجاني: " الصّميم الخالص من الاستعارة، وحده أن يكون الشبه مأخوذاً من الصّور العقلية، وذلك كاستعارة النور للبيان والحجة الكاشفة عن الحق، المزيلة للشكّ النافية للريب: ، كما جاء في التّنزيل من نحو قوله عزّ وجلّ: "وَاتَّبِعُوا النُّورَ الَّذِي أُنزِلَ مَعَهُ" "الأعراف- 157" وكاستعارة الصراط للدين في قوله تعالى: "اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ" "الفاحة-5"، و "وَأِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ" "الشورى-25" (105)

وفي مضمّار المنهج الحجاجي الذي انتهجه الجرجاني في الدفاع عن أفكاره يقول بصريح العبارة: "القلب إذا وردت عليه الحجّة صار في حالة شبيهة بحال البصر إذا صادف النور... واعلم

101- ينظر: عبد العالي قادا، بلاغة الإقناع، كنوز المعرفة، ط1، 2016، عمان، ص135.

102- عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، مصدر سابق، ص31.

103- المصدر نفسه، ص26.

104- ينظر: عبد العالي قادا، بلاغة الإقناع، مرجع سابق، ص138.

105- عبد القاهر الجرجاني، أسرار البلاغة في علم البيان، تح: محمد الاسكندراني و م.مسعود، دار الكتاب العربي،

ط2، بيروت 1997، ص57.

أن هذا الضرب هو المنزلة التي تبلغ عندها الاستعارة غاية شرفها" (106)، ويقول كذلك في تصويره للحجة المقنعة: "هذه حُجَّةٌ كالشمس في الظهور، وقد شبَّهت الحجة بالشمس من جهة ظهورها، كما شبَّهت فيما مَضَى الشيء بالشيء من جهة ما أردت من لون أو صورة أو غيرهما" (107)، والحجة دوماً في عطف الجرجاني حتى وهو يضرب الأمثلة في تقريب الفهم للمتلقي من الخصوم أو الأقران، حيث ساق في أحد أمثله: "وفي الفعل والصفة شيء آخر، وهو أنك كأنك تدَّعي معنى اللفظ المستعار للمستعار له، فإذا قلت: قد أنارت حُجَّتُه، وهذه حجةٌ منيرة، فقد ادَّعيت للحجة النور، ولذلك تجيء فتُضيفه إليك، كما تضاف المعاني التي يُشتقُّ منها الفعل والصفة إلى الفاعل والموصوف فتقول: نُورُ هذه الحجة جَلالاً بَصْرِي، وشرح صَدْرِي." (108)

ونافلة القول إنَّه للاستعارة لدى الجرجاني وظيفة تداولية حجاجية وهي الوظيفة نفسها التي يؤديها التمثيل من خلال مزاجته في الأداء بين التأثير العقلي والنفسي والاحتجاج بالدليل المقنع.

¹⁰⁶ - عبد القاهر الجرجاني، أسرار البلاغة في علم البيان، ص 57.

¹⁰⁷ - المصدر نفسه، ص 75.

¹⁰⁸ - المصدر نفسه، ص 179.

2- الإقناع مبادئه وأساليبه البلاغية:

1-2 مفهوم الإقناع: قبل التطرق لمفهوم الإقناع في المؤلفات الحديثة، لابد أن نرى ماذا

قيل حوله في المعاجم العربية القديمة أولاً، حيث جاء في لسان العرب لابن منظور (ت 711هـ): (قنع) قَنَعَ بنفسه قَنَعاً وقَنَاعَةً رَضِيَ ورجل قَانِعٌ من قوم قَنَعٍ وقَنَعٌ من قوم قَنِيْعِيْنَ وقَنِيْعٌ من قوم قَنِيْعِيْنَ وقَنَاعٌ وامرأة قَنِيْعٌ وقَنِيْعَةٌ من نسوة قَنَائِعَ والمَقْنَعُ بفتح الميم العَدْلُ من الشهود يقال فلان شاهدٌ مَقْنَعٌ أي رِضاً يَقْنَعُ به ورجل قَنَعَانِيٌّ وقَنَعَانٌ ومَقْنَعٌ وكلاهما لا يَثْنَى ولا يُجْمَعُ ولا يُؤنثُ يَقْنَعُ به ويرضَى برأيه وقضائه (109)

وقال ابن سيده في المحكم: قَنِعَ بقسم قَنَعاً وقَنَاعَةً: رضي. ورجل قانع من قوم قَنَعٍ، وقَنَعٌ من قوم قَنِيْعِيْنَ، وقَنِيْعٌ من قوم قَنِيْعِيْنَ وقَنَاعٌ. (110)

ونحن نبحث عن مفهوم الإقناع فلا يمكننا أن نجده إلا في شقه اللغوي ضمن أمهات المعاجم العربية، مع أن التعاريف اللغوية متشابهة تقريبا بين معظمها، ولكي نتوسع في ذلك وخاصة الشق الاصطلاحي فلا بد أن نلتفت إلى أن مفهوم الإقناع متضمن ضمن مصطلح البلاغة، وكذلك الأمر بالنسبة للحجاج في المصنفات العربية القديمة، ككتاب الصناعتين لأبي هلال العسكري الذي جاء فيه: "البلاغة من قولهم: بلغت الغاية إذا انتهيت إليها وبلغتها غيرك. وبلغ الشيء منتهاه. والمبالغة في الشيء: الانتهاء إلى غايته، [...] وسميت البلغة بلغة لأنك تتبلغ بها، فتنتهي بك إلى ما فوقها، وهي البلاغ أيضاً، [...] ويقال: بلغ الرجل بلاغة، إذا صار بليغاً [...] أبلغت في الكلام إذا أتيت بالبلاغة فيه، [...] والبلاغة من صفة الكلام لا من صفة

¹⁰⁹ - محمد بن مكرم بن منظور، لسان العرب، مصدر سابق، مادة (ق ن ع) ج 8 ص 297.

¹¹⁰ - ابن سيده، المحكم والمحيط الأعظم، مصدر سابق: مادة (ق ن ع)، ج 1، ص 77.

المتكلم."⁽¹¹¹⁾ فالانتهاء إلى الغاية من الكلام وتبليغه الغير فيه إقناع وفيه حجج أوصلت الخطيب إلى إقناع غيره.

قال جعفر بن يحيى: "البلاغة أن يكون الاسم يحيط بمعناك، ويجلّي عن مغزائك، وتخرجه من الشركة، ولا تستعين عليه بطول الفكرة، ويكون سليماً من التكلف، بعيداً من سوء الصنعة، برياً من التعقيد، غنياً عن التأمل."⁽¹¹²⁾ وقال أيضاً: "البلاغة كلّ ما تبلغ به المعنى قلب السامع فتمكّنه في نفسه كتمكّنه في نفسك مع صورة مقبولة ومعرض حسن، [...] مما يؤيد ما قلنا من أنّ البلاغة إنّما هي إيضاح المعنى وتحسين اللفظ قول بعض الحكماء: البلاغة تصحيح الأقسام، واختيار الكلام."⁽¹¹³⁾

مادامت البلاغة تكمن في بلوغ قلب السامع فالقصد منها الإبلاغ والإفهام، ولكن مادام شرطها هو تمكين الخطاب من قلب السامع كتمكّنه من قلبك، فالقصد هنا هو الإقناع بقوة اللغة والحجة أيضاً، قال إسحق بن حسان: "لم يفسر أحد البلاغة تفسير ابن المقفّع، إذ قال: البلاغة اسم لمعان تجرى في وجوه كثيرة، منها ما يكون في السكوت، ومنها ما يكون في الاستماع، ومنها ما يكون شعراً، ومنها ما يكون سجعاً، ومنها ما يكون خطباً، وربما كانت رسائل."⁽¹¹⁴⁾

يبين التعريف أساليب البلاغة المتعددة، والتي يمكن أن تكون هي ذاتها أساليب للإقناع، وقوله: "منها ما يكون في السكوت"، فالسكوت يسمّى بلاغة مجازاً، وهو في حالة لا ينجع فيها القول ولا ينفع فيها إقامة الحجج. إما عند جاهل لا يفهم الخطاب، أو عند ضيع لا يهرب

¹¹¹ - أبو هلال العسكري، كتاب الصناعتين، تح: علي محمد الجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة

العصرية، 2004، بيروت، ص2

¹¹² - المصدر نفسه، ص42.

¹¹³ - المصدر نفسه، ص10.

¹¹⁴ - المصدر نفسه، ص14.

الجواب، أو ظالم سليط يحكم بالهوى، ولا يرتدع بكلمة التقوى. وإذا كان الكلام يعرى من الخير، أو يجلب الشرّ فالسكوت أولى. (115)

ومما نبه إليه بعض البلغاء هو مراعاة بلوغ الغاية والمنفعة، فقالوا: جماع البلاغة: البصر بالحجة، والمعرفة بمواقع الفرصة، ومن البصر بالحجة أن يدع الإفصاح بها إلى الكناية عنها إذا كان طريق الإفصاح وعراً، وكانت الكناية أحصر نفعاً. (116) وقال إبراهيم الإمام: حسبك من حظّ البلاغة ألاّ يؤتى السامع من سوء إفهام الناطق، ولا يؤتى الناطق من سوء فهم السامع. وقال الهندي أيضاً: البلاغة وضوح الدلالة، وانتهاز الفرصة، وحسن الإشارة. وقول عبيد الله بن عتبة: البلاغة دنوّ المأخذ، وقرع الحجة، وقليل من كثير. (117)

والإقناع عند المحدثين هو "عملية خطابية يتوخى بها الخطيب تسخير المخاطب لفعل أو ترك بتوجيهه إلى اعتقاد قول يعتبره كلّ منهما (أو يعتبره الخطيب)، شرطاً كافياً ومقبولاً للفعل أو التّرك" (118)، فالإقناع يستوجب وجود طرفين أو أكثر، يكون أحدهما محرّكاً للخطاب ويستعمل حججه وبراهينه لدفع الطرف الآخر إلى تمثّل اعتقادات الطرف الأول، وبالتالي إمّا يندفع نحو فعل ما هو نتيجة العملية الإقناعية وإمّا يتخلى عن فعل كان يقوم به.

ويشرح طه عبد الرحمن عملية الإقناع بقوله: "عندما يُطالب المُحاور غيره بمشاركته اعتقاداته، فإنّ مطالبته لا تكفي صبغة الإكراه، ولا تُدرج على منهج القمع، وإنّما تتّبع في تحصيل غرضها سبلاً استدلالية متنوّعة تجرّ الغير جرّاً إلى الاقتناع برأي المحاور" (119)

115 - ينظر: أبو هلال العسكري، كتاب الصناعتين، مصدر سابق، ص 14.

116 - المصدر نفسه، ص 15.

117 - المصدر نفسه، ص 16.

118 - عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب مقارنة لغوية تداولية، دار الكتاب الجديد المتّحدة، بيروت،

ط 1، 2004، ص 451.

119 - طه عبد الرحمن، في أصول الحوار وتجديد الكلام، المركز الثقافي العربي، المغرب، ط 5، 2014، ص 38.

أمّا هنريش بليث فيرى أنّ الإقناع هو "قصد المتحدث إحداث تغيير في الموقف الفكري أو العاطفي عند المتلقي"⁽¹²⁰⁾، فهذا التعريف يستند على الفعل التأثيري الذي يُحدثه في المتلقي، غير أنّ فليب بروتون يركّز على الوظيف التواصلية في تعريفه للإقناع إذ يقول: "يعدّ الإقناع إحدى جهات القول الأساس للتواصل، الذي يكون القصد منه إمّا التعبير عن إحساس أو عن حالة أو عن نظرة فريدة إلى العالم أو إلى الذات... أو يكون القصد منه أيضا الإقناع بواسطة أدلة تحمل المتلقي على الانخراط في رأي ما."⁽¹²¹⁾

2-2 الإقناع والتواصل:

طالما أنّ هناك تواصل بين بني البشر، فثمة مصالح وحوائج تقضى فيما بينهم، وهناك علاقات تبنى لتوطد الطريق بين الشريك وشريكه، والرئيس ومرؤوسه، والابن ووالده، وفي كل الأحوال ووضعيّات الخطائية يلعب الإقناع دورا رئيسيا وحيويا في حياة هؤلاء الأفراد، فالوالد في بيته يريد أن يقنع عائلته بوجهة نظره، والمسؤول في موقعه أيا كان يريد أن يقنع مرؤوسيه، والتاجر يسعى إلى إقناع زبائنه، والمربي يتوق إلى إقناع طلابه، والسياسي يريد إقناع جمهوره بجدوى سياسته وأهمية برامجه، والاعلامي همّه إقناع المتلقي بفكرته، ورجل العلاقات العامة يسعى للدعاية لمنتجات أو خدمات مؤسسته لدى الباحثين عن الانتفاع بها أو اقتنائها، وهكذا...

وبهذه الشاكلة يعدّ الإقناع عملية إنسانية وحياتية ذات جانب اجتماعي ونفسي تضطلع بدور رائد ومهم، لا تستقيم الحياة الاجتماعية وتكتمل إلا به، لذا نجد فيه قدرة عجيبة تجعل النفوس تنقاد إلى القيام بفعل أو أمر ما بعد توجيه الخطاب لها، " أفنّعي أي أرضاني، ويقصد به أن يصبح السامع لك وقد اقتنع بفكرتك لا باعتبارها فكرتك أنت، ولكنها أصبحت فكرته الخاصة

¹²⁰ - هنريش بليث، البلاغة والأسلوبية، تر: محمد العمري، أفريقيا الشرق، المغرب، 1999، ص 102.

¹²¹ - فليب بروتون، الحجاج في التواصل، مرجع سابق، ص 18.

به، والتي انتقت من داخل نفسه، وكان لك فضل إثارتها وتحريكها والكشف عنها." (122) فالطريقة الطبيعية التي يمارسها معظم الناس لإقناع الآخرين بآرائهم وأفكارهم هي النقاش والجدال ومحاولة التأثير في مستهدفهم .

فإنّ ما يجب أن نبتغيه ونحصل عليه هو إقناعهم ودفعهم إلى تغيير آرائهم وأفكارهم بالحجة الواضحة، بغية أن نكسبهم لصفنا لا أن نجعلهم خصوما لنا، ونلغي الفكرة عند غالبيتهم بأنّ مسألة المعارضة لأفكارهم هي بمثابة تهديد لهم موجه للذات حتى لا يقومون بالرد بطريقتهم التي يمتلكها الانفعال والروح العدائية، فالإقناع "هو عمليات فكرية وشكلية يحاول فيها أحد الطرفين التأثير على الآخر وإخضاعه لفكرة ما" (123) ويقصد هنا بأحد الطرفين، الخطيب (المتكلم) والمستمع (المتلقي) وهما ما يشكل أركان العملية الإقناعية باعتبارها عملية تواصلية بينهما، والتي تكون إما عن طريق الاتصال اللفظي أو الكتابي الذي يدور مدار أمره على حمل الآخر على تبني فكرة أو سلوك أو اتجاه يرغب فيه المتكلم.

" فالإقناع هو كسب تأييد الأفراد لرأي أو موضوع أو وجهة نظر معينة، وذلك عن طريق تقديم الأدلة والبراهين المؤيدة لوجهة النظر بما يحقق الاستجابة لدى الأفراد." (124) وغاية ذلك هي إجماع الرأي ومحاربة الشكوك، إذ من الصعوبة بمكان أن يتقدم ويتطور أي مجتمع لا يملك الرؤية والقناعة الكافية بضرورة الأخذ بسبل الحضارة المتقدمة ووسائلها من تكنولوجيا صناعية وزراعية واقتصادية ومهنية، ومن هنا نلمح ضرورة الإقناع، ونشعر بأهميته في أمور الحياة المتعددة، ومدى الحاجة إليه في الأمور الدينية والدينيوية.

¹²² - إبراهيم إمام، الإعلام الإسلامي، مكتبة الأنجلو المصرية، 1980، القاهرة، ص 57.

¹²³ - عبد الله محمد الغوشن، كيف تقنع الآخرين، دار العاصمة للنشر، ط 4، 2004، المملكة العربية السعودية، ص 18.

¹²⁴ - محمد عطية أبو صواوين، تنمية مهارات التواصل الشفوي، التحدث والاستماع، دراسة عملية تطبيقية، إيتراك للطباعة والتوزيع، ط 1، القاهرة، 2005، ص 203.

كما أن الإقناع في أمر ما ليس من الضروري أن يكون بصورة مباشرة وموجهة لكل شخص بعينه؛ لأن ذلك قد يصعب تحقيقه دائماً، ولأن التأثير الجماعي يشكل نوعاً من الإقناع ويؤدي إلى التقليد، لذا عرفوه بأنه "الجهد المنظم المدروس الذي يستخدم وسائل مختلفة للتأثير على آراء الآخرين وأفكارهم بحيث يجعلهم يقبلون ويوافقون على وجهة النظر في موضوع معين، وذلك من خلال المعرفة النفسية والاجتماعية لذلك الجمهور المستهدف".⁽¹²⁵⁾ ومما هو معلوم - ولا جدال فيه - هو أنه لا وجود لإقناع دون عملية اتصالية لأنه في الأساس مرهون بها، لأنه في الأصل يعكس قدرة المتكلم - سواء كان خطيباً أو كاتباً - على تحقيق شروط العملية الاتصالية ذات الفعالية الظاهرة التي تظهر من خلال تحقيق الإبلاغ النافع، وذلك وفقاً لما يستخدمه المتكلم من تقنيات تتضمن وجهة دلالية محددة يفرضها السياق، كما يعرف الإقناع بأنه "عملية إحداث تغيير أو تعزيز لموقف أو لمعتقد أو لسلوك ما، فهو عبارة عن نتيجة تصل إليها من خلال تبني أسلوب اتصالي تستخدم فيه أدوات التأثير".⁽¹²⁶⁾ ومن خلال التعاريف السابقة نستنتج أنها تشير إلى أن الإقناع يتمثل في القدرة التأثيرية على العقول والأفكار بهدف دفع الفرد أو الجمهور لتقبل وجهة نظر ما، أو حقيقة ما، وقد تقاسمته الأمم والملل في الدفاع عن وجهات مذاهبها شرعية كانت أم وضعية.

2-3. مبادئ الإقناع:

لما كان الإقناع يقوم على الاتصال الهادف إلى مخاطبة عقل الجماهير في محاولة لإقناعها بفائدة مضمون الاتصال وبالتالي كسب تأييدها كنتيجة للتقبل والرضا، فإنه يمكننا إعادة صياغة

¹²⁵ - مي العبد الله، المعجم في المفاهيم الحديثة للإعلام والاتصال (المشروع العربي لتوحيد المصطلحات) دار النهضة

العربية، ط1، بيروت، 2014، ص 56

¹²⁶ - نوال الكنتاني، الشفقات الست للنجاح، سما للنشر والتوزيع، 2016، القاهرة، ص 66.

مبادئ الإقناع التي يستهدي ويسترشد بها العاملون في كافة المجالات الاتصالية لإقناع جمهورهم الذي يتعاملون معه وذلك على النحو التالي: (1)

2-3-1 مبدأ المعرفة: وجود معرفة مسبقة لدى الخطيب والجمهور يمكن له إحداث التأثير والتأثر وبالتالي تحقيق المصلحة، فالمعرفة في مفهومها الشامل والعام تعني كل ما يحيط بالإنسان من أحكام وتصورات ومفاهيم ومعتقدات في مختلف مجالات النشاط الإنساني، وتشمل كل رصيد مكتسباتي من العلوم والتجارب والخبرات، والمعرفة عملية جدلية معقدة تحدث بأشكال مختلفة ومقننة منهجيا، وغالبا تكون المعرفة حسية تسعى إلى إدراك العلاقات القائمة بين الظواهر.

2-3-2 مبدأ القبول: حيث إن قبول الاقتراح مرهون بمعرفة الجماهير لكيفية تطبيقه، والتحول من حالة إلى حالة أي إحداث عملية التغيير في المعتقد أو السلوك، فالقبول ومنه المقبولية لدى النقاد المعاصرين " وهي تسمية تطلق على الاستعمال اللغوي المقبول من حيث النحو والصرف، في أنه يتطابق مع ما جاء في القواعد اللغوية المرعية والمقبولية وهي تقابل التعقيدية" (2) والمقبولية لدى الألسنيين تعني: كل أمر يتعلق بموقف المتلقي من قبول النص أو رفضه، فالمستمع هو الحكم الذي يقر بأن المنطوقات اللغوية تكون نصوصا متماسكا مقبولا، ولذلك يقصد بالقبول مدى استجابة المتلقي للخطاب وقبوله إياه ، شكلا ومضمونا، نظرا لمدى تحقق تماسكه وانسجامه، وسد كل ثغراته المحتملة، التي تشوش ذهن المستمع وتضرب لديه الفهم. (3)

الفهم. (3)

¹ - ينظر: عبير حمدي، الإقناع والتأثير، دار سما للنشر، 2017، القاهرة، ص8.

² - مبارك مبارك، معجم المصطلحات الألسنية، دار الفكر، ط1، بيروت، 1995، ص10.

³ - دي بوجراند وولفغانغ ديسلر، مدخل إلى علم لغة النص، ترجمة: إلهام أبو غزالة وخليل علي أحمد، دار الكتاب، ط1،

ط1، القاهرة، 1992، ص132

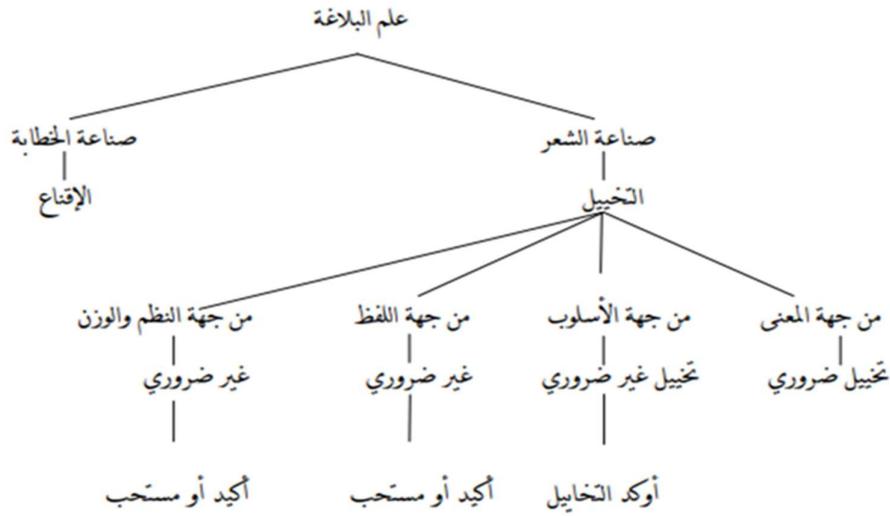
2-3-3 مبدأ الثقة : أي أن يصدر الاقتراح عن فرد أو مجموعة ذات سمعة طيبة، والثقة في عرفنا تعني القناعة الكاملة والتامة بصحة الشيء وصدقه، وهي تنبني من خلال ثبوت صحة الشيء وصدقه باستمرار، وهي تزيد وتنقص وفق السلوكات في المعاملات، سواء في ذلك الثقة بشخص ما أم جماعة أم قيادة أم مبدأ، فحتى تتحقق الثقة بمفهومها الصحيح، لا بد من أمور ثلاثة: الواثق والموثوق به، والثبات على الصدق بالبرهان من قبل الموثوق به، فثقة المرؤوس برئيسه، والمحكوم بحاكمه، والأبناء بالآباء لا تكون مبنية على الشعور فقط، بل لا بد من تعوّد الصدق والصحة بالبرهان إلى أن تصل الثقة إلى درجة البدهية، فإذا وصلت إلى هذا الحد فإنها تحصل الثقة التي يصعب زعزعتها رغم أجواء الشك والتشكيك وذلك لكونها بنيت على البراهين العقلية إضافة إلى التجربة.

2-3-4 مبدأ الوضوح: أن يصاغ الاقتراح بشكل واضح دون لبس أو غموض بغية تحقيق الارتياح لاستقبال النتائج، فهناك مقولة لجون سيرل-John Searle مفادها: "إن لم تستطع التعبير بوضوح، فأنت لم تفهم" والوضوح هو أن تعبر عن نفسك بطريقة تسمح للمتلقي باستيعاب ما تقول. فالوضوح يُسهّم في التقليل من سوء الفهم، وضده الغموض، وهي ثنائية قديمة في التراث البلاغي والنقدي لدى العرب كما لدى اليونان.

2-4. تطور الوظيفة الإقناعية:

إن مسار تطور الوظيفة الإقناعية موازٍ للمحطات التي سار عليها الحجاج فقد ارتبط وجود البلاغة الإغريقية بقضايا الملكية التي ظهرت بعد الانتفاضة الديمقراطية وسقوط كل من الطاغيتين جيلون، وهيرون Gelon & Hieron خلال القرن الخامس قبل الميلاد، وقد تطلبت تلك القضايا المستجدة من الأهالي امتلاك القدرة من أجل إقناع لجان التحكيم الشعبية التي نصبت للفصل في الدعاوى، ومن ثم تحقيق انتعاش ديمقراطي بعد طرد الطاغيتين، وقد استطاع السفسطائيون تأسيس اللبنة الأولى لفن الإبلاغ والإقناع إذ وضع كوراس Corax بعض القواعد

السفسطائية، ليأتي بعده أفلاطون بإضافات انتقادية للخطابة السفسطائية، تطورت فيما بعد لتصل إلى النضج على يد أرسطو عندما استطاع الفصل بين الشعرية والخطابة مبينا ومؤكدا بأن الأولى متعلقة بالمحاكاة ولا يمكن أن يمارسها إلا القلة من الموهوبين، بينما تتعلق الثانية بدراسة سبل الإقناع، في مجال المحتمل والمسائل الخلافية القابلة للنقاش والحوار، (1) هذا هو الفرق الواضح بين الصناعتين (الشعرية والخطابة)، وهو الجوهر الذي تقوم عليه البلاغة الأرسطية.



فما أرست عليه البلاغة منذ أرسطو إلى اليوم، يتبين من خلال المخطط (2) الذي أنجزه الباحث عمر أوكان، حيث يُقسّم البلاغة إلى ما يسمى لدى أبي هلال العسكري بالصناعتين، صناعة الشعر وصناعة الخطابة، فيؤول الأول عبر مراحل إلى التخييل (الصورة) بفروعه: (المعنى - الأسلوب - اللفظ - النظم والوزن)، بينما يؤول الثاني إلى الإقناع من خلال الحجاج.

على هذا النحو نشأت البلاغة الغربية الإغريقية، وارتبطت بآليات الإقناع، لكنها ما لبثت أن شهدت انحسارا وضيقا إذ تخلصت من مجموعة من أجناسها التي تراجعت لأسباب وتقلبات

¹ - ينظر: عبد العالي قادا، بلاغة الإقناع، مرجع سابق، ص 26.

² - عمر أوكان، اللغة والخطاب، أفريقيا الشرق، المغرب، 2001، ص 118.

سياسية وضعف سطوة وقوة المؤسسات، وعلى رأسها الأجناس الثلاثة الكبرى التي استخلصها أرسطو والسفسطائيون قبله وهي: المشاوري والمشاجري، والتشبيتي⁽¹⁾ التّوع المشاوري اختصت به الفلسفة والتّوع المشاجري فهو عندهم الخطاب القضائي وكان من نصيب الجدل، والتّوع التّشبيتي أو المنافري فخلص إلى الأدب (المدح والذم)، فالخطاب المنافري أو التّشبيتي يختلف من حيث العناصر في موضوعه وتقنياته وجمهوره عن الخطاب القضائي أو المشاجري وعن الخطاب المشاوري إذ لكلّ منهما خصوصياته ومقامات إنتاجه.

وهذا ما جعل أرسطو يردّ الحجج إلى ثلاثة أبعاد فتمّة حجج تركز في طبيعة المخاطب وحجج تركز في مضمون الخطاب وحجج تركز في مشاعر السّامعين، ردّا كان من آثاره التّمييز بين ضربين من الخطاب الحجاجي: الحجاج الخطابي الموجّه إلى جمهور ذي أوضاع خاصّة في مقامات خاصّة، والحجاج الجدلي ومداره على مناقشة الآراء مناقشة نظرية محضّة لغاية التّأثير العقليّ المجرد، وقد نجح أرسطو في تحييد الخطابة عن الأخلاق، وجعلها آليّة للحجاج عن المحتمل وليس آليّة حجاج موضوعها الحقيقة.⁽²⁾

إذا ما تفحصنا المجهودات البلاغية الحديثة نجدها قد سعت إلى بناء مفهوم البلاغة العامة الذي "يستوعب المفهومين السائدتين: المفهوم الأرسطي الذي يبنّي على الإقناع باعتماد الملكة الخطابية، والمفهوم الأدبي الذي يجعل الخطاب هدفا في حد ذاته فيبحث في صور الأسلوب، من خلال توسيع منطقة التقاطع بين الشعرية والخطابية، فتبنى بذلك بلاغة جديدة... بلاغة ينصهر فيها الشعري والتداولي الخطبي"⁽³⁾، فالشعرية والخطابة تلتقيان في كونهما "خطابان قائمان

¹ - ينظر: حمادي صمود، مقدمة في الخلفية النظرية للمصطلح، ضمن كتاب: أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم، ص 37.

² - ينظر: سامي الرحموني، الدراسات الحجاجية بديل مدني عن ثقافة الإكراه، صحيفة الوسط البحرينية، العدد 2764 - الأربعاء 31 مارس 2010. نقلا لندوة (درس الحجاج في الثقافة العربية والتي أقيمت مركز كانو الثقافي).

³ - عبد العالي قادا، بلاغة الإقناع دراسة نظرية وتطبيقية، ص 29.

على الاحتمال، الاحتمال توهيميا أو ترجيحيا، التوهيم في التخيل والترجيح في التداول الحجاجي... فخطاب الشاعر كذب يحتمل الصدق وكلام الخطيب صدق يحتمل الكذب⁽¹⁾.

2-5. الإقناع بين الخطابة والشعرية:

أول من اهتم بفكرة التخيل كان أرسطو الذي رأى أنّ الفن محاكاة (إعادة تمثيل أو تشبيه) للحقيقة التي تتجسد في الشخصيات والانفعالات والأفعال فهو يحيل التخيل على الإحساس، ويدلّ قوله أن التخيل حركة ناشئة عن الإحساس بأمرين، الأول: أن الإحساس والإدراك أصل التخيل، والثاني: أنّ كلمة الحركة تدل من قريب على أن التخيل عملية دينامية، وعليه فإن صور الإدراك الحسي قد تبدو محاكية لصور التخيل مع فارق بينهما في القوة أو الضعف ويوجه مدى الوضوح والغموض⁽²⁾، يقول بيركلي في كتابه (مبادئ المعرفة الإنسانية): "لا ينكر أحد أن خواطرنا وانفعالاتنا وأفكارنا التي تتكون بالخيال لا توجد بدون الذهن، ولا يقل عن ذلك وضوحاً أن مختلف الإحساسات أو الأفكار التي تنطبع على الحس لا يمكن أن توجد إلا في ذهن يدركها... فهناك صور للحس والخيال، وأخرى أبعثها بإرادتي، إذ تأتي الأولى من مصدر خارج عني لا أملك التحكم فيه"⁽³⁾.

فالذي يهمنا هنا هو هذه ما يأتيها من مصدر خارجي لا نملك التحكم فيه، أي صور الحس والخيال، إذ من هنا تلج الإرادة الخارجية لتوجه إرادتنا، ولا يتم ذلك إلا عن طريق الاتصال والتواصل (اللغة) وهنا يكمن دور الإقناع بسلطته التي توجه خواطرنا وانفعالاتنا وأفكارنا وفق درجات متفاوتة في التأثير والقوة، فالتخيل الشعري عملية إيهام موجهة تهدف إلى إثارة المتلقي إثارة مقصودة سلفاً، والعملية تبدأ بالصورة المخيلة التي تنطوي عليها القصيدة والتي تنطوي - هي

¹ - محمد العمري، البلاغة الجديدة بين التخيل والتداول، أفريقيا الشرق، ط2، 2012، المغرب، ص15.

² - ينظر: عاطف جودة نصر، الخيال مفهوماته ووظائفه، الشركة المصرية العالمية للنشر، ط1، 1997، القاهرة، ص10.

³ - المرجع نفسه، ص21.

ذاتها - على معطيات بينها وبين الإثارة المرجوة علاقة الإشارة الموحية⁽¹⁾ لما يمتلكه التخيل لجوانب من المبالغة والوهم، ولا بدّ من وجود التخيل في الشعر وحتى النثر، لأنه يعطي القدرة للمرسل كي يبعث في النفس الراحة أو التأثير والتوجيه لما يراه غاية للخطاب.

ويؤكد الجرجاني على أنّه في الشعر " ستمرُّ بك ضروبٌ من التخيل هي أظهرُ أمراً في البُعد عن الحقيقة، وأكشَفُ وجهاً في أنه خداعٌ للعقل، وضربٌ من التزييق"⁽²⁾ وما وجود التخيل لمخادعة العقل وتنميق الخطاب إلا لأجل الإقناع والتأثير في نفسية المتلقي وجعل سلوكاته غير تلك التي هو عليها قبل سماعه وتلقيه الخطاب، ثم يقول: " اعلم أنّ ما شأنه التخيل، أمره في عِظَم شجرته إذا تُؤمِّلَ نَسْبُهُ، وعُرِفَت شُعبه وشُعْبُهُ"⁽³⁾ فالتخيل في المعاجم العربية إذن هو الإيهام وهو: " أن يذكر لفظ له معنيان قريب وغريب فإذا سمعه الإنسان سبق إلى فهمه القريب ومراد المتكلم الغريب وأكثر المتشابهات من هذا الجنس."⁽⁴⁾

بعد أن علمنا أن الشعر يبني عموماً على التخيل، بينما تعتمد الخطابة على الإقناع، فما نصيب الشعر من الإقناع؟ وما نصيب الخطابة من التخيل؟ فلنتأمل نص حازم القرطاجني الذي يقول فيه: " في الشعراء من يجعل أكثر معانيه وألفاظه مخيلة، ولا يعرج على الإقناع الخطابي، إلا في قليل من المواضع، وفيهم من يقصد الإقناع في كثير من معانيه، لأن صناعة الشعر تستعمل يسيراً من الأقوال الخطابية، كما أن الخطابة تستعمل يسيراً من الأقوال الشعرية، لتعتضد المحاكاة في هذه بالإقناع، والإقناع في تلك بالمحاكاة، في الشعراء أيضاً من يجعل أكثر أبياته وما تتضمنه الفصول بالجملة مخيلة، ولا يستعمل الإقناع إلا في القليل منها، ومنهم من يستعمل الإقناع في

¹ - ينظر: جابر عصفور، مفهوم الشعر (دراسة في التراث النقدي)، مكتبة الأسرة المصرية، 2005، القاهرة، ص 196

² - عبد القاهر الجرجاني، أسرار البلاغة في علم البيان، مصدر سابق، ص 213.

³ - المصدر نفسه، 213.

⁴ - عبد الرؤوف بن المناوي، التوقيف على مهمات التعاريف، تح: عبد الحميد صالح، عالم الكتب، 1990، ص 161.

كثير من الأبيات التي تتضمنها فصول القصيدة".⁽¹⁾ وهذا يعود لقدرة الشاعر أو الخطيب على إيصال رسالته بكل الأساليب والفنون، وفق ما يقتضيه المقام، غير آبه للحدود التي رسمها النقاد.

يقول القرطاجني مبينا ما يشبه التكامل بين الشعر والخطابة، أو حاجة كل منهما للآخر:

"وقد تعضد هذه الأشياء باستدلالات خطبية محضة أو موجود فيها شروط الشعر والخطابة معا بكون المحاكاة توجد فيها مع الإقناع؛ وما كان بهذه الصفة فهو أفضل موقعا في الشعر، والصنف الآخر أيضاً قد يقع في الشعر ولا يقدر ذلك فيه لأن صناعة الشعر لها أن تستعمل شيئاً من الإقناع كما أن صناعة الخطابة لها أن تستعمل شيئاً يسيراً من المتخيلات".⁽²⁾ ويقول في موضع آخر ما يدعم هذه الفكرة بكل وضوح: "لا ينبغي أن ينحى بالمعاني أبداً منحى واحداً من التخيل أو الإقناع ولكن تردف التخيلية في الطريقة الشعرية بالإقناعية، والإقناعية في الخطابة بالشعرية".⁽³⁾

ومع ذلك نستطيع القول أن التخيل لا يدعم دوماً إقناع المتلقي الذي يحتاج في بعض ألوان الخطاب كثيراً من البساطة والوضوح، وهذا ما نفتقده كلما غصنا في التخيل، مع أن "علم البلاغة مشتمل على صناعتي الشعر والخطابة، والشعر والخطابة يشتركان في مادة المعاني ويفترقان بصورتي التخيل والإقناع ... وكان القصد في التخيل والإقناع حمل النفوس على فعل شيء أو اعتقاده أو التخلي عن فعله واعتقاده، وكانت النفس إنما تتحرك لفعل شيء أو اعتقاده أو التخلي عن واحد من الفعل والطلب والاعتقاد بأن يخيل لها أو يوقع في غالب ظنها أنه خير أو شر، بطريق من الطرق التي يقال بها في الأشياء إنها خيرات أو شرور"⁽⁴⁾. إذن كل عمل بلاغي (خطاب) لا يعدو أن يكون شعراً أو خطابة، وفي كل الأحوال غاية الخطاب مآلها حمل النفوس

¹ - أبو الحسن حازم القرطاجني، منهاج البلغاء وسراج الأدباء، تح: محمد الحبيب بن الخوجة، دار الغرب الإسلامي،

ط3، بيروت 1986 ص 293.

² - المصدر نفسه، ص 347.

³ - المصدر نفسه، ص 114.

⁴ - المصدر نفسه، ص 20.

على فعل شيء ما أو تركه، ووسيلته في ذلك المؤثرات الكلامية، التخيل أو الإقناع حسب جنس الخطاب.

3- استراتيجيات الإقناع وعوامل تأثيره:

في بداية هذا المبحث نجد أنفسنا مضطرين إلى التذكير بشكل سريع بما فصلنا فيه القول سابقا وهذا بسبب اللحمة الموجودة بين الحجاج والإقناع، فمما أجمع عليه البلاغيون هو أن الخطابة لدى أرسطو قائمة على ثلاثة عناصر، أولها: وسائل الإقناع (الحجج والبراهين)، ثانيها: البناء اللغوي وأساليبه، ثالثها: ترتيب أجزاء القول، وقد أضاف الدارسون للخطابة-بعد أرسطو- عنصرا رابعا يتضمن طريقة الإلقاء (الحركة والصوت)، وتعد هذه العناصر كونية لا تختص بخطاب عصر دون عصر ولا عرق دون آخر، فهي على حد سواء بين اليونان واللاتين والعرب، اللهم إلا في اختلافات بسيطة مردها إلى خصوصيات حضارة دون غيرها،⁽¹⁾ وقد "اهتم أرسطو بالأسلوب في كتابه "الخطابة" مركزا على خصائصه وأقسامه وما ينبغي أن يكون عليه من الوضوح والدقة ومناسبة المقام والمتلقي، غير أنه حافظ على الحدود القائمة بين بلاغة الخطابة وبلاغة الشعر"⁽²⁾.

فما يحدد البلاغة الأرسطوية هو بعدها الإقناعي، الذي جعله أرسطو غرضه الأساس، كما أشاد بأهمية القول الخطبي في المجتمع البشري، فمدار الخطابة عنده إنتاج أقاويل تهدف إلى الإقناع في مجال المسائل الخلافية القابلة للنقاش، كونها علاقة مؤسسة على اللغة والخطاب، ولا يحصل بهما الإقناع إلا باجتماع أركان الحجاج الثلاثة: القول حاملا الفكر (اللوغوس) Logos، وأخلاق المرسل (الإيتوس) Ethos، وانفعال المتلقي (الباتوس) Pathos، وعليه جاءت الخطابة منقسمة إلى ثلاثة أقسام هي الأخرى:⁽³⁾

¹ - ينظر: محمد العمري، في بلاغة الخطاب الإقناعي، أفريقيا الشرق، ط1، المغرب، 2002، ص22.

² - عبد العالي قادا، بلاغة الإقناع، مرجع سابق، ص63.

³ - ينظر: عبد العالي قادا، بلاغة الإقناع، مرجع سابق، ص64.

- 1- البصر بالحجة، Eurisis وهي تحيّن الفرصة السانحة، بين الحجج وسياق الحجاج.
- 2- ترتيب الأقسام Taxis وهو ترتيب ووضع الحجج في مكانها المناسب لتقوية الحجاج.
- 3- العبارة Lexis وهي البحث عن الألفاظ المناسبة للتعبير عن الهدف والغاية المراد بلوغها.

وتلاؤما مع التجمعات البشرية في المجتمع اليوناني بأثينا حدد أرسطو للخطابة أنواعا:

- أ- **خطابة مشاجرية**، ترجمت عربيا انطلاقا من الشجار، وتعني المحاكمات القضائية والمرافعات ومقامات الاتهام والدفاع، وهي خطابة سلطوية.
- ب- **خطابة مشورية**، وتتعلق بالخطابات السياسية، والمداومات الجماعية، والخطب الوعظية، وهي خطابة سلطوية.

ج- **خطابة تشبثية**، وتتعلق بالمحافل الجماهيرية الكبرى وتكون مدحا أو ذما.

الخطاب الإقناعي ضمن هذه الأنواع الخطبية -في مجتمع أثينا-، يتصف ببعده قيمي وخلقى، يتوق لتحقيق المثل في المجتمع، انطلاقا من النفع والخير للجميع، وتحقيق العدل وخدمته، إلى غرس الفضيلة،⁽¹⁾ وهذا ما يتعين على المرسل (منتج الخطاب) أن يجد له مسلكا مناسباً، يتخذه للتلفظ بخطابه، بغية تنفيذ إرادته، والتعبير عن مقاصده التي تؤدي إلى تحقيق أهدافه، وعليه يلجأ الخطيب إلى ممارسة ما يسميه (فيجنشتين) لعبة اللغة، لتشكيل خطابه وفقا لاستراتيجية بعينها، وذلك بإثارة زوبعة من الأسئلة التي يمكن أن تدمج إجاباتها وفقا لنظام اللغة بين عناصر السياق، لتوفر العديد من الإمكانيات التي يستطيع توظيفها في إنتاج الخطاب المناسب للسياق.⁽²⁾

¹ - ينظر: المرجع نفسه، ص 65.

² - ينظر: عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجية الخطاب مقارنة لغوية تداولية، ج 1، دار كنوز المعرفة، ط 2، عمان، 2015، ص، ص، 102، 107.

فالمخطابات ليست سوى إنجازات لأفعال اللغة، والتعبير عن المقاصد، لإنجاز الأهداف، ضمن سياق لغوي معين، يضمن استعمال الكلمات داخل نظام متسق للجمل، وتساوق مع كلمات أخرى، مما يكسبها معنى خاصاً ومحددًا، وهذا ما يجعلنا نلجأ إلى دراسة اللغة أثناء الاستعمال، دراسة تداولية تعنى بكيفية إنتاج الخطاب بوصفها محور استراتيجياته، التي تُعدُّ عملية ذات وجهين:

أولهما: كونها(العملية) تجري على مستوى الذهن في مرحلة إنتاج الخطاب الأولى.

ثانيهما: لا تتجسد إلا بالتلفظ به.

وبناء عليه، فإن الخطاب تولده استراتيجية ممنهجة، غرضها إقناع المتلقي، وبلوغ الأهداف المسطرة، انطلاقاً من فكرة ذهنية محددة، تؤول إلى ترتيب ما يناسبها من المعاني في النفس، ذلك لأن النظم صنعة يستعان عليها بالفكرة- كما يرى الجرجاني⁽¹⁾، وبهذا نكون أمام بناء مشروع إقناعي يثير مجموعة من الأسئلة التي تحتاج إلى إجابات، والتي يتأثت بها العمل الحجاجي، يمكننا أن نسميها استراتيجيات الإقناع، حيث يؤدي بنا كل سؤال من هذه الأسئلة إلى جزئيات معينة من الخطاب الحجاجي، ويمكن حصر التساؤلات المثارة في الأدوات الاستفهامية، (من؟ -ماذا؟ -متى؟ -أين؟ -كيف؟)، كما يمكن إثارتها بصورة تلقائية وعفوية مع أنها عامل أساسي في قيام الكفاءة التداولية⁽²⁾.

● أولاً: من: *إِسْمٌ اسْتِفْهَامٍ عَنِ الْعَاقِلِ*، يطرح لمعرفة طرف العلاقة الحجاجية، الذي سيتلقى الخطاب، وهو المستهدف لإقناعه والتأثير في أفكاره، ومن بين الأسئلة الممكن طرحها حوله: من الشخص أو مجتمع الأشخاص الذي نود أن نوجه له الخطاب؟

¹ - ينظر: المرجع نفسه، ص 104.

² - ينظر: المرجع نفسه، ص 104.

- ثانيا: ماذا: تعد من الأسئلة الأساسية والمصيرية في إنتاج الخطاب، التي يطرحها المرسل في حد ذاته قبل أن يبلور خطابه المتكامل، وتعني تحديد الهدف الذي يرومه الخطيب وقيم الخطاب لأجله، أهو تغيير سلوك؟ أم تنوير جمهور؟ أم رفع منزلة؟ أم هو تعاون؟ أم إيضاح؟
- ثالثا: متى: سؤال عن الزمن، وتعني اغتنام الفرصة المناسبة، وتحين الظرف المواتي لتقديم المرسل خطابه، كما أنّ كل خطاب في الأعراف الاجتماعية مرهون ومرتبط بأوقات معينة مثل التناسب بين خطابات المجاملات المتبادلة بين الهيئات الرسمية.
- رابعا: أين: تمثل سؤال المكان، فالمكان عنصر سياقي له دوره في تشكيل الخطاب ولا يقل أهمية عن سؤال الزمن، وله علاقة بثقافة الجمهور المخاطب، فالثقافة الجماهيرية كثيرا ما تحدد وتحسم في انتقاء المكان المناسب للخطاب، ومن أمثلة ذلك: أفضل مكان للخطاب الديني هو المسجد، ثم وسائل الاتصال في مناسبات معينة مثل الخطب التلفزيونية أيام الأعياد الدينية، وأفضل مكان للخطاب السياسي هو فضاءات التجمعات الجماهيرية (قاعات محاضرات عمومية/ملاعب/ساحات عمومية) وهكذا، وبالإضافة إلى مناسبة المكان لنوع الخطاب، هناك مناسبة اللغة للمكان، فلكل مقام مقال، كما أن التلفظ في حرم الجامعة، يختلف عنه في المقاهي والساحات العمومية، وما يتخرج منه الخطيب في المسجد، لا يتخرج منه في الملاعب والفضاءات العمومية.

خامسا: كيف: تعبر عن سؤال الاستراتيجية، وهو أصعب سؤال يواجه المرسل عند تحضير خطابه وما الأسئلة السابقة إلا عوامل مساعدة لهذا الأخير، فهو سؤال تتبلور من خلاله علامة الخطاب المستعملة، وسؤاله: كيف ننجز خطابا وفق استراتيجية معينة لتحقيق هدفنا منه؟

وفي هذه الحال على المرسل أن يجند فكره وثقافته وتجربته، لاستحضار كل الافتراضات اللازمة التي تملئها عليه بنات أفكاره، في ضوء كل القوالب: الاجتماعي والإدراكي والمعرفي، ويحدد الوضعية الحالية ويضع تصورا للوضعية المستقبلية، وفق الصورة السياقية الحاصلة والمتوقعة،

سواء أكانت علامات الخطاب لغوية، أم غير لغوية، ليحدد استراتيجية الخطاب، وتشكيلها في قالب معين وواضح. (1)

3-1 استراتيجية العامل اللغوي للخطاب:

لا تخلو أية استراتيجية خطابية من المراحل المذكورة آنفاً، والتي يأتي على رأسها: المرحلة الذهنية، وتليها المرحلة الإجرائية بدءاً باللغة، ومن ههنا تتباين بعض سمات الخطاب الشكلية التي تتجلى في مستويات اللغة، كالتراكيب من حيث الطول والقصر، وثبات السياق اللغوي، وكل ما يضيفه التلفظ من خصائص تداولية، كالتنغيم والنبر وغيره، وفيما يلي أهم السمات اللغوية المؤثرة في قوة ودرجة الخطاب: (2)

- كل خطاب هو مركب لغوي.
- كل خطاب مؤلف من مبنى ومعنى.
- ينضوي الخطاب تحت مجال التواصل اللغوي وماله من جزئيات نحوية وصرفية وبلاغية.
- اللغة مستويات وكل مستوى سيوجه الخطاب بدرجة مختلفة.
- من مستويات اللغة التركيب الجملي وطريقة بنائه للمعلوم أو المجهول.
- اعتماد نظام تصويطي (نغمات تلفظية معينة).
- اعتماد نظام معجمي انتقائي، وفق نظامه الصرفي والنحوي اللائق.
- اعتماد نظام أسلوبية هو الآخر يناسب نوع ودرجة الخطاب المقصود.
- قد يلتزم المرسل بضوابط الخطاب كما قد يخرج عن مقتضاها حسب قدراته اللغوية.
- لا تستعمل متطلبات اللغة إلا وفق مقتضى السياق.
- يُعدُّ استعمال الدرجة الافتراضية، أو العدول عنها معبراً عن قصد تداولي.

¹ - ينظر: عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجية الخطاب مقارنة لغوية تداولية، مرجع سابق، ص 107.

² - ينظر: المرجع نفسه، ص 110.

- هناك أغراض تدعو للخروج عن الحقيقة إلى المجاز مع الترخص في معايير الإجراء.
- يمكن مخالفة القواعد بالتعويل على الدلالات الصوتية والعقلية، والإماءات الجسدية.
- بلورة استراتيجية الخطاب على كل المستويات اللغوية، المستوى الصرفي (البناء للمعلوم/المجهول-استخدام صيغ صرفية انطلاقاً من اشتقاقية اللغة، لتوجيه الخطاب وفق المقاصد المسطرة، مثل: هل غرقت الباخرة أم أغرقت؟) لبث الشكوك في جهة ما، ولفت الأنظار نحوها، وهكذا أيضاً بالنسبة للمستويين الآخرين: المعجمي والتركيبى اللذين تراعى فيهما الأبعاد التداولية للخطاب لجعله مؤثراً ومقنعاً.
- بالنسبة لمستوى التنغيم، يعد النبر أحد الفونيمات التي تجسد الخطاب تداولياً، بحيث لا يكون في كلمة أو كلمات في الجملة إلا لمعنى، لذلك يعمد الخطيب أن يركز منغماً على عبارة من الخطاب بقصد إبرازها عما سواها لتوصيل رسالته وبلوغ الدرجة الإقناعية المطلوبة، مثلاً: لو كان المفاوض يطرح شروطه للعدو والتي على رأسها إطلاق سراح الرهائن، فيقول: إطلاق سراح جميع الرهائن، أقول: جميع الرهائن.
- وذلك بقصد ألا تبقى رهينة واحدة مستثناة من التحرير.
- استخدام علامات الخطاب المصاحبة، التي يعمد المرسل على الاستعانة بها كالإشارات بصفة عامة، ولغة الجسد، والتنغيم والنبر بالعلامات القوية في الخطاب، إلى جانب اللغة الطبيعية، لإنجاز فعل ما، مثل:
 - نلتمس من سيادتكم كذا.
 - رفعت الجلسة.
 - شكراً.

2-3 معايير تصنيف استراتيجيات الخطاب المُقنع:

كل مرسل يهتم برسم استراتيجية وفق ما يدعيه السياق، باعتبار أن الخطاب هو كل منطوق موجه إلى الغير للتعبير عن قصد المرسل لتحقيق هدف واضح، وبناء عليه، فإنه صار بين أيدينا ثلاثة أقطاب هي: "خطاب يجري بين ذاتين-يعبر به مرسل عن قصده-يحقق هدفا"⁽¹⁾

وعلى هذا الأساس لا يخرج الخطاب من المسلمات الآتية:

- مسلمة الحوارية بين مرسل ومرسل إليه لكل منهما مقامه.
- المسلمة العلامية وهي اللغة الطبيعية.
- المسلمة الدلالية وهي إقناع المرسل إليه بقصد المرسل.

ولتجسيد كل المسلمات إجرائيا، لابد من العمل وفق معايير معينة، يأتي على رأسها:

- المعيار الاجتماعي، وهو معيار يراعي العلاقة الخطابية بين طرفي الخطاب.
- المعيار اللغوي، وهو معيار يراعي الجانب الشكلي للخطاب، والذي يخدم الدلالة إن لم يكن مباشرة فيمكن تلميحها.
- معيار مقصدية الخطاب التي تكمن في أهدافه المراد تحقيقها.

وإضافة إلى هذه المعايير التي تعد ضرورية لابد منها، هناك معيار لا يقل أهمية عنها وأحيانا يكون ذا أولوية مع ألوان خاصة من الخطاب، لا سيما الخطاب السياسي، والمعيار هنا هو السلطة، سلطة المرسل، أو سلطة اللغة، أو سلطة الخطاب في حد ذاته، وهذا يقتضي مفهوما آخر يبلور تلك السلطة، ألا وهو الإلزام، فما هو الإلزام وما علاقته بالسلط التي ذكرنا آنفا؟

¹ - ينظر: عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجية الخطاب مقارنة لغوية تداولية، ص 129.

1- الحجاج والإلزام وحجة السلطة:

1-4 الحجاج والإلزام:

لقد مرّ معنا آنفا مفهوم الحجاج بصورة موسعة وواضحة، أما الإلزام obligation فهو ما نسعى لتبيينه من خلال هذه السطور، فالفرق بين الإلزام والإلتزام هو أن الإلزام يكون من سلطة عليا تأمر وتنهى، افعل ولا تفعل ولا راد لأمرها ونهيها لأنها الأقوى، قوة سلطان، قوة بيان، قوة حجة، فالإلزام إذن يكون مشوبا بالإجبار والإكراه والتعسف، أما الإلتزام فهو التقيد بواجب ما، والإلزام يمكن أن يخالف ميول الملتزم وإرادته وتقاليد أهله ومجتمعه، ومن الإلزام والإلتزام يتألف النظام، ومن تمرد على الإلزام والواجب فقد خرج عن النظام القائم، وأخلّ بالقواعد في نظر القانون.

وقد يكون الحجاج مُلزما للمُخاطب وهذا إذا حاجّه المتكلم وأقام عليه الحُجّة والدليل، فلو كان المخاطب مثلا قد قام بخطأ في حقّ طرف آخر فإنه يُصبح مُلزما بتصحيح ذلك الخطأ، أو ملزما بتعويض صاحبه، أو حتى ملزما بنيل عقوبة ما إذا كان الخطأ يقتضي ذلك، وهذا كثير في مجال القضاء، كما قد يتجلى الإلزام في حالات المناقشة العادية، فإذا كان طرفا الحجاج يتناقشان حول أمر معين وأقنع الأول الثاني بضعف وجهة نظره وبُعدّها عن الصواب، فإنّ الثاني -إذا كان موضوعيا- سيُلمز نفسه بعدم العودة إلى وجهة النظر تلك، ويظهر الإلزام أيضا في أفعال السلطة من خلال المراسيم والقوانين والاتفاقيات وغيرها، فهي مُلزمة للمواطنين أو أطراف الإتفاقية رغم عدم اقتناع عيّنة منهم بها، فهناك مثلا من يعارض فكرة الحدود بين الدول لكنّه ملزم بالتقيّد بها رغم أنّ آراءه وحججه قد تكون سليمة وداحضة لأسباب وجود فُرقة بين العرب أو المسلمين وعدم وجود اتحاد بينهم ويضرب لنا مثلا بالاتحاد الأوروبي، إلّا أنّ حججه ذلك لم يُزل عنه الإلزام رغم صحّته، لأنّ الأمر هنا يتعدى الحجاج والإقناع إلى أمور أخرى كالإرادة السياسية.

وبين الإلزام compulsion والإلتزام commitment في نظرية الاتصال والتواصل، يُهتدى إلى اصطلاح وسط بينهما وهو "الاستلزام الحواري conversational implicature الذي هو من أهم المفاهيم التي تقوم عليها التداوليات، وعلى الرغم من وجود تقارب بين هذين المفهومين، فإن هناك فوارق حاسمة دعت الفيلسوف الأمريكي غرايس Paul Grice واضع هذا المفهوم، إلى اشتقاق مصطلح جديد من المصدر (implicate) ذاته وتخصيص عملية الاستدلال التي تجري في التداول اللغوي باسم (implicature)، تمييزاً لها عن (implication) المتعارف عليها، وعليه يمكن القول أن هذا المفهوم لصيق بلسانيات الخطاب التي أخذ معها البحث منحى متميزاً⁽²⁾

لقد حاول غرايس أن يضع نحواً قائماً على أسس تداولية للخطاب أخذت بالأبعاد المؤسسة لعملية التخاطب، والذي يلح من خلاله على تجاوز النظر إلى الشكل الظاهري للعبارات، وقد اقترح الآتي: ⁽³⁾

- أ- أن معنى الجملة المتلفظ بها من قبل متكلم في علاقة بمستمع.
- ب- مراعاة المقام الذي تنجز فيه الجملة.
- ت- مبدأ التعاون بين المتخاطبين.

وإجمالاً يبقى الاستلزام الحواري من الظواهر المميزة للغات الطبيعية، اعتباراً من ملاحظة عملية التخاطب، التي تراعي في معنى الجمل ارتباطها بمقامات إنجازها، ولا تنحصر فيما تدل عليه صيغتها الصورية، الأمر الذي يتطلب تأويلاً دلالياً آخر، الذي به يتم الانتقال من المعنى الصريح إلى "معنى مستلزم حوارياً" وغير مصرح به، فرضته لزومية معينة تتعلق بافتراض مسبق، أو بمقام إنجاز الجملة.

²- العياشي أدراوي، الاستلزام الحواري في التداول اللساني، منشورات الاختلاف، دار الأمان، 2011 الرباط، ص 17.

³- ينظر: المرجع نفسه، ص 18.

هناك إشارة "إلى أنّ أهم مميزات الاستلزام-من حيث كونه آلية من آليات إنتاج الخطاب- أنّه يقدم تفسيراً صريحاً لقدرة المتكلم على أن يعني أكثر مما يقول بالفعل، أي أكثر مما تؤديه العبارات المستعملة، فاستعمال جملة: **ناولني الكتاب من فضلك**، على سبيل المثال المنجزة في مقام محدد، يخرج بمعناها من الطلب (الأمر) إلى معنى الالتماس، وهو ما تفيده القرينة (من فضلك)"⁽⁴⁾، هذا غير ما تلزم به عملية التخاطب من الانقياد والانضباط لكلا المتخاطبين، فالتخاطب "مشاركة بين طرفين على الأقل، وهذا ما يؤكد الأستاذ طه عبد الرحمن إذ يقول: اعلم أن التخاطب هو إجمالاً الكلام الملقى من جانبين بغرض إفهام كل منهما الآخر مقصوداً مخصوصاً، ولما كان التخاطب يقتضي اشتراك جانبين عاقلين في القيام به، لزم أن ينضبط كلام أحدهما للآخر بقواعد تحدد وجوه فائدته".⁽⁵⁾

وهو رأي منسجم مع التوجه الوظيفي الذي يقتضي أن اللغة الطبيعية كبنية ترتبط ارتباطاً وثيقاً بظروف الكلام، ومعنى هذا أن الهدف الأساس الذي يرمي إليه المتخاطبان هو التواصل فيما بينهما لإحداث تغييرات في معلوماتهما، والذي لا يتم إلا في ظل وجود قدرة تواصلية لا تعتمد على اللغة الصرف، وإنما تراعي أيضاً قواعد الاستعمال التي تمكن من أداء وفهم العبارات في المواقف التواصلية المقصود منها تحقيق أغراض معينة، فالمتخاطب يستخدم اللغة أثناء التواصل إضافة إلى ملكات أخرى ذات طبيعة غير لغوية تسهم في إنجاح العملية التواصلية⁽⁶⁾ ومن هنا يتبين أن اللغة ليست حاملاً للحجة وحسب بل هي الحجة في حد ذاتها، بمعنى أنّ الحجاج لغة واللغة حجاج، خاصة في المجال الاتصالي التواصلية.

⁴ - العياشي أدراوي، الاستلزام الحوارية في التداول اللساني، مرجع سابق، ص 19.

⁵ - المرجع نفسه، ص 20.

⁶ - ينظر: المرجع نفسه، ص 22.

4-2 مفهوم السلطة في الخطاب:

مفهوم السلطة من المفاهيم التي يكتنفها الغموض ويصعب تحديدها على وجه الدقة باعتبارها مفهوم مجازي أكثر منه حقيقي وعلى وجه الخصوص في الخطاب⁽⁷⁾، "وهي بمعناها العام الحق في الأمر، فهي تستلزم أمرا ومأمورا وأمرا، أمرا له الحق في إصدار أمر إلى المأمور، ومأمورا عليه واجب الطاعة للأمر وتنفيذ الأمر الموجه إليه، إنها إذن علاقة بين طرفين متراضيين، يعترف الأول منهما بأن ما يصدره من أمر إلى الطرف الثاني ليس واجبا عليه... ويعترف الثاني منهما بأن تنفيذه للأمر مبني على وجوب الطاعة عليه"⁽⁸⁾، وهذا لا يعني أنه من طبيعة الإنسان أن تكون له سلطة على الإنسان باعتبار أن الناس ولدوا أحرارا، ولكن -مثلما يرى المنظرون- السلطة تقوم قائمتها بإرادة الإنسان في ضوء الحالة الاجتماعية، ولكنها ليست منحة مطلقة في حين هي متاحة لكل فرد، وهي بالتالي نسبية ومحدودة.⁽⁹⁾

وبعيدا عن مفهوم السلط السياسية المعروفة كالسلطة التشريعية والسلطة القضائية، والسلطة التنفيذية، وما يترتب على هذه الأخيرة من سلط هرمية تجسد النظام العام للدولة أو للمجتمعات، والتي نراها مرهونة بالجبر، والقهر والعنف أحيانا، بعيدا عن هذا كله نحن نروم سلطة الخطاب، وسلطة الإقناع التي هي نقيض الإجبار، والتي يستطيع المرسل أن يجسدها أثناء الخطاب، دون أن يمتلكها مسبقا، ومهما كان فإن سلطة الإقناع تقتضي -هي الأخرى- نفس شروط الخطاب السياسي ما عدا السلط المخولة من خارج الخطاب (درجة المسؤولية للمرسل) والتي تمنحه من القوة ما يجعله فوق المرسل إليه، فسلطة الإقناع تقوم على إمكانات الفرد الفكرية واللغوية والثقافية، لا على الماديات.

⁷ - ينظر: عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب مقارنة لغوية تداولية، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، ط1، 2004، ص 221.

⁸ - ناصيف نصار، منطق السلطة مدخل إلى فلسفة الأمر، دار أمواج، ط2، بيروت، 2001، ص7.

⁹ - المرجع نفسه، ص22.

فعلى سبيل المثال سلطة المؤسسة تتفاضل من مؤسسة إلى أخرى، ومن مقام إلى آخر، ومن مكان إلى آخر، والمرسل هنا يستمد درجة سلطته من المؤسسة التي ينتمي إليها، وليس من كفاءته وإمكاناته المعنوية، فالأستاذ صاحب سلطة على مستوى مؤسسته، ثم صفه بدرجة أقوى، وما إن يخرج من أسوار المدرسة تتلاشى سلطته،⁽¹⁰⁾ والشرطي تعلو درجة سلطته في تنظيم المرور، فيستطيع إنجاز أفعال مختلفة، كالنصح، أو التأنيب، أو العقوبة، وما إن يحيد عن مكان عمله يصبح مواطناً عادياً بدون سلطة على غيره.

4-2-1 حجة السلطة ومصادرها:

"تتمثل حجة السلطة في الاحتجاج لفكرة أو رأي أو موقف اعتماداً على قيمة صاحبها، والواقع أنّ عدداً كبيراً من معتقداتنا لا تتأسس إلاً على تبريرات غير مباشرة، فالأمر يتعلّق بالمعتقدات التي نقرّها فقط لأننا نعتقد أنّ أشخاصاً آخرين لهم من الأسباب الوجيهة ما يجعلهم يقرّونها فلا نعرف المبررات التي تدعم هذه المعتقدات ولكننا نعرف أنّ أشخاصاً آخرين يعرفون تلك المبررات، ولهذا السبب نقول إنّ معتقدات كهذه تستدعي حجة السلطة، التي نمارسها لإقناع بعضنا بما نعجز عن الاحتجاج به لأنفسنا."⁽¹¹⁾

فحجّة السلطة استراتيجية خطابية شائعة الاستعمال، حتى في كلامنا اليومي، وهي تكمن في كلّ دعامة يتدعم بها المرسل، لإثبات دعواه الحجاجية أمام المتلقي، ومن هذه الدعومات والأسانيد كل ما يلزم من شرائع سماوية، وقوانين وضعية، وتعليمات تنظيمية، تصب كلها في المرجعيات السياقية التي يخضع لها طرفا الحجاج، معتمدة على معايير معيّنة ككفاءة وبراعة وهيبة ومكانة وقيمة صاحبها، بالإضافة لمعايير التقاليد والسلف والعالمية⁽¹²⁾، وعلى هذا الأساس تصير

¹⁰ - ينظر: عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب مقارنة لغوية تداولية، ج1، ص280.

¹¹ - قوتال فضيلة، حجاجية الشروح البلاغية وأبعادها التداولية، مرجع سابق، ص278.

¹² - ينظر: قوتال فضيلة، حجاج السلطة أم سلطة الحجاج؟، مجلة فصل الخطاب، مج3، ع1، جامعة ابن خلدون،

تيارت، الجزائر، 2014، ص26.

حجّة السلطة أقرب ما يكون إلى البرهان والدليل الذي لا جدال فيه، وتدفع المتلقي إلى تقبل النتائج الحجاجية المقصود إقناعه بها وفقا لثقافته ومعتقداته وتعليمه، بل وتصبح ملزمة له لكونها الحجّة المركزية، حتى أنّها تدعم باقي الحجج التي تستقطبها في مدارها بمنحها الحصانة المنبثقة من الرأي العام، أو من فئات بشرية مشهورة، أو غير بشرية - كالفقه مثلا-⁽¹³⁾، لذا "يرى البعض أنّ حجة السلطة حجّة احتيالية باعتبارها وسيلة لصبغ النشاطات غير المنطقية، والمشاعر التي تنبثق منها بصبغة منطقية، إنها إذن حجّة مستعارة بغرض إخفاء الجانب اللاعقلي لمعتقداتنا"⁽¹⁴⁾، إذ إنّ درجة الصدق في حجّة السلطة عالية، ومنه يمكن التلاعب بفكر ومشاعر المتلقي من خلال الإيهام أو الإذعان، وبهذا تزداد صفة الاحتيال⁽¹⁵⁾.

ومن مظاهر حجة السلطة حجّة استدعاء الجمهور ضمن بعض السياقات، وذلك حين تُثار العواطف والأهواء لكي يصدّق المتلقي دعاوى لا تسندها أي حجّة مقبولة، غير أنّه توجد جماعة كبيرة من الناس تعتقد بهذه الدعاوى، فهي حجة مغالطة تهدف لاستخلاص حقيقة موضوعية من خلال حشد مشاعر الناس وحملهم على قبول تلك الدعاوى، لتصبح دعاوى صحيحة باعتبار أنّ الجميع يقول بها، فتصير حجّة استدعاء الجمهور حجة سلطة خاصة إذا كانت تحيل إلى جماعة معترف بها لتبرير فعل وتسويفه، وعلى هذا الأساس الاحتياالي لحجة السلطة تقوم بعض الخطابات السياسية، لذلك اقترح جون وودز و دوغلاس وولتون J.Woods and D.Walton خمسة شروط يتعين الالتزام بها في استخدام حجة السلطة:

- 1- ينبغي أن يكون الاستشهاد بسلطة ما على نحو صحيح، فإجراءات الحذف والزيادة أو أي تبديل لا ينبّه عليه يعدّ أمرا معيبا.

¹³ - ينظر: قوتال فضيلة، حجاجية الشروح البلاغية وأبعادها التداولية، ص 281.

¹⁴ - المرجع نفسه، ص 280، 281.

¹⁵ - ينظر: المرجع نفسه ص 281.

- 2- ينبغي للسلطة أن تمتلك كفاءة مميّزة في مجال محدد، فالحظوة التي يتمتع بها لا تنفع في جميع الأحوال، إذ إنّ الشعبية التي يتمتع بها السياسي صاحب السلطة لا تسمح له باتخاذ قرارات أو مراسيم في مجالات لا كفاءة له فيها.
- 3- حكم الخبير ينبغي أن يتعلّق بمجال اختصاصه الذي يملك فيه الكفاءة، فلا يمكن مثلاً لرجل السياسة أن يتخذ قرارات في مجال التعليم، دون أن يستعين بأبحاث وتوصيات واقتراحات الخبراء في المجال، فخبرة رجل السياسة تكمن في مجاله السياسي فقط.
- 4- ينبغي للسلطة أن تدعم حكمها بدليل أصيل وملائم وموضوعي يتعلّق بالمجال موضوع التخاطب، فعلى سبيل المثال إذا كان موضوع الخطاب عن الحاجة إلى تغييرات جذرية في المنظومة التربوية، فلا بدّ أن يدعم المخاطب صاحب السلطة هذه التغييرات بدلائل موضوعية، كالقول إنّ البرامج التربوية لم تعد تواكب العصر الذي نحن فيه ولا بدّ من تطويرها لكي نسير مع التحولات الحاصلة في العالم.
- 5- يستحسن الاتفاق حول تقنية من تقنيات الإجماع للبتّ في الخلافات بين السلط المتساوية في الكفاءة، فإذا ما تساوى طرفان في كون كلّ منهما صاحب كفاءة في نفس المجال، لا بدّ من الاتفاق حول طريقة ما للأخذ بحجّة أحدهما. (16)

لذلك فإنّ التزام الخطيب-سياسياً أو رجل دين أو غيره-بهذه الشروط حين استخدامه حجة السلطة، يجعله موافقاً لطرح بيرلمان الذي دافع فيه عن حجة السلطة، مبيّناً أنّها ليست مرفوضة في ذاتها كتقنية حجاجية، لكن الاختلاف حولها يكمن في كيفية اللجوء إليها وفي طريقة استخدامها ضمن سياق معيّن، كاستدعاء شخصية علمية أو دينية أو غير مؤهلة، للبتّ في أمور

¹⁶-ينظر: محمد مشبال، في بلاغة الحجاج: نحو مقارنة بلاغية حجاجية لتحليل الخطابات، دار كنوز المعرفة، الأردن،

سياسية⁽¹⁷⁾، أمّا عن حجة السلطة في الخطاب السياسي فتكمن في القوانين والمواثيق والتعليمات المنشورة في النشرات والجرائد الرسمية.

ويمكن القول أنّ السلطة لا تصدر إلا عن اثنين، عن مالك لها قبل التلفظ بالخطاب، وفي هذه الحالة تكون مدعومة بقوة مؤسسة، كأن يكون المرسل مسؤولاً أو مديراً أو مشرفاً تربطه علاقة قانونية أو أخلاقية مباشرة بالمتلقي، وهنا لا يمكن أن نعزو عملية التأثير أو الإقناع إلى الخطاب في حد ذاته، بل إلى الخطيب وبقوة الرابطة العلائقية المسؤولة بينهما، أما المصدر الثاني -وهو المقصود هنا- نعني به السلطة التي يأتي بها الخطاب، وهي التي تؤثر في نفسية المتلقي وتجعله ينقاد كلياً أو جزئياً للمرسل، ثم يتفاعل معه أو ينفعل منجزاً متطلبات الخطاب ومرسله، فقد ينجح الخطيب بمجرد التلفظ بخطابه، باعتبار أن مسألة السلطة "عدم توازن في القوى، حيث يقع أحد طرفي العلاقة فوق حد التوازن في اتجاه ما، في حين يقع الآخر تحت هذا الحد في نفس الاتجاه، وينشأ عدم التوازن من عدة مصادر، من ذلك قدرة الإنسان اللغوية ذاتها، ووضعه الاجتماعي قياساً على الآخرين، والقيود التي يفرضها الموضوع والفروق في العمر وأشياء أخرى كثيرة"⁽¹⁸⁾.

4-2-1-1. سلطة الخطاب وقوته الإقناعية:

تكمن سلطة الخطاب في قوّته الإقناعية التي يؤثر بها على المتلقي، والقوّة الإقناعية مستمدّة -غالبا- من الحجج والأدلة التي يتأسّس عليها الخطاب، وقد سبق لنا الحديث عن اكتساب الحجاج لسلطته، فالعلاقة بين سلطة الخطاب والحجاج والقوّة الإقناعية متداخلة بشكل كبير، ممّا يمكننا القول إنّ سلطة الخطاب تكمن بشكل كبير في سلطة حججه، فتظافر السلط الحجاجية في الخطاب يُمدّد هذا الأخير بالقوّة الإقناعية التي يبرز أثرها على المتلقي، كما لا

¹⁷ - ينظر: محمد مشبال، في بلاغة الحجاج: نحو مقارنة بلاغية حجاجية لتحليل الخطابات، ص 138.

¹⁸ - عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب مقارنة لغوية تداولية، ج 1، ص 281.

يمكن أن تقوم للخطاب قائمة فاعلة (سلطة) مالم يكن مخططاً له مسبقاً، ومع غض النظر عن عناصر الخطاب التي سبق وأن تطرقنا لها، فهناك الاستراتيجية، والتي من مؤشرات نجاحها ما يلي: (19)

- استخدام أنموذج التركيز والتخفيف في التخطيط الاستراتيجي، أو لتحليل استراتيجية الغريم.
- التركيز على النقاط الجيدة.
- التقليل من نقاط الضعف. التركيز على نقاط ضعف الغريم.
- التقليل من قوة الغريم وتفاديهما.

بعد أن عرفنا بعض مؤشرات نجاح الخطاب وإثبات فعاليته، والتي تعد جزءاً من الاستراتيجية والتخطيط فلا بد أن نعرف بأنّ هناك محركات للإقناع ومعرفتها هي الأخرى تغذي التخطيط الاستراتيجي للخطاب، وقد عددها علماء النفس والمختصون في الإقناع والتأثير على الآخرين كالاتي: (20)

أ- **التباين أو التناقض**: من أجل إظهار الفرق للمتلقي، ومثاله: لما تطلب من وكالة عقارية بيتاً للكرء، فيقومون بعرض أسوأ منزل بسعر الراهن، ولما يلاحظون إحباطك يقودونك لمنزل أحسن وبسعر أقرب للأول بالزيادة، فتقبل عليه دون تردد، فالسبب هو التباين بين المنزلين والذي لم يكن سوى خطة لجعل الزبون لا يفاوض عن السعر.

ب- **التبادل**: تعبر قاعدة التبادل عن رهن الناس الذين نريد منهم خدمة أو حاجة بهدية أو معاملة ودية، تجعلهم لا يتأخرون عن تقديم يد العون لنا إذا ما أردنا منهم ذلك، ونلاحظ

¹⁹ - عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب مقارنة لغوية تداولية، ص 236.

²⁰ - ينظر: المرجع نفسه، ص 256.

ذلك بكثرة في واقعنا المعيش، أن أصحاب الحاجات يعرضون خدمتهم أو معروفهم بقصد قضاء تلك الحاجات، مع أنه أسلوب لأخلاقي لما يبيته من أمراض اجتماعية كالمحسوبية، وقاعدة التبادل تشهد وجودا قويا خاصة على المستويات الدولية والدبلوماسية والسياسية.

ت- **الالتزام**: هو قاعدة واسعة الانتشار كذلك، وتعني تعهد طرف بالوفاء بشيء للطرف الآخر شريطة تحقيقه أمرا معيناً، إذن الالتزام هو وعد يلزم صاحبه الوفاء به عند تحقق الشرط.

ث- **السلطة**: من محركات الإقناع أيضاً، وجود السلطات التي تستوجب طاعة المرؤوس للرئيس، وهذا أمر مفروغ منه عبر العالم، لأن المرؤوس يدعن طاعة للمؤسسة أو المصلحة قبل أن نقول إنه مقتنع، وعلى هذا الأساس نثبت التفاوت في أداء المهام بين المقتنع والمدعن، فالمقتنع لا يتسبب في أي تقصير في أداء ما عليه من مهام، بينما المدعن كثيراً ما يثبت تقصيره كونه غير راغب وبالتالي غير مقتنع، ولعل الخلل أحياناً يكون في السلطة لما تستبد بالأمر.

ج- **الندرة**: هي الأخرى من محركات الإقناع، لأنها توهم الناس بأن كل شيء نادر هو شيء ذا قيمة، لدرجة أننا نفتني أشياء زهيدة بمبالغ خيالية، وهذا المبدأ يلازم الاقتصاد والتجارة.

ح- **البرهان الاجتماعي**: هو مبدأ محرك للإقناع لدى شرائح واسعة من المجتمع ويعني الامتثال للأعراف والعادات السائدة، ورضوخ الفرد-مهما كان-للجماعة مع أنه يعي أنهم على خطأ.

4-2-1-2 سلطة المرسل:

إنّ الحديث عن سلطة المرسل يحيلنا مباشرة إلى مفهوم الإيتوس الذي سبق لنا التفصيل فيه في الخطابة الأرسطية، كما يحيلنا أيضاً إلى عناصر خطابية هامة وضرورية تتمثل في سلطة المرسل إليه (المتلقي) من جهة، وسلطة اللغة من جهة ثانية، لأنّ علاقة الخطاب بلغة الاتصال والتواصل تعد أمراً حاسماً في درجة وقوة الخطاب، إذ إنّ الخطيب المتمرس هو من يُخضع الخطاب لما يصبو إليه من تأثير على المتلقي، مثلاً: في خطابات إحدى الوزارات في الحكومة

الجزائرية، التي لا تمتلك أي نصيب من اللغة الرسمية العربية للتواصل مع المجتمع أو الأسرة التربوية، لدرجة أنها أصبحت منبوذة لا لشيء إلا لرداءة خطابها مع ما تمتلكه من مؤهلات، وأصبحت لا تستمدّ سلطتها انطلاقاً من خطابها وحججها وطريقة إقناعها، إنّما سلطتها كانت مكتسبة من منصبها فقط، الذي يُلزم مرؤوسيه تنفيذ فحوى تلك الخطابات.

وكذلك الأمر بالنسبة لأحد رؤساء الحكومات الجزائرية، الذي كان يغطي ضعفه اللغوي وهنّاته الخطابية بنكت تهريجية، جعلته صغيراً في عين المجتمع المستهدف بالخطاب، وعلى النقيض من ذلك شهدت الساحة السياسية الجزائرية قوة في الخطاب السياسي مع الرئيس هواري بومدين، الذي استقطب قلوب الجماهير بخطاباته وقوتها التأثيرية التي صنعت منها سلطة قوية في نظر الشعب الجزائري، بغض النظر عن محتويات تلك السياسة.

وبالتالي فقدرة الخطيب على التحكم بقواعد اللغة وتخيّر الألفاظ، والاطلاع على فنون الخطابة وحسن سبك المعاني، وتطوير الكفاءة التواصلية، والاستناد إلى الحجج المناسبة والشواهد القويّة، وإدراك الظروف والسياق، كلّها عوامل تضيف مزيداً من السلطة للمرسل زيادة على السلطة التي يمنحه إيّاها منصبه أو مكانته أو ماله...

كما أن هناك أسئلة وضعت لمواجهة الجمهور وفهمه قبل اختيار استراتيجية للإقناع، من

قبيل:

- ما الذي يعرفه الجمهور عن موضوع الخطاب؟
- ما مدى اهتمام الجمهور بالموضوع المزمع إثارته؟
- ما مدى الدعم والمؤازرة لوجهات نظر المرسل؟

فالأسئلة السالفة الذكر تقتضي إجابات تتيح للمرسل تصنيف جمهوره، ومن ثمّ يمكنه أن

يقرر استراتيجيته المناسبة.

وبالنظر إلى الأمر من جهة الغاية المرجوة فهناك قاعدة ذهبية مفادها: "يمكنك أن تجعل عرضك أكثر جاذبية أو بإمكانك أن تقلل المقاومة التي تلاقىها من الطرف الآخر"⁽²¹⁾ فمن خلال القاعدة نستنتج أنّ المتلقي صنفان، صنف نود إقناعه بجودة عرضنا لجذبه إلينا، وصنف آخر نخشى أن يعمد إلى خسارتنا فنود أن نؤثر فيه للتقليل من مقاومته، وبالتالي تجنب الخسارة، وقد يترتب على هذه القاعدة مجموعة أسس نختصرها فيما يلي:

- المتلقي يتخذ قرارات بناء على الكيفية التي يتم بها صياغة العرض، وفي هذا إشارة إلى أن صفة الخطاب ودرجته الإقناعية تفعل فعلتها في التأثير على المتلقي، وتوجه إرادته بما يتلاءم مع قوتها.
- تقليل الخيارات يزيد نسبة الإقبال ويزيد الإذعان للمرسل، وهذا عامل ثابت لا سيما في المجال التجاري والاقتصادي، وحتى ضمن المجالات الأخرى، لأن كثرة الخيارات تبث في النفوس الاستئناس بالوفرة والارتياح، بينما إذا قلصنا العرض وحددناه يجعل ذلك النفوس تخاف من الندرة وتسابق لأحد الاختيارات، ولنمثل لذلك بوفرة المعرفة على الشبكة العالمية بشكل رهيب، جعل من الطلبة والباحثة يستأنسون بهذه الوفرة ولا يلجؤون إليها إلا عند الضرورة، بينما قبل ذلك كان الطالب أو الباحث يقرأ أي كتاب يصل إلى يديه، بسبب الخوف من عدم الحصول عليه مرة أخرى.
- مخاطبة القيم العليا أفضل بكثير من مخاطبة الأفراد، وهو أمر منطقي لأن الشمولية في الخطاب أيسر من التخصيص، والتعميم أخف وطأ من التخصيص، مما يبعد الإحراج ويجعل الخطاب مثمرا.

²¹ - كيفين هوجان، علم التأثير، ترجمة ونشر: مكتبة جرير، ط4، العربية السعودية، 2008، ص 83.

- الأكثر سهولة هو أن تؤثر في جماعة وليس في فرد واحد، وهذا من جنس السابق كذلك وإضافة إليه، فالفرد يتخوف ويتردد بينما إذا رأى جماعة مقبلة على أمر فذلك يهون عنه كل صعب أو مشكوك فيه من العروض. (22)

4-2-1-3 سلطة المرسل إليه:

- للمرسل إليه أيضا سلطة بحيث يفرض على المرسل أن يدرس خصائصه ويراعي أفكاره وأيديولوجياته، ويبحث عن الاستراتيجيات التي تقنعه لأن المرسل إليه أصناف عديدة منها(23):
- أ- **الجمهور المعارض:** وهو المجموعة التي تخالف المرسل وقد تتخذ ضده مواقف مضادة ومعاكسة، وهي مجموعة لديها القوة نفسها التي يمتلكها المرسل، إلا أنها لا توافق على اقتراحاته، انطلاقا من شكوك في مصداقيته، لذا فعلى المرسل أن يتغلب على الخلافات الشخصية، ويتخلص من نقاط الخلاف بطريقة ذكية ومدروسة، ويركز على وجهات النظر المشتركة، وكل ما يجلب إليه الجمهور متفاديا التلفظ بما يُنقَرُه، متصفا بالموضوعية والعدل.
- ب- **الجمهور المحايد:** وهي مجموعة تقدر موقف المرسل وتفهمه، لكنها تحتاج إلى إقناع أكثر، لكونها لا تعارض المرسل ولا تسانده، وهنا المرسل يكون أقرب ما يكون للمحايدين باعتباره أمام فرصة لاستمالة هؤلاء بخطابه عن طريق التوجيه والإرشاد، بسرد قصص وتجارب مشابهة، وتبيان ما يمكن جنيه من المزايا والفوائد في حال مساندتهم والتزامهم بطلب المرسل.
- ت- **الجمهور غير المهم:** لدى هذه المجموعة معلومات بالقضايا التي يريد المرسل تناولها، ولا يعينها غير ذلك، وهذا النوع من الجمهور أصعب من الجمهور المحايد، ويحتاج إلى أن توظف فيه الهمة، وتدفعه لأن يكون فعالا وذا جدوى في القضية.

²²- ينظر: كيفين هوجان، علم التأثير، ص76.

²³- هاري ميلز، فن الإقناع، ترجمة ونشر مكتبة جرير، ط1، العربية السعودية، 2001، ص 222.

ث- **الجمهور غير المعلن:** هو الجمهور الذي تنقصه معلومات ضرورية لإقناعه، فهذا جمهور لا يدري كيف يتصرف، لذا فهو في حاجة إلى استقطاب وتعليم، لا يحتاج إلى كثير بيانات وخطب، بقدر ما يحتاج إلى أن يركز المرسل على نقاط قليلة وواضحة، لتيسير استيعابها لديه.

ج- **الجمهور المؤازر:** هو كل جمهور يتفق مع المرسل سلفاً، وإقناعه يعني إعادة شحنه والرفع من همته، وإشعال حماسه، وضبط استعداداته بدون حاجة لبراهين ونقاشات، لكونه جمهور مؤمن بقضيته، وكل ما يحتاجه هو الهبة في شكل فريق ملتحم.

ح- **الجمهور المختلط:** له وجهات نظر مختلفة، ويمثل النسبة الأكبر، ولديه وجهات وأراء متباينة، وهنا المرسل عليه أن يستميل المجموعات التي تهتمه والتي لها وزنها بين الجمهور المختلط، كأن يغري المرسل الأطفال بمنتج غذائي معين، وفي الوقت ذاته ينصح الأولياء بفوائده الصحية العالية.

وتتضح سلطة المرسل إليه بشكل جلي في الإدارة الجزائرية، فكلّ الرسائل والطلبات الإدارية تتضمن عبارات من جنس:

- لي عظيم الشرف / يطيب لي / سيادتكم / حضرتكم / تقبلوا منّا جزيل الشكر والعرفان /
خالص التحية والتقدير.

إذ تبين هذه العبارات عن السلطة التي يمتلكها المرسل إليه، ولا يشترط في هذا النوع من الخطاب أن يكون من الأدنى منصباً إلى الأعلى منصباً، حتى لا تعلّل أنّها سلطة مكتسبة جراء التفاوت في المناصب، فقد نجد نائبا برلمانيا يكتب طلباً إلى مدير مدرسة ابتدائية ويضمنها بعض العبارات الواردة أعلاه، رغم أنّ مكانة ومنصب البرلمان أعلى بكثير من مدير مدرسة ابتدائية، فطبيعة هذه الرسائل الإدارية قائمة على منح سلطة للمرسل إليه.

كما تبرز سلطة المرسل إليه في توظيف المرسل للجمل الاعتراضية ضمن خطاباته، ليدلّ على أنّه يستحضر المرسل إليه في ذهنه، ليس قبل إنتاج الخطاب فحسب، بل وفي أثناء إنتاجه أيضاً، من قبيل: "كتب الحسن بن وهب إلى أبي تمام الطائي أنت -حفظك الله- تحتذي من البيان في النظام، مثل ما يقصد بحر في الدرر من الأفهام، والفضل لك -أعزّك الله- إذ كنت تأتي به في غاية الاقتدار"، وتضمن الخطاب هذه الجمل الاعتراضية بدلالة الدعاء للمرسل إليه، دليل على عدم مفارقتة ذهن المرسل، وبهذا نعتبر أنّ عدم مفارقتة سمة من سمات السلطة.⁽²⁴⁾

4-2-1-4 سلطة اللغة ولغة السلطان:

اللغة سلطة في ذاتها "فالشيء الذي ترتسم فيه السلطة، ومنذ الأزل، هو اللغة أو بتعبير أدق: اللسان... لأنّ اللغة بطبيعة بنيتها، تنطوي على علاقة استلاب قاهرة... فاللغة توجيه وإخضاع معتمّان"⁽²⁵⁾، من هنا تتجلى لنا سلطة اللغة إذ إنّها آلة خطيرة للهيمنة، "إنّها خطر الأخطار جميعاً لأنّها هي التي تبدأ بخلق إمكانية الخطر، والخطر هو التهديد الذي يحمله الموجود للموجود"⁽²⁶⁾، إذ يفعل الإنسان بها ما يريد، ويكوّن الخطابات التي تخدم أهدافه، خاصّة في المجال السياسي، لأنّه يقرّر مصائر شعوب بأكملها، وهكذا يسيطر الذين يتحكمون باللغة على عقول الناس وبالتالي على أفعالهم لأنّ أفعالهم مرهونة بما تقتنع به عقولهم، وإذا كانت اللغة تسيطر على الأفعال فمن المهم للسلطة التحكم في اللغة للسيطرة على أفعال من تحكمهم، لذا يمكن القول إنّ سلطة اللغة تكمن في العلاقة بين السلطة واللغة، "فاللغة ما إن يُنطق بها-حتى لو كانت همهمة-فهي تصبح في خدمة سلطة بعينها"⁽²⁷⁾، وبالتالي فاللغة مرتبطة ارتباطاً شديداً بالسلطة وآلياتها ومظاهرها

²⁴ - عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب مقارنة لغوية تداولية، ط1، مرجع سابق، ص229.

²⁵ - رولان بارث، درس السيميولوجيا، تر: عبد السلام بنعبد العالي، دار توبقال للنشر، المغرب، ط3، 1993، ص12.

²⁶ - مارتن هايدغر، اللغة أخطر النعم، ضمن كتاب اللغة، تر: محمد سبيلا وعبد السلام بنعبد العالي، سلسلة دفاتر

فلسفية، دار توبقال للنشر، ط4، المغرب، 2005، ص17.

²⁷ - المرجع نفسه، ص13.

المختلفة، إذ إنّها وعلى وجه الخصوص في إطار ما يستعمله الساسة والسياسيين، تكون المحدد لمدى نجاح الخطاب في إقناع المتلقي -سواء كان من الأتباع والجمهور أو من الخصوم-، "فبعضهم يمارس اللّغة وهو واع بقوّتها إذ تشدّ أزر سلطته، وبعضهم لا يعي أنّ وزن سلطانه بوزن سلطة اللّغة"⁽²⁸⁾، لأنّ المتلقي لا يقتنع بالقوّة وإن خضع لها لكنّه بالمقابل يخضع إراديا وبطرق سلمية لسلطة اللّغة، بل إنّ القوّة والعنف قد يوقدان الثورة و التمرّد لدى المتلقي، بينما إقناعه بسلطان اللّغة يجعله يقف ندا لأيّ ثورة مضادة ويؤيد السلطة التي استعانت باللّغة لإقناعه بأهدافها، "وكثيرا ما يُعتمد إلى توظيف اللّغة في التسلط وبسط النفوذ بالتأثير المبني على سلطة اللّغة، ومن ثم يتطرق البحث إلى النظر في إشكالية السلطة عند الإبلاغ، أهي سلطان اللّغة أم سلطة السلطان؟ فإنه من المعروف أن اختيار المتكلم للأبنية اللغوية قصد التواصل وعمل إصدار البلاغ أو كتابة نص، يكون مقيدا بنظام اللّغة وقواعدها"⁽²⁹⁾ وفي هذه الحال تطفو على السطح مشكلة عدم التفرقة بين سلطان اللّغة وسلطتها من جهة وبين لغة السلطان من جهة أخرى، إذ يرى بورديو أنّ "من يهمل مسألة استعمال اللّغة، وبالتالي مشكلة الشروط الاجتماعية لاستخدام الكلمات، لا بدّ وأن يظلّ طرحه لمسألة سلطة الكلمات ونفوذها طرحا ساذجا... فليست سلطة الكلام إلا السّلطة الموكلة لمن فُوض إليه أمر التكلّم والنطق بلسان جهة معينة."⁽³⁰⁾ و بهذا ينفي بورديو الفكرة التي مفادها أن اللّغة تكتسب سلطتها من ذاتها و من داخلها وأنّ السلطة متضمّنة فيها، فمثلا لو جاء أحد ما قائلا إنّني أعلن افتتاح المطعم اليوم، وهو لا يملك ذلك المطعم ولم يفوّضه المالك الحقيقي لافتتاحه، فهل سيقع فعل الافتتاح؟ وهل سيكون لكلامه أي سلطة؟ أم يضرب به عرض الحائط؟ بل وقد يسخر منه السامعون ويصفونه بالجنون أو شيء من هذا القبيل، رغم أنّ نفس الإعلان لو أعلنه صاحب المطعم لكان افتتاحا رسميا وصدّق السامعون ذلك،

²⁸ - عبد السلام المسدي، السياسة وسلطة اللّغة، الدار المصرية اللبنانية، ط1، القاهرة، 2007، ص7.

²⁹ - عبد الرزاق بن عمر، سلطة اللّغة ولغة السلطان، ضمن كتاب: الكتابة والسلطة، إشراف: عبد الله بريمي وآخرون، دار كنوزالمعرفة، 2015، الأردن، ص485.

³⁰ - بيير بورديو، الرمز والسلطة، تر: عبد السلام بنعبد العالي، دار توبقال للنشر، المغرب، ط3، 2007، ص57-58.

انطلاقاً من هذا يبدو لبوردو أنّ سلطة اللغة مكتسبة من خارجها، يقول في هذا الصدد: "إنّ من يحاول أن يفهم، عن طريق اللسانيات، سلطة الظواهر اللغوية ونفوذها... ينسى أنّ اللغة تستمدّ سلطتها من خارج... وأقصى ما تفعله اللغة هو أنّها تمثّل هذه السلطة وتُظهرها وترمز إليها... وفي الواقع إنّ استعمال اللغة، وأعني فحوى الخطاب وكيفية إلقاءه في ذات الوقت، يتوقفان على المقام الاجتماعي للمتكلّم" فالمتكلّم إذا لم يمتلك السُلطة التي تخوّل له استعمال العبارات التي يصرّح بها، فلا جدوى من تلك العبارات ولا سلطة لها أو فيها، فما يتكلّم به رئيس البلد يكون نافذاً، يجري العمل به و نمثّل له من لحظة التصريح به، وأقلّ درجة منه الوزير ثمّ الوالي وهكذا، فكلّ من له سلطة في المجتمع نرى انعكاس تلك السلطة في أفعال المتلقين لها بحيث يعملون بما يقوله، أمّا إذا كان صاحب الكلام مواطناً عادياً—خاصّة في الأوطان العربية—فإنّه لا يُعتدّ بكلامه ولو كان مقنعاً أو ذا جدوى أو يحمل حلولاً لمشاكل يعيشها البلد لأنه لا يستمدّ قوّته من سلطة معينة، وهنا تتجلى لغة السلطان.

وقد دعت إشكالية سلطة اللغة ولغة السلطان بعض الباحثين إلى التنقيب في عمق هذه القضية، وعلى رأسهم الباحث عبد السلام المسدي، في كتاب: "السياسة وسلطة اللغة"، الذي تطرق للصناعة اللغوية، التي يعدها أساساً في المعمار الذي تشيد عليه استراتيجية الخطاب السياسي، وقد أثار هذه المسألة قبله نعوم تشومسكي N.chomsky في كتابه: اللغة واللسانيات والسياسة، الذي كان بحثاً في اللسانيات، وعتبتها للولوج إلى العلوم السياسية، وصعوبة إنجاز بحث سياسي لغوي (خطاب سياسي) وطبيعة الأسئلة التي يطرحها هذا اللون من الخطابات، مثل: من المنتج الحقيقي للخطاب السياسي ومن المتقبل له؟ هل الخطاب السياسي من إنتاج رجل السياسة أم لغيره؟ وخاصة لما يلحظ المتلقي تمرد واستعصاء اللغة على سلطان

السياسي، وهل يعد خطاب الصحفي أو الباحث في العلوم السياسية خطابا سياسيا؟ أو امتدادا له، وما علاقة اللغة بذلك كله؟⁽³¹⁾

4-3. أدوات الإقناع:

إن استراتيجية الإقناع لا تتوقف عند تصنيف الجمهور وتوجيه الخطاب المناسب له، وفق أصنافه وحسب، بل هناك أدوات للإقناع، حيث إنّ التلفظ له أساليب بلاغية مجدية وأخرى أقل جدوى، لذا يجب على المتكلم أو الخطيب أن يعتمد إلى تلك المجدية، لتحقيق التفاعل مع جمهوره، ويأتي على رأسها: اعتماد الأسلوب الاستفهامي، أي طرح الأسئلة، وترك فرصة للجمهور للإجابة عنها، وتجنب أسلوب الإخبار.

لأن التجارب أثبتت ذلك " لقد سجل كل من نيل (راكهام) ومجموعة باحثي (هوثوايت) في بحث أجروه عن التفاوض، أن طرح المبررات يفلح فقط في إقناع أولئك الذين يشاركونك الرأي بالفعل، فإذا كنت متفقا معي في تأييد اتجاه سياسي معين، فستكون مستقبلا جيدا لأية مبررات تتلقاها لتأييد تلك السياسة، أما إذا كنت تعارض ذلك الاتجاه فكلما قدمت لك مزيدا من الأسباب كلما قابلت ذلك بمزيد من الحجج لتدعيم رأيك المعارض"⁽³²⁾ ومن هنا فاللجوء للأسئلة أكثر جدوى من اللجوء للمبررات، ومن أنواع الأسئلة الممكنة لإحداث الإقناع:

أ- الأسئلة المفتوحة:

تعد الأسئلة المفتوحة من بين أكثر الأسئلة التي يستخدمها المفاوضون والخطباء لإحداث التأثير والإقناع لدى الجمهور، وهي أسئلة لا يمكن الحسم في الإجابة عنها بكلمة أو كلمات، ومثال ذلك: - كيف يمكنك أن تكون راضيا عن وضعك؟

³¹- ينظر: عبد الرزاق بن عمر، سلطة اللغة ولغة السلطان، مرجع سابق، ص 486.

³²- ينظر: المرجع نفسه ص 213.

وهي أسئلة تدفع المتلقي للانخراط في الخطاب والمساهمة فيه، وليس الوقوف سلبيا فقط.

ب- الأسئلة المغلقة:

الأسئلة المغلقة هي أسئلة حاسمة تتطلب إجابات محددة، ويمكن للمرسل أن يلجأ إليها إذا كان المتلقي يتجاوب مع الأسئلة المفتوحة ويطيل الحديث ويسهب في الكلام، ومثالها:

أيهما تفضل كذا أم كذا؟

أي يوم تحب أن أعود إليك؟

ت- الأسئلة المثيرة للقلق:

هي أسئلة تمثل الجانب السلبي لأغلب الأسئلة المفتوحة، أو المغلقة في أنها تثير قلق الآخرين، وبالتالي تدفعهم إلى تغيير مواقفهم، وذلك بإثارة المرسل استقرار المتلقي بما يطرحه من أسئلة إيحائية، وعليه يجعله ينخرط في جوه مقتنعا بالموقف المعروض.

ث- الأسئلة التوجيهية: هي أسئلة يتميز بها الأذكياء من المحققين والمحامين والقضاة، لتوجيه الحديث مع الشهود عند استجوابهم والتأثير عليهم.

ج- الأسئلة البلاغية: هي أسئلة تثير تفكير المتلقي وتجعله أكثر إقناعا، وشكلها النموذجي أنها تأتي في هيئة ملخص حديث أو خطاب، ومن أمثلة هذا النوع: غسل الدماغ، والتأثير على المتلقي لينفعل ويتجاوب مع المرسل، ويتم ذلك بالعلامات اللغوية وغير اللغوية. كتوريط الشباب للتجند في جماعات إرهابية، أو بعض الألعاب المؤثرة التي تجعل المتلقي يعيش أحداث اللعبة (الحوث الأزرق مثلا) ⁽¹⁾.

¹ - "العبة الحوث الأزرق" هي تحدّ يوجد فقط ضمن مجموعات مغلقة من الأفراد على وسائل التواصل الاجتماعي، تحدّ صممه، حسب ادعائه، الروسي فيليب بوديكين. * (Philipp Budeikin) والحوث الأزرق ليست لعبة بالمعنى المفهوم، أي أنها ليست تطبيقا على الهواتف الذكية أو برنامجا تقوم بتحمله على الحاسوب الخاص بك، بل هي تحدّ.

4-3-1. مسوغات استراتيجية الإقناع:

إنّ البحث في مسوغات وجود استراتيجية للإقناع، يحيل الباحث إلى الدواعي التي جعلتنا نستعمل الإقناع في حياتنا بشتى مجالاتها، وهي كثيرة جدا سنتطرق لبعضها على سبيل الذكر لا الحصر: (1)

- أ- ثبوت تأثيرها التداولي في المرسل إليه، وضمان نتائجها.
- ب- تمايزها عن الاستراتيجيات الأخرى ومنها الإكراه مثلا، وكذا احترامها لحرية المتلقي ورغبته.
- ت- الرغبة في تحصيل الإقناع إذ يغدو هو الهدف الأسمى للخطاب.
- ث- هي أقدر على التأثير في المتلقي عن طريق تنامي الخطاب عن طريق استعمال الحجاج.
- ج- هي استراتيجية تبعد السلطة في الإقناع، لأن الإقناع في حد ذاته سلطة المرسل.

ويتضمن التحدي مجموعة من المهمات يكلف بها من قرر الخوض فيه، تبدأ من مهمات بسيطة كالاستيقاظ في موعد محدد، ومشاهدة أفلام رعب بعينها، والاستماع لأغانٍ محددة، ورسم شكل الحوت على الجلد بأداة قاطعة، وإيذاء الجسم بطرق مختلفة، والانعزال عن الناس لمدة يوم كامل.

ثم تتطور التحديات شيئا فشيئا في العنف حتى تصل إلى التحدي النهائي، وهو أن يطلب مدير التحدي من الخاضع له أن ينتحر في موعد محدد بالقفز من أعلى المنزل مثلا.

وهنا يظهر أن فكرة التحدي ببساطة ترتبط بشخصين تجمعهما علاقة من نوع خاص. الأول هو المسؤول عن التحدي، وهو ببساطة نموذج للمتصيد الإلكتروني، واللاعب الذي ترتبط صفاته النفسية - كما تشير دراسة أيرين باكل من قسم علم النفس بجامعة مانيتوبا، كندا- بما نسميه الرباعي المظلم (Dark Tetrad)، ويعني ذلك وجود أربع صفات مضطربة لدى الشخص نفسه، هذه الصفات هي السادية (Sadism) (بنوعيتها الصريح وغير المباشر)، والميكيافيلية (Machiavellianism)، والاعتلال النفسي (Psychopathy)، والنرجسية (Narcissism) تتركز مهمة هذا المتصيد، كما يبدو، في إيجاد الضحية المناسبة، الذي غالبا ما يكون مراهقا سهل الانقياد متحفزا بالفعل لأداء تلك المهمات.

وهنا تبدأ المشكلة، إذ إن الراغب في الانضمام لذلك التحدي غالبا ما يكون قد تعرض لنكسة نفسية، أي كانت صورتها، الاكتئاب مثلا، وصار جاهزا لاستقبال هذا النوع من الممارسات الذي أخبره عنه صديق أو قرأ عنه عبر الإنترنت، وتكون المهمة الإضافية لهذا المسؤول عن التحدي هي -ربما- الحفر في منشورات الضحية وربما الإلقاء بأي برمجات خبيثة في جهازه أثناء الحديث معه لتسجيل ما يمكن أن يستخدم فيما بعد للضغط على الضحية وابتزازه من أجل استكمال المهمات.

- يراجع: <https://www.aljazeera.net/encyclopedia/healthmedicine/2018/6/12>

¹ - ينظر: عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجية الخطاب مقارنة لغوية تداولية، ج2، ص220.

- ح- تتميز استراتيجية الإقناع بالشمولية ويمكنها أن تشمل كل مجالات الخطاب.
- خ- تحدث نتائج تربوية طيبة لا سيما في المجال الدعوي (الديني).
- د- عدم الاتفاق حول قيمة معينة قبل إجراء الخطاب، والبعد عن التأويلات الخاطئة للخطاب.

وخلاصة القول يبقى الإقناع مدار العملية الحجاجية وهدفها الأساس، فلولا الحاجة لإقناع الآخرين لما كان هناك حجاج ولا خطاب أصلاً، وذلك ما نريد اكتشافه والوقوف عليه بعد ختام الفصل الثاني، إذ نود أن نتقل من مجال الدراسات النظرية للحجاج وما يدور في فلكه من نظريات تداول اللغة وأفعال الكلام، إلى مجال أرحب محاولين ترجمة وتطبيق ما رآه المنظرون من آراء وقواعد، على نصوص وخطب سياسية مشحونة بالحجج.

الفصل الثالث:

القوة الإنجازية وسلطة

الإقناع في الخطاب

السياسي- نماذج تطبيقية

1- الحجاج في الخطاب السياسي:

1-1 مفهوم الخطاب:

الخطاب لفظ شائع في حقل الدراسات الإنسانية وعلى رأسها الدراسات الأدبية واللغوية، وقد لقي إقبالا واسعا من قبل الدارسين والباحثين خلال العقود الأخيرة، فمصطلح الخطاب ليس مصطلحا جديدا كما يبدو للبعض، نظرا لارتباطه بالدراسات النقدية والبلاغية واللغوية الحديثة، ولكنه كيان ضارب في القدم، استعمله النحاة فقالوا: (ضمائر الخطاب-المخاطب) والرواة فقالوا: (أرسل الخليفة خطابا) والنقاد فقالوا: (خاطب الشاعر قبيلته بأبيات...)

ومصطلح الخطاب متجدد يولد في كل زمن ولادة جديدة تنسجم وخصوصية المرحلة، وأكثر من هذا وذاك فقد ورد لفظ الخطاب في القرآن الكريم، ضمن مواضع عديدة، كقوله تعالى: ﴿وَلِي نَعِجَّةٌ وَاحِدَةٌ فَقَالَ أَكْفِلْنِيهَا وَعَزَّنِي فِي الْخِطَابِ﴾ (سورة ص-23) وقوله تعالى: ﴿وَشَدَدْنَا مُلْكُهُ وَأَتَيْنَاهُ الْحِكْمَةَ وَفَضَّلْنَا الْخِطَابِ﴾ (سورة ص-20) وقوله تعالى: ﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا﴾ (سورة الفرقان-63)، إذن فالخطاب كمفهوم لساني يمتد وجوده إلى النصوص المتعاليات من شعر قديم وقرآن كريم، وحتى في الدراسات الغربية القديمة، حيث تمثل الأوديسا والإلياذة - مع أنهما نماذج شعرية ملحمية - خطابات متفردة لا تزال تُدرّس إلى الآن.

ومع قدم جذور هذه اللفظة في الثقافة العربية من حيث النطق، فإن استخداماتها الحديثة والمعاصرة كمصطلح ذي أهمية، له قيمته المتزايدة التي تدخل بمعانيها إلى دائرة الكلمات الاصطلاحية، والتي تشير حقولها الدلالية إلى معان وافدة، أوسع من تلك التي اكتسبتها من الثقافة

العربية، فما يقصد بالمصطلح (خطاب)؟ هو نوع من الترجمة أو الاستعارة لمصطلح Discourse في الانجليزية ونظيره Discours في الفرنسية أو Diskurs في الألمانية⁽¹⁾.

أما على صعيد التعاريف الحديثة فالخطاب عرف اضطرابا وتذبذبا في المفهوم، نظرا لارتباطه بتصورات ومشارب مختلفة للغة، أسهمت في تحديده، وبلورت كيانه، إذ هناك من قام بربطه بالنص، وهناك من يربطه بالملفوظ وهناك من ميزه عن اللغة التي تشكل نظاما لمجموعة من القيم المفترضة، وهو بذلك استخدام وإعمال للغة ضمن سياق مخصوص، وهو التحديد الذي يقترب من تمييز دي سوسير De Saussure في إحدى ثنائياته بين اللغة والكلام، وفي هذا يرى ج. ديويو J.Dubois في تعريفه للخطاب على أنه: اللغة أثناء استعمالها، إنها اللسان المسند إلى الذات المكتملة، وهو بذلك مرادف للكلام بالمفهوم السوسيري⁽²⁾.

وعلى العموم فقد بدأ هذا المصطلح يرتسم في مناخه الدلالي بعد ظهور كتاب (فرديناند دي سوسير) "محاضرات في اللسانيات العامة" على يده ويد كل من تعامل به شارحا أو دارسا، فعرفه سعيد يقطين بأنه: اللغة في طور العمل أو اللسان الذي تنجزه ذات معينة، كما أنه يتكون من متتالية تشكل مرسلتها بداية ونهاية،⁽³⁾ وعلى هذا الأساس يرى جابر عصفور أن الخطاب ليس تجمعا بسيطا أو مفردا من الكلمات، أو الكلام بالمعنى الذي قصد إليه دي سوسير، ولا ينحصر معناه في تلك القواعد المنظمة والضابطة للنسق اللغوي فحسب، بل هو أبعد من ذلك، إذ إنه ينطوي على العلاقة البينية التي تصل بين الذوات المتكلمة، ويكشف عن المجال المعرفي الذي ينتج وعي الأفراد بعالمهم، وتوزع عليهم المعرفة المبنية في منطوقات خطابية سابقة التجهيز والتحضير⁽⁴⁾، حيث تجمع بين الفكرة والمنطوق والانسجام الحاصل بين المتخاطبين.

¹- ينظر: جابر عصفور: آفاق العصر، ط1، دار الهدى للثقافة والنشر، سوريا - دمشق، 1997 ص 97.

²- ينظر: عمر بلخير مقالات في التداولية، الأمل للطباعة والنشر، 2013، تيزي وزو، ص 10.

³- ينظر: سعيد يقطين: تحليل الخطاب الروائي ط3 المركز الثقافي العربي، بيروت-الدار البيضاء 1997 ص 2.

⁴- ينظر: جابر عصفور: آفاق العصر، ط1، دار الهدى للثقافة والنشر، دمشق، 1997، ص 49.

أما تعريف الخطاب بوصفه ملفوظاً، فيرى ابن ظافر الشهيري أنه يمثل نقطة التقاطع بين منهجين البنية والوظيفة، وهنا يتخذ من الجملة أساساً له ولكن بمفهومها العرفي التجريدي، بوصفها متتالية من الكلمات، دون إغفال عن اعتبار السياق، أي إنّ الخطاب ينطلق من الجملة بمفهومها التلفظي في السياق⁽⁵⁾ الذي يضطلع بأدوار كبيرة في عملية التفاعل الخطابية، باعتبار أن الخطاب ممارسة إجرائية تداولية في سياق معلوم، مما يحول دون ثبات سماتها وضبط كنهها، فالمرسل متجدد ومتغير، وكذلك المرسل إليه، كما أنّ عناصر السياق هي الأخرى متغيرة دوماً، وهذا وجه تسميتها بعناصر سياق الخطاب.⁽⁶⁾

1-2 تحليل الخطاب:

طالما أنّ الخطاب في مفهومه العام هو "وحدة لغوية أو إشارية، أو هما معا" بتركيب لغوي يشترط فيه التماسك والانسجام، يحمل دلالة يمررها مرسل إلى مخاطبه، بغية إبلاغه معلومة ما، أو التأثير فيه عقلياً أو وجدانياً أو سلوكياً، ولكن هذا الأمر لا يتيسر لكل الناس، كما أنّ الخطاب باعتباره إنتاجاً لغوياً لا يمكن أن يفصح عن كل ما فيه، لذا فهو يحتاج إلى تحليل، فماذا نعني بتحليل الخطاب؟

يُعرف جورج مونا (Georges Mounin) تحليل الخطاب "بأنه: كل تقنية تسعى إلى التأسيس العام والشكلي للروابط الموجودة بين الوحدات اللغوية للخطاب المنطوق أو المكتوب، في مستوى أعلى من مستوى الجملة"⁽⁷⁾، وفي هذا الإقرار بوجود مستوى أعلى من مستوى الجملة، إحاء ودلالة على صعوبة فهم الخطاب بالبساطة التي تقرأ بها جملة أو لفظة بسيطة، فالعناصر الخارجية غير اللغوية هي ما يعقد فهم الخطاب، الأمر الذي يحتم اللجوء إلى تحليل للخطاب بوسائل لغوية وغير لغوية، في ضوء مناهج علمية منها التداولية، وقد وجدت

⁵ - ينظر: عبد الهادي بن ظافر الشهيري، استراتيجية الخطاب، كنوز المعرفة، ط3، عمان 2015، ص75.

⁶ - ينظر: المرجع نفسه، ص76.

⁷ - عمر بلخير، مقالات في التداولية والخطاب، مرجع سابق، ص10.

لتحليل الخطاب مدارس، منها المدرسة الفرنسية، التي قامت على أيدي مجموعة من اللسانيين أمثال ألتوسير Althusser، ولاكان J.Lacan، وميشال بيشو M.pecheux، وديبوا J.Dubois، وقد شكلت هذه المجموعة نواة لدراسة الخطاب السياسي كخطوة أولى، وقد اعتمدوا فيها على اللسانيات البنوية ونظرية الأيديولوجيا المستوحاة من إعادة قراءة الفيلسوف الفرنسي ألتوسير لكارل ماركس (8).

1-3 الخطاب السياسي:

لا يتمكن الفاعل السياسي، فرداً كان أم حزباً أم دولة، من التعبير عن أفكاره واستراتيجيته وبرنامجه، من دون خطاب فعال ومقنع، يؤثر في الجمهور فكرياً وعاطفياً؛ وليس الخطاب السياسي مجرد كلمات أو تراكيب لغوية، إنما هو أجندة سياسية ورؤية استراتيجية ومشروع أخلاقي، يعكس التكوين القيمي لصانعه، وخلفيته الثقافية، ويؤدي أدواراً سياسية واتصالية ومعنوية في المجتمع، ويلعب الخطاب السياسي والإعلامي دوراً في صناعة الوعي، وبناء المعنى في المجتمع، فمن تحليل نصوصه يمكن فهم سياسات النخبة وثقافة المجتمع؛ إذ إنَّ الخطاب يصف بمفاهيمه اللغوية واقعاً وسياقاً معيّنين، ويتأسس فيه بالضرورة معنى أو عدة معانٍ يراد إيصالها إلى المتلقي (9)؛ للخطاب السياسي قدرة على إحداث تواصل ناجح مع المتلقي يتوقف على نيته قدرماً من الرضى الجماهيري من خلال الإقناع والمحااجة.

يعد الخطاب السياسي من أقوى المؤثرات الخطابية - بشكل مباشر - في عقول الجماهير، إذ تعتمد فاعليته وقوة تأثيره على قدرة القيادات السياسية على صياغة الأهداف، والقرارات وطريقة شرحها، والقدرة على بيان النوايا والاتجاهات التي تعمد إليها الدولة، بشكل سلس ومقبول يتسرب إلى عقول الناس ضمن جمل مؤثرة، والخطاب كما عرفه "أرسطو" بأنه: القدرة على النظر في كل

⁸ - ينظر: عمر بلخير، مقالات في التداولية والخطاب، مرجع سابق، ص 22.

⁹ - ينظر: همام طه، جريدة العرب - الجمعة 20 يناير 2017 العدد 10518 السنة 39، ص 6.

ما يوصل إلى الإقناع في أي مسألة من المسائل، وعرفه ابن رشد بأنه قوة تتكلف الإقناع الممكن في شيء من الأشياء، ويكاد يُجمع على تعريفه بين الباحثين بأنه: نوع من فنون الكلام في السياسة والقيادة، غايته إقناع السامعين واستمالتهم، والتأثير فيهم بصواب قضية أو بخطأ أخرى⁽¹⁰⁾، مثل: ما حدث بين سلطة تصريف الأعمال وبين الرافضين لوجودها باعتبار معظم أفرادها كانوا موالين لمن خرج الشعب ضده، وبالتالي لا يمكن لمن اعتبره الشارع فاسداً أن يقوم بالإصلاح، وعليه أن يتنحى، فرّج هؤلاء المغضوب عليهم بين الجماهير أنّ التنحي شر وخطر على أمن البلاد، وها نحن نراهم قد تنحوا اليوم ولم يحدث شيء مما ادعوه، بل قد مُلئت السجون بهم.

وعُرف الخطاب السياسي أيضاً بأنه فن يُقندر بقواعده على مشافهة الجماهير بفنون القول المختلفة لإقناعهم واستمالتهم⁽¹¹⁾، بغرض التعبئة أو كسب الولاءات، والخطاب ضرورة اجتماعية تفرضها الظروف، ويعبر عن المجتمع بوجه عام، وكل الأمم في حاجة إليها، بل إن المواقف المجيدة في تاريخ الأمم مدينة للخطباء الذين عبروا عن قضاياهم أصدق تعبير، وأثروا في مجتمعاتهم أعظم التأثير، ومع أن الخطاب أنواع كثيرة يبقى أهمها وأخطرها الخطاب السياسي، لأنّه به تُساس الأمم وتُبنى الدُّول والحضارات.

4-1 سمات الخطاب:

للخطاب مجموعة من السمات، لا يخلو منها، وتكاد تكون من مقوماته، وهي: ⁽¹²⁾
 1. الخطاب وحدة لغوية أشمل من الجملة، فهو تركيب من الجمل المنظومة طبقاً لنسق مخصوص من التأليف.

¹⁰ - ينظر: إيناس ضياء مهدي، تحليل القوى الاستراتيجية المؤثرة في الخطاب، مجلة الأستاذ العدد 200، لسنة

1433هـ-2012م، ص 900.

¹¹ - ينظر: المرجع نفسه، ص 901.

¹² - ينظر: عبد الكريم ابزاري، جدلية السلطة والخطاب حجج السلطة وآلياتها القهرية، ضمن كتاب: الكتابة والسلطة

(مؤلف جماعي)، تنسيق عبد الله بريمي وآخرون، كنوز المعرفة، ط1-2015-عمّان، ص 552

2. الخطاب نظام من الملفوظات، والتأكيد على المظهر اللفظي للخطاب يتحدد أصلا من خلال اشتغال اللسانين حول الكلام بوصفه مظهرا لفظيا خاص بالفرد وكونه أكثر المظاهر الإشارية تعبيرا عن اللغة المعتمدة كقاعدة معيارية.
3. مصدر الخطاب فردي وهدفه الإفهام والتأثير.
4. على متلقي الخطاب أن يستشف المقصد الذي ينطوي عليه، وأن يتمثل الرسالة الدلالية التي تكمن فيه، لكي تكتمل دائرة الاتصال والتواصل.
5. هناك علاقة جدلية بين الخطاب السياسي والواقع الأنتروبولوجي تفرض نفسها بكل إلحاح على منتج الخطاب لكي يكون هذا الخطاب تشاركيا وتفاعليا بدرجة أولى، وإقناعيا بدرجة ثانية.
6. توظف الاعتبارات الدينية والإثنية والعرقية والمعرفية استحضارا للمقومات الثقافية لتأثير فضاء الخطابات السلطوية ذات الطابع السياسي.

1-5 مفهوم السلطة وتلون الخطاب:

إن مفهوم السلطة في بعدها السياسي، تعني التسلط والتحكم، وتتجلى في قوانينها الموضوعية لحفظ مصالح السلطة الحاكمة، بكل الوسائل الإقناعية بل وحتى القمعية، لتوجيه وتأطير الرأي العام، وتغيير وجهته إن تحتم الأمر، وجعله مطيعا راضخا، أما في مفهومها الاجتماعي، فتعني قدرة شخص معين أو منظمة أو هيئة، على فرض أنماط سلوكية لدى الآخرين، وفرض أمر ما - كما هو معلوم- يقتضي الاستعانة بآليات داعمة لهذا الغرض، ويستوجب على المستهدف من السلطة أن يستجيب دون مقاومة للإملاءات السلطوية،⁽¹³⁾ فالسلطة إذن هي قدرة الأشخاص والمؤسسات على مراقبة سلوك الآخرين وحياتهم اليومية والاجتماعية، وبالمقابل فعلى الآخرين الإذعان في شكل طوعي عن قناعة أو غيرها فذلك الإذعان يعد من "الواجبات" وبناء على ذلك كله يتلون الخطاب وفق نوع السلطة ليكون أحد آلياتها الخادمة لها.

¹³ - ينظر: عبد الكريم ابزاري، جدلية السلطة والخطاب حجج السلطة وآلياتها القهرية، مرجع سابق، ص 548.

1-5-1 خطاب المغالطة والهيمنة:

لا تخلو الخطابات السياسية من أساليب المغالطة، يعتمد عليها السياسي لإقناع المتلقي وإيهامه بصدق ما يقول، ولا غرابة في ذلك فعلى كل المستويات الحياتية نجد المجتمعات في خصاصة لا تنتهي لكثير من متطلبات العيش، بينما الخطاب السياسي دوماً يصور للمتلقي بأنّ الحلول ممكنة وهي في يد السلطة، لذا يرى فان دايك أن الدراسات النقدية للخطاب هي حركة علمية مهمة تحديداً بتكوين النظرية والتحليل النقدي للخطاب الذي يعيد إنتاج سوء توظيف السلطة وعدم المساواة الاجتماعية فالمهمة المركزية لدراسات الخطاب النقدية تكمن في دراساتها التفصيلية لمفهوم السلطة الذي يعد مفهوماً معقداً وغامضاً، وليس من المفاجئ أن نجد عدداً كبيراً من البحوث تركز على أبعاد السلطة ذات الصلة المباشرة بدراسة اللغة والخطاب والاتصال، وذلك من خلال التحليل النظري التفصيلي لترتيب أو ترتيب أو ضمير أو عنوان أو موضوع أو مفردة معجمية أو استعارة مجازية، أو زاوية كاميرا أو لون من الألوان، أو غيرها من الخصائص العلاماتية والإبداعية للخطاب، بشيء مجرد وعام، مثل: علاقات السلطة بالهيمنة في المجتمع،⁽¹⁴⁾ ويمكن القول إنّ اهتمام الدراسات النقدية للخطاب السياسي " تركز على أشكال الهيمنة التي تؤدي إلى عدم المساواة الاجتماعية، والظلم ويتطلب هذا المفهوم المعياري (سوء توظيف السلطة شيء سيء) تحليلاً موافقاً للمفاهيم والمعايير القياسية الأخرى للعلوم الاجتماعية، مثل الشرعية، التي تقوم على مسلمات من الأخلاقيات التطبيقية والفلسفة الأخلاقية"⁽¹⁵⁾.

وكي نمثل لذلك الخطاب السلطوي المهيمن، نسوق بعضاً مما جاء في نص رسالة عبد العزيز بوتفليقة -والتي قد تكون منسوبة إليه-، الرئيس السابق للجزائر، بمناسبة الندوة الوطنية للحكومة والولاية، قبل الحراك الشعبي الذي قام في 22 فبراير 2019، بثمانين يوماً وهو ما نصه: " من الطبيعي اليوم أنّ تستهدف الدوائر المتربصة والخلايا الكامنة استقرار البلاد، وتتكالب عليها،

¹⁴ - ينظر: توين فان دايك، الخطاب والسلطة، تر: غيداء العلي، المركز القومي للترجمة، 2014، القاهرة، ص 29-30.

¹⁵ - المرجع نفسه، ص 30.

قصد تثبيط همّتها، والنيل من عزيمة أبنائها، فما نلاحظه من مناورات سياسية، مع اقتراب كل محطة حاسمة، من مسيرة الشعب الجزائري، إلا دليل واضح يفضح هذه النوايا المبيّنة، التي سرعان ما تختفي بعد أن يُخيب الشعب الأبّي سعيها. " (16)

فإذا وضعنا الخطاب آنف الذكر في سياق الزمكاني، فنجده قد أُلقي بتاريخ: الأربعاء 28 نوفمبر 2018، بنادي الصنوبر، في حضرة أعضاء الحكومة والولاية تحت مسمى (ندوة وطنية)، والتي كان هدفها تعبئة وتهيئة الرأي العام لترسيم الخطوط العريضة من أجل المضي في شوط جديد من الممارسة السياسية والسلطوية لخط النظام القائم دون سواه وللرجل الحاكم دون غيره، ويمكننا -هنا- تحليل الكلمات المفاتيح لجزئية مهمة من نص الخطاب، والتي نستطيع القول أنها الخطاب في حد ذاته، إذا استثنينا فقرات معهودة وروتينية تقال في كل مناسبة أو محفل.

¹⁶ - ينظر: الملحق، النص الكامل لرسالة الرئيس السابق عبد العزيز بوتفليقة بمناسبة الندوة الوطنية للحكومة والولاية، رابط الرسالة ضمن موقع وكالة الأنباء الجزائرية الرسمية:

المرسل	المتلقي	الحجج	القوة الإنجازية
<ul style="list-style-type: none"> • رئيس • الجمهورية • الحكومة • الولاية • الشعب 		<ul style="list-style-type: none"> - الدوائر المتربصة. - الخلايا الكامنة. - تستهدف استقرار البلاد - وتتكالب عليها. - تثبيط همتها. - النيل من عزيمتها - أبنائها - مناورات سياسية. 	<p>إيهام بقصد التخويف للتعبئة وشحذ الهمم.</p>
		<ul style="list-style-type: none"> - محطة حاسمة. - مسيرة الشعب الجزائري 	<p>-تغريب ومغالطة للتعبئة</p>
		<ul style="list-style-type: none"> - دليل واضح يفضح النوايا المبيتة. - سرعان ما تختفي. - يخيب الشعب سعيها. - الشعب الأبوي. 	<p>-كذب ومزايدة لتحقيق الإذعان بالدعاية.</p> <p>-طمأنة مؤجلة للتلطيف.</p> <p>-تطمين مؤجل للتلطيف.</p> <p>-مدح بقصد للتعبئة.</p>

إذن محدّدات القوة الإنجازية ضمن هذا المقطع من الخطاب، تكمن في ترتيب كلمات وأفكار الخطاب نفسه، حين عمد إلى الحديث عن عنصر الاستقرار والأمن، وتصوير الأيدي الخارجية والأعداء المتربّصة بالوطن بغية شد انتباه السامع إلى ما سيلبي ذلك، ألا وهو الانتخابات الرئاسية القادمة التي تمت الإشارة إليها بعبارة "المحطة الحاسمة"، وكذلك مما حدّد القوى

الإنجازية هو الحجج التي تم استخدامها في هذا الخطاب والمذكورة في الجدول أعلاه، وتكرار بعضها من أجل تأكيد وزيادة شدة قوة إنجازية دون أخرى، دون أن نغفل طريقة إلقاء المتحدث بلسان الرئيس آنذاك، الأمين العام "حبة العقبي"، من نبر وتنغيم وشدة الصوت حين الإلقاء، فالسامع للخطاب ليس كمن يقرأه مكتوباً؛ والهدف من حشد هذه الحجج واضح وهو ممارسة سلطة الإقناع على الولاة ثم الشعب من أجل التحضير والإعداد للانتخابات التي كان صاحب الخطاب (إن صحّ هذا، باعتباره كان في حالة صحية سيئة جداً) أحد مترشحيها.

1-5-2 سفسطة الخطاب المغالط:

إذا كانت السفسطة تعني الحكمة خلال العهد اليوناني⁽¹⁷⁾، وعُدّ السفسطائي حكيم عصره آنذاك، فإن السفسطة اليوم مجرد ادعاء المعرفة لغاية معلومة، وقد نجد هذا بكثرة في المجال السياسي، ليس شذوذاً بل تخطيطاً يُعمدُ إليه من أجل الإقناع والتأثير، لذلك يوصف الخطاب المبني على مغالطة المتلقي بالسفسطائي، وسفسطائية الخطاب ضروب وفنون تستخدم كلّها أو بعضها في الخطابات السياسية، وعلى رأسها الخطاب المكرس في البلدان المتخلفة عن ركب التنمية والتحضر، والمخطط التالي يكشف هذه الضروب أو الأنماط.

¹⁷ - ينظر: الراضي رشيد، الحجج والمغالطة، دار الكتب الجديدة المتحدة، 2010، بيروت/ بنغازي، ص 17.



واعتمادا على المشجر المبين أعلاه نستطيع أن نسوق نماذج تمثيلية من الخطاب السياسي الموجه نحو المجتمع الجزائري، فمثلا:

- 1- سفسطة التجريح: Against the man: التي طالت كل معارض في نظر السلطة السابقة، فردا كان أم حزبا أم جمعية، إذ تم وصفهم بمسميات مختلفة ك: (الخونة، المهتدين لأمن البلاد، الزواف...)، وهو تجريح يؤول مباشرة إلى الخطاب المهين العنصري.
- 2- سفسطة الخبير Appeal to authority: ومنها قول الرئيس السابق على لسان الناطق باسمه: "أهيب بكم أن تجعلوا من لقاءكم السنوي هذا، فضاء لتصور أجدى السبل المؤدية إلى بلوغ الأهداف وتصويب السياسات وفق هذه المستجدات ولتقييم تنفيذها تقييما دقيقا دوريا، بعيدا عن المعالجات السطحية المناسباتية أو فلسفة المحميات القطاعية والبيروقراطية التي باتت تعوقنا عن المضي قدما في أعمالنا"⁽¹⁸⁾ وفيه ادعاء الخبرة وعلاج المشاكل ومعرفة أسبابها.
- 3- سفسطة المآل Consequences of Belief: لها علاقة هي الأخرى بمفهوم الخبرة، ومنها قوله: "إنّ المساس باستقرار مؤسسات الدولة هو مساس بالدستور، وبركن من أركان هذا البيت الحصين الذي يجمعنا ويؤمننا من كيد الكائدين، لذلك فمن واجب الجميع الالتفاف حول مؤسسات الجمهورية والذود عنها ومواجهة كل محاولة لاستغلالها من أجل قضاء مآرب آثمة أو النيل من استقرارها."⁽¹⁹⁾ وفيه ادعاء بمعرفة الأمور والاطلاع على خفاياها وما تمثله من خطر داهم وإلى أين ستؤول.

¹⁸ - ينظر: الملحق، النص الكامل لرسالة الرئيس السابق عبد العزيز بوتفليقة بمناسبة الندوة الوطنية للحكومة والولاية، رابط الرسالة ضمن موقع وكالة الأنباء الجزائرية الرسمية:

<https://www.aps.dz/ar/algerie/63193-2018-11-28-10-17-53>

¹⁹ - المرجع نفسه.

4- **سفسطة العاطفة Appeal to Emotion**: وتمثل كل خطاب يُجرح فيه إلى تعجيش المشاعر وتهيج العواطف تجاه الوطن لكسب تأييد الجماهير، وإمالتها لصالح المرسل، مثل قوله: "إنّ التثام جمعكم، في لقاءكم السنوي هذا جاء متزامنا مع احتفالات شعبنا بذكرى انتفاضته التاريخية ضد المستعمر وخوضه غمار حرب تحريرية من أجل استرجاع حرته وكرامته، تلك الحرب التي كان لنا شرف المشاركة فيها إلى جانب إخوان كرام أشاوس، منهم من قضا نحبهم ونالوا الشهادة ومنهم من واصلوا مسيرة التحرير إلى أن بلغوا غايتهم"⁽²⁰⁾، حيث إنّ استحضار المحطات الحاسمة التي خاض غمارها الوطن يثير العواطف، ويجعل المتلقي يلين ويتخلى عن مواقفه شيئا ما.

5- **سفسطة الاسترحام Appeal to Pity**: عمدت إليها الخطابات غير الرسمية من الفئات الداعمة لمنظومة الرئيس السابق، وقد جاءت مرارا على ألسنتهم كلما سُئِلوا عن صحته، فكانت ردودهم تثير الإشفاق عليه، وتبينه ذلك المضحى بصحته ونفسه من أجل الشعب والوطن، مع كونه في كامل قدراته العقلية.

6- **سفسطة السخرية Appeal to Ridicule**: وتعني الخطابات التي تزدرى الجماهير وتحتقرها إمّا احتقارا بواحا، أو احتقارا ضمنيا مثل: قول الأمين العام لحزب جبهة التحرير الوطني في عهدة الرئيس السابق في أحد حواراته: "الرئيس يقولك أنا نتمتم وأنت افهم"، أو قوله: "نحن نساند بوتفليقة حتى سنة 2034"، أو قول رئيس حكومة سابق: "جوع كلبك يتبعك"، وليس على الشعب أن يأكل "الياغورت"، أما خطابات رئيس الحكومة المعروف بتهريجه فكّلها ساخرة ولم يكن فيها جدّ قط.

7- **سفسطة الإغاظة Appeal to Spite**: من نتائج الخطابات المحقرة والساخرة من المتلقي أنها تثير الغيظ لديه، وتجعله يتوتر ولا يدري كيف يتصرف حيث يقول الرئيس السابق: "إن البعض يختزل رهانات الحاضر والمستقبل في تغير وتعاقب الوجوه والأشخاص، وهم يروجون

²⁰ - الملحق، النص الكامل لرسالة الرئيس السابق عبد العزيز بوتفليقة بمناسبة الندوة الوطنية للحكومة والولاية.

لهذا التوجه لحاجة في نفس يعقوب⁽²¹⁾، ومنها ما يحدث خلال المناظرات بين شخصيتين، حول قضية ما كبرنامج الاتجاه المعاكس لقناة الجزيرة، الذي يؤول في كثير من الأحيان إلى تبادل الشتائم والتهجمات بين الطرفين المتناظرين.

8- **سفسطة العصا (التخويف) Appeal to Fear**: هو الفن الخطابي الفريد الذي يتقنه الحكام المتسلطون، حيث جاء في رسالة الرئيس السابق: "إنّ المغامرین، الذين يسوقون لثقافة النسيان والنكران والجحود، لا يمكن أن يكونوا أبدا سواعد بناء وتشبيد، فهم يخفون وراء ظهورهم معاول الهدم التي يسعون لاستخدامها من أجل الزج بالبلاد نحو المجهول." (22) دعوة تخويفية من المجهول، الذي ستؤول إليه البلاد مع غيره، وقوله: "إنّ هذه الممارسات هي أخطر ما ينخر مجتمعنا من أمراض وأعظم التحديات التي تواجهها بلادنا في الوقت الراهن، والتي لا يمكن التسامح معها بل يقتضي الواجب من كلّ منكم محاربتها بكل ما أوتيتم من قوة وقدرة على الردع، ولكم مني كل الدعم" (23)، وفيه دعوة إلى محاربة الآفات (رشوة-بيروقراطية-فساد)، لكن أشار إليها المرسل -وهي عكس التخويف- لرهن الآمال وشدّها إلى العمل على إبقاء السلطة القائمة، وفي هذا تخويف من الآفات ومضارها.

هذه نماذج من الخطاب المغالط الذي تمارسه السلطة، والذي نجد له أمثلة كثيرة في خطابات رئيس الجمهورية السابق، خاصة تلك التي قرأت من قبل ممثلين عنه خلال العهدة الرابعة من حكمه.

1-5-3 السلاالم الحجاجية في الخطاب (الأنموذج):

نستنتج من خلال النشر المفصل للمقطع الخطبي أنّ الألفاظ والجمل كانت منتقاة بدقة متناهية، ومتسلسلة بمنطق هادف في اتجاه واحد، اتجاه متزايد في القوة التأثيرية أو الإقناعية

²¹ - المرجع نفسه.

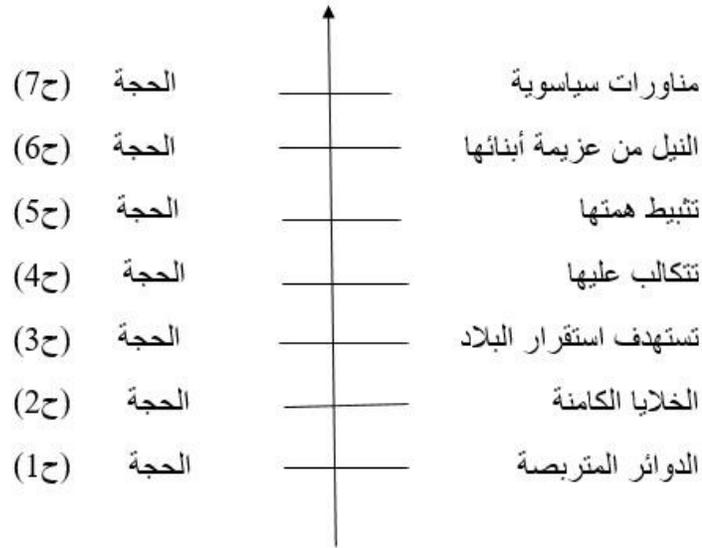
²² - الملحق، النص الكامل لرسالة الرئيس السابق عبد العزيز بوتفليقة بمناسبة الندوة الوطنية للحكومة والولاية.

²³ - المرجع نفسه.

مشكلة (سَلْمًا حجاجيا)، توهم المتلقي بوجود عدو متربص في شكل (خلايا كامنة)، غايتها الإخلال (باستقرار البلاد)، وهو في أوج درجات العداء (تتكالب عليها)، يرمي فيما يرمي إليه إلى (تثبيط الهمم والنيل من عزيمة أبناء) الوطن، وهنا يتضح بأن التهويل الذي مارسه المرسل في خطابه كان من أجل التخويف وجعل المتلقي في حالة من التشكيك والذعر والإذعان الكلية، والعدو المزمع هنا هو عدو مجازي يقصد به جهة وهمية داخلية مصطنعة، مسخوط عليها وغير مرغوبة تريد أن تستأثر بالسلطة، ومن أجل ذلك يقصد المرسل إعادة (الهيمنة على الشعب) بالأفعال اللغوية، بأسلوب يعمد إلى المغالطة لتحقيق الهيمنة وتجسيد السلطة السيئة، ومن الحجج التي يقيمها المرسل على نفسه في خطابه المغالط هو إضافته الحجة السابعة والأخيرة في المقطع عندما يقول: "فما نلاحظه من مناورات سياسية مع اقتراب كل محطة حاسمة ... " (24)

النتيجة (ن) التأثير بالتخويف من المصير الأمني

والترغيب في الاستقرار والاستمرارية



خطاب الرئيس (جزء متعلق بالجانب الأمني)

الشكل - السَلْم الحجاجي الممثل لمدخل الخطاب

²⁴ - الملحق، النص الكامل لرسالة الرئيس السابق عبد العزيز بوتفليقة بمناسبة الندوة الوطنية للحكومة والولاية.

فهو يقصي غيره من المنافسين السياسيين، بألفاظ مخلة بمقام السياسي (مناورات سياسية)، فما يمارسه المخاطب بيديه كأنه الحق كل الحق (منافسة شريفة وتعبئة جماهيرية لازمة)، بينما ما يفعله ويقوم به الآخر فهو مجرد مناورات سياسية، و"المناورة" كما هو معلوم مصطلح مستعار من المعجم الحربي، ليبين أن خصومه في الساحة أعداء ليس إلا، ويضيف إليها مصطلح "سياسوية": (السياسة) نزعة تعبر عن العُلُوّ السياسيّ ، أو تغالي في إضفاء وتغليب الطابع السياسيّ على الأمور، والغالب أن من ينعت بالسياسوي هو ذلك الذي يجهل أبجديات السياسة، أو هو عالة على العمل السياسي، بمعنى أن غيره ليسوا أهلاً للسياسة، وهم عالة على أهلها الحقيقيين (نحن).

وقوله أيضاً: " إنه من واجبكم اليوم، أنتم أيتها السيدات والسادة الولاة والمنتخبون، أن تتحلوا باليقظة وأن تدأبوا في عملكم من أجل تمكين الشعب من ممارسة سيادته ومواصلة مسيرته، إنَّ البعض يختزل رهانات الحاضر والمستقبل في تغير وتعاقب الوجوه والأشخاص، وهم يروجون لهذا التوجه لحاجة في نفس يعقوب، لكن أنتم من تعملون في الميدان وتغالبون التحديات الأمنية والاجتماعية والاقتصادية يوميا، أكثر الناس دراية بأن الرهان يتجاوز ذلك بكثير." (25)

²⁵ - الملحق، النص الكامل لرسالة الرئيس السابق عبد العزيز بوتفليقة بمناسبة الندوة الوطنية للحكومة والولاة.

القوة الإنجازية	الألفاظ الخطابية	المتلقي	المرسل
- تكليف ومغالطة للتعينة. - تحسيس بخاطر داهم. - لفت الهمم نحو العمل. - الحث على النزول للميادين. - الإيهام بوجود تحديات مقبلة لا بد من مغالبتها.	- من واجبكم اليوم - أن تتحلوا باليقظة - أن تدأبوا في عملكم - تعملون في الميدان - تغالبون التحديات - أنتم أكثر دراية بالرهان	الولاية والمنتخبون	رئيس الجمهورية
--	* مجمل ما يبطنه الخطاب هو عدم التفریط في الحكم ككل استحقاق، والعمد إلى الكتب والمزيدة في التليس لتحقيق الإذعان بالدعاية، وخذاع الشعب. * السند المحاجج به في الخطاب بغية الوصول إلى الأهداف المرسومة والمخطط لها هو: [إن البعض يختزل رهانات الحاضر والمستقبل في تغير وتعاقب الوجود والأشخاص، وهم يروجون لهذا التوجه لحاجة في نفس يعقوب،]		

ففي هذه الفقرة من الخطاب نفسه يتجسد سلّم حجاجي جديد، مُشكل من مرصوفة من الكلمات المتراسة، والمعطوفة على بعضها بعضاً، تنطلق من جملة (أنتم... من واجبكم) مروراً بسلسلة من الجمل الفعلية المشحونة بالواجبات المفترض القيام بها والمشتراط تنفيذها (من طرف الولاية والمنتخبين).

والواجبات كما تتجلى في السلّم الحجاجي، تؤدي لا محالة إلى صرف النظر مطلقاً عن البحث عن سلطة بديلة، وإقناع المتلقي بكفاية السلطة القائمة وأحققتها بالبقاء في مركزها، صونا للمنجزات ودفاعاً عنها، وحتى تقنع (الولاية والإطارات المركزية والأعوان الأكفاء والمنتخبين)

انطلقت من تبجيلهم جميعا بكامل الأوصاف والخصال: (إنكم، أنتم الولاة والإطارات المركزيين والمنتخبين، وإلى جانبكم الآلاف من الكفاءات والأعوان العاملين في الميدان، أنتم الذين تضطلعون بخدمة بلادكم وشعبكم).

لتجعل منهم جزءا لا يتجزأ من السلطة القائمة والفاعلة، بعد أن أعطى المرسل مرتبة الشرف لنفسه أولا حينما قال: (تلك الحرب التي كان لنا شرف المشاركة فيها إلى جانب إخوان كرام أشاوس، منهم من قضوا نحبهم ونالوا الشهادة ومنهم من واصلوا مسيرة التحرير إلى أن بلغوا غايتهم)، وذلك حتى يعطي لنفسه السبق والشرعية الثورية اللذان يساعده على حكم البلاد، بعد أن يتقوى بمن اختارهم في عصبته، ويجزل لهم بالعرفان، كما في قوله: (إنّ العقدين المنصرمين من حياة أمتنا لم يكونا هينين، ولقد كان للعديد منكم شرف مرافقتي في هذه المسيرة في مختلف مستويات المسؤولية وأبليتكم البلاء الحسن وقمتم بتضحيات وإنجازات عظام).

وهو المبرر الذي يجعله يتشبث بمركزه مستعينا بجمهوره الذي يخاطبه كلما احتاج إلى تعبئة أو مدد شرعي، فيلجأ ككل مرة إلى التحذير من عدو يراه هو ولا يراه الشعب (من الطبيعي اليوم أن تستهدف الدوائر المتربصة والخلايا الكامنة استقرار البلاد وتكالب عليها قصد تشييط همتها والنيل من عزيمة أبنائها، فما نلاحظه من مناورات سياسية مع اقتراب كل محطة حاسمة من مسيرة الشعب الجزائري إلا دليل واضح يفضح هذه النوايا المبيتة التي سرعان ما تختفي بعد أن يُخيب الشعب الأبى سعيها).

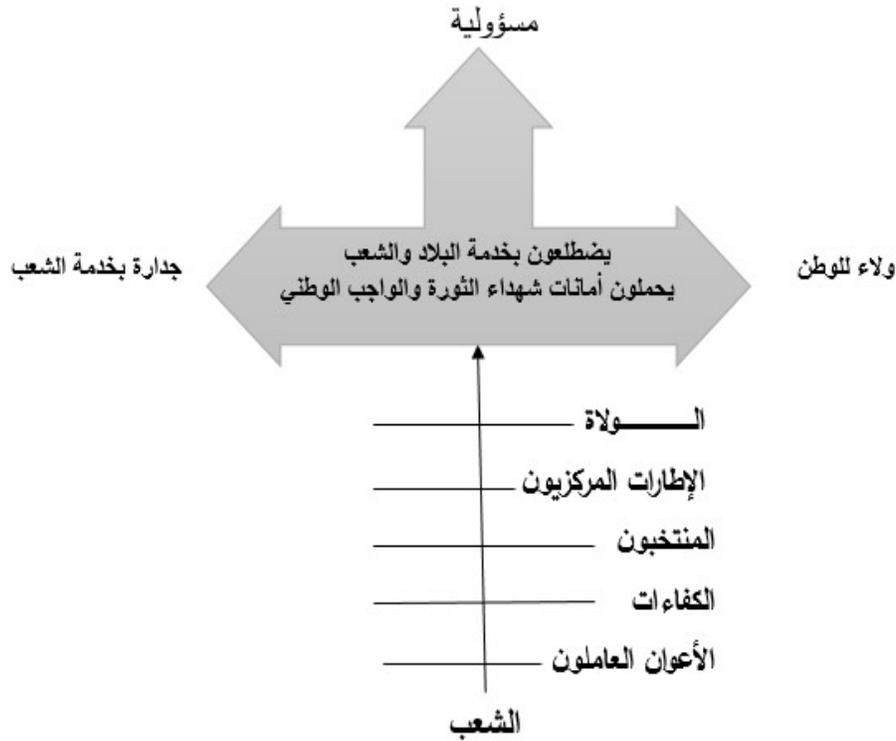


فالملاحظ من خلال الخطاب الموجّه لفئة (الولاة والمنتخبين) أن الفئة المستهدفة بالانتقاص والذم، لم تكن أبدا المعارضة الصورية والفئات التي ظلت تضفي تمويهها شكليا على البنية السياسية في الجزائر، ولكن كان الخطاب موجها للقلّة المناوئة والمعارضة الحقيقية التي يخشى جانبها، بذريعة أمن البلاد تارة أو التخوين والعمالة تارة أخرى، هي تلك الثلة التي برزت جلية في الحراك والثورة على الفساد واللاشرعية السياسية، والتي استطاعت أن توسع الوعي لدى شرائح هائلة من أفراد المجتمع لا سيما الشباب المتعلم الذي ما لبث أن بدأ يكتشف خيوط التلاعبات السياسية التي مورست للهيمنة على السلطة والحكم.

ومحل الشاهد من الخطاب المائل هو قوله: "إنكم، أنتم الولاة والإطارات المركزيين والمنتخبين، وإلى جانبكم الآلاف من الكفاءات والأعوان العاملين في الميدان، أنتم الذين

تضطلعون بخدمة بلادكم وشعبكم، وتحملون على عاتقكم أمانة الشهداء الثورة وشهداء الواجب الوطني.

إنكم اليوم مجتمعون في الموقع الأكثر رمزية، والأكثر دلالة على معاني المسؤولية والولاء للوطن والجدارة بخدمة شعبكم من حيث أنكم أساس بناء جزائر العزة والكرامة."



هذا المقطع من الخطاب الذي جسده في سلم حجاجي - كما هو مبين أعلاه - يبرز مدى اعتماد السلطة على فئات معينة وفاعلة لها قدرة على التأثير، بدءاً من الولاية وانتهاءً عند الأعوان العاملين.

والذي لا يجب أن يخفى - هنا - هو الفئة المغيبة التي تضم كل الشرائح غير الإدارية التي ليس لها علاقة مسؤولية مباشرة بالصناديق والانتخابات، ونذكر منها قطاعات التعليم العالي والبحث العلمي، والتربية والتعليم، والصحة، والخدمات الاقتصادية والمالية (عمال البريد والبنوك) والشركات التجارية

والاقتصادية، وباقي فئات الشعب الذي يمارس حرفا أو مهنا حرة، فهؤلاء جميعا لا يقدمون ولا يؤخرون شيئا في إجراء الاستحقاقات ما عدا مسؤولياتهم على أصواتهم كأفراد.

لذا نجد المرسل قد اقتصر في خطابه على الفئات التي تصنع الحدث بالنسبة إليه، ولم يعر الشعب أي اهتمام، ومن مثال ذلك ما جاء في خطابه: "إن المسألة تتعلق بصون وحماية الإنجازات التي حققها الشعب خلال العقدين المنصرمين وحفظها وتأمينها خدمة له، والارتقاء إلى مستوى أعلى من العمل التنموي والسياسي."⁽²⁶⁾

ثم يضيف قائلاً: إن المغامرين، الذين يسوّقون لثقافة النسيان والنكران والجحود، لا يمكن أن يكونوا أبدا سواعد بناء وتشيد، فهم يخفون وراء ظهورهم معاول الهدم التي يسعون لاستخدامها من أجل الزج بالبلاد نحو المجهول."⁽²⁷⁾ فهو أو (العصابة التي تتكلم على لسانه) لا يرى إلا نفسه الأصلح لقيادة هذا البلد وصون وحماية المنجزات المحققة خلال فترة حكمه (العقدين المنصرمين)، وحفظها ثم الارتقاء بها إلى مستويات أعلى، كما يذكر الشعب أو الأمة أن معارضيه يُعدون من المغامرين المسوّقين لثقافة النكران والجحود للمقدرات والمنجزات التي قام بها، وما هم سوى سواعد هدم يخفون معاولهم وراء ظهورهم، ليزجوا بالبلاد في غياهب المجهول، وهو أسلوب التخويف (Appeal to Fear).

1-5-4 الروابط والعوامل الحجاجية:

لقد ظلت الروابط اللغوية (الواو، الفاء، ثم، التي، بل، لكن، إنما، مع...) إلى عهد قريب مرهونة بالمباحث النحوية والدلالية لا تتعدها قيد أنملة، حيث انحصرت مهمتها في الربط بين الجمل والكلمات، مؤدية بذلك اتساقا أو بناء نحويا ذا فائدة دلالية وحسب، إلى أن ظهر إلى الوجود بلاغيون جدد اكتشفوا أنّ لهذه الروابط بعدا حجاجيا تداوليا، ومن هؤلاء ديكر

²⁶ - الملحق، النص الكامل لرسالة الرئيس السابق عبد العزيز بوتفليقة بمناسبة الندوة الوطنية للحكومة والولاية.

²⁷ - المرجع نفسه.

وأنسكومبر، اللذان بيّنا بأنّ معنى الجملة يتسع ويضيق بفضل تلك المكونات اللغوية، مما يزيد في احتمالاتها الحجاجية، ومنه سُميت ب(الروابط والعوامل الحجاجية) (28)، وهي التي تحدد طرق الربط بين النتائج والحجج.

جدول إحصائي لورود الروابط الحجاجية في الخطاب (النموذج)

نص الخطاب	الواو	أو	الفاء	إنّ	التي/الذي	بل	من	أنّ يفعل	إلى	لا
العدد	226	5	6	28	28	4	70	13	14	16
1886 كلمة	أداة ربط وضم الحجج والقضايا، وقوة وجودها دليل على العدد الهائل للقضايا ضمن الخطاب.	أداة ربط للتخيير بين الحجج والقضايا وقلتها دليل على أنّ الخطاب الموجة كان محسوماً.	أداة ربط للتعقيب وإضافة حجة لحجة أو قضية لقضية. كان تحقيق الإقناع.	أداة توكيد وظيقتها تقوية وإثبات الحجج وصحة القضايا. وبالتالي تحقيق الإقناع.	اسماء موصولة تصل بين اسم وعمل أو أكثر بغرض التأكيد والإقناع.	أداء إضراب لتقوية الحجة أكثر من ذي قبل.	رابط تبويض يرمي إلى جزء من كلّ.	رابط مصدرى يتصدر فعلاً يرجى حلوثة.	أداة تفيد انتهاء الغاية. نفي عمل.	أداة أو عامل نفي عمل.

وفيما يلي نستعرض بعضاً منها على سبيل المثال لا الحصر:

أولاً: الرابط الحجاجي (إنّ):

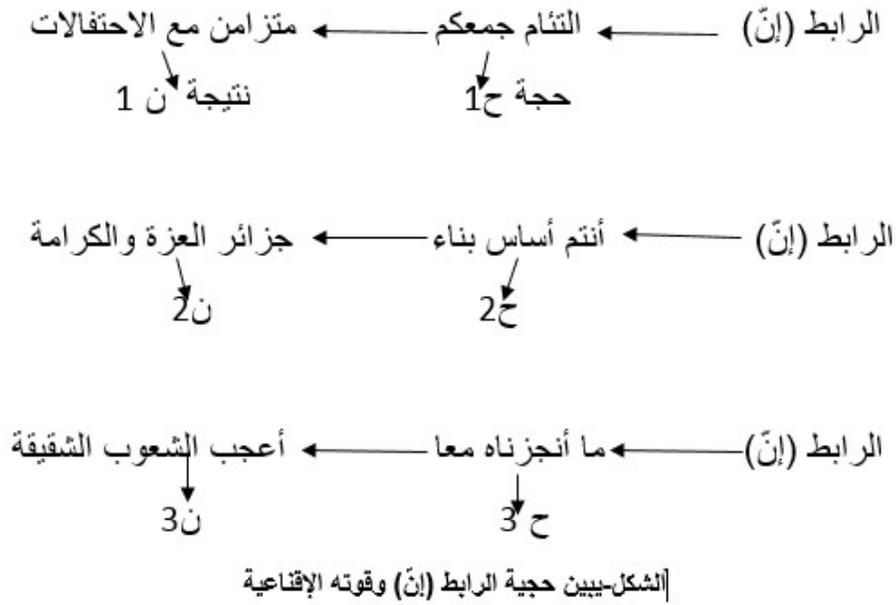
لقد عُرف الحرف (إنّ) من خلال دروس النحو بأنّه حرف توكيد، يدل على تقوية القضية التي تحملها الجملة الإسمية ودعمها لتكون مؤكدة ومثبتة دلالياً، أما من الناحية التداولية فهي تشكل رابطاً حجاجياً غالباً ما يستعمل لغرض التأكيد والإثبات للقضايا الحجاجية، وهذا ما يجعل من هذه البنية متينة، وبعيدة عن الشك والريب لما يزيحه عنها من الإبهام ويجعلها قوية

²⁸ - ينظر: شكري المبخوت، نظرية الحجج في اللغة، كتاب جماعي (نظريات الحجج في التقاليد الغربية من ارسطو إلى اليوم) إشراف حمادي صمود، كلية الآداب - منوبة (دت)، ص 376.

الأثر في النفوس لا سيما نفسية المتلقي، ومن أمثلة ذلك من الخطاب الذي اخترناه للممارسة التداولية، قوله:

- إنَّ التثام جمعكم، في لقاءكم السنوي هذا جاء متزامنا مع احتفالات شعبنا...
- إنَّكم، أنتم الولاة والإطارات المركزيين والمنتخبين...
- إنَّكم اليوم مجتمعون في الموقع الأكثر رمزية.
- أنَّكم أساس بناء جزائر العزة والكرامة.
- إنَّ العقدين المنصرمين من حياة أمتنا لم يكونا هينين.
- إنَّ ما أنجزناه معا...، بات محلا لإعجاب الشعوب الشقيقة والصديقة.
- إنَّه من واجبكم اليوم، أنتم أيتها السيدات والسادة الولاة والمنتخبون، أن تتحلوا باليقظة.
- إنَّ البعض يختزل رهانات الحاضر والمستقبل في تغير وتعاقب الوجوه والأشخاص.
- إنَّ المسألة تتعلق بصون وحماية الإنجازات التي حققها الشعب خلال العقدين المنصرمين.
- إنَّ المغامرين، الذين يسوقون لثقافة النسيان والنكران والجحود، لا يمكن أن يكونوا أبدا سواعد بناء وتشبيد.
- إنَّ ما تحقق في بلادنا هو نتاج جهد جيل كامل من أبناء هذه الأمة من المخلصين.
- إنَّ ما قمنا به لحد الآن ليس سوى مرحلة تليها مراحل من مسار طويل.
- إنَّ الأمة تعلق عليكم وعلى ما تبذلونه الآمال الكبار.
- إنَّ الخطوط العريضة للاستراتيجية الوطنية مرسومة ومعروفة لدى الجميع.

فكلها جمل مشحونة دلاليا تحمل رسائل غاية في الوضوح، وعليها تقريبا ينبنى المغزى العام من الخطاب السياسي المائل، لا سيما وقد استخدم فيها الرابط الحجاجي (إنَّ) بغية التأكيد والتثبيت الذي لا يمكن نكته، والذي من خلاله تتجلى نوايا السلطة القائمة آنذاك.



فإذا تأملنا المخطط أعلاه الذي مثلنا من خلاله وظيفة الرابط الحجاجي (إنّ) والذي اخترنا له ثلاثة جمل من الخطاب المرفق، من بين الأمثلة الكثيرة السابقة، نجد في الحالة الأولى تنبيها مقصودا من المرسل يشير فيه إلى أن الجمع الكبير لأهل السلطة وصناعة القرار جاء مصادفا لذكرى عزيزة تكاد تكون مقدسة بالنسبة للشعب الجزائري (عيد الثورة على الاستعمار)، وذلك بغرض تأييد المقام والتأثير بالذكرى التاريخية على الجمهور المستهدف.

أما في المثال الثاني، فإن الخطاب كان موجها للجهاز التنفيذي "إنكم أنتم من أساس بناء جزائر العزة والكرامة" فالمرسل يوحي لجهازه التنفيذي بأنّ الجزائر باتت بلد عزة وكرامة وذلك نتيجة عملكم وجهودكم أنتم دون سواكم، والغرض من هذا الخطاب، هو إعادة الشحن والتعبئة لخوض معترك جديد ألا وهو الانتخابات الرئاسية (العهد الخامس).

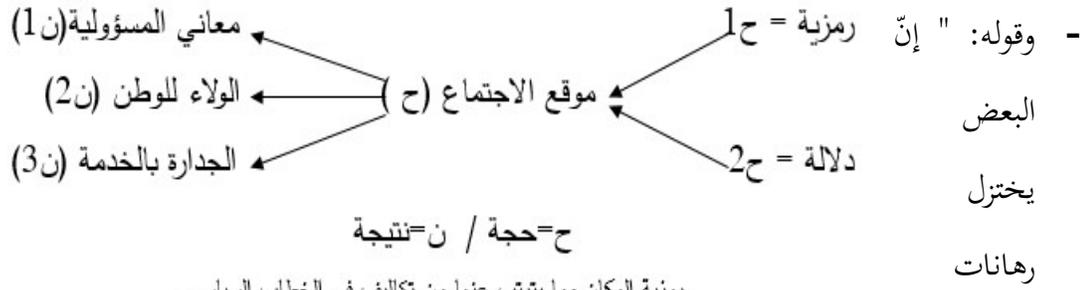
وتأتي الحجّة التي تليها كمدد داعم لثقوي وتنبّت سالفتها، عندما قال: "إنّ ما بنينا معا بات محل إعجاب الشعوب الشقيقة والصديقة"، فما ترتب عن الحجّة المتمثلة في البناء المشترك، هو النتيجة المذهلة المتمثلة في إعجاب الشعوب من صنعنا المتفرد واللافت.

إذن فالرابط الحجاجي (إنّ) يعد من أقوى الروابط الإقناعية التي تستخدم في تحرير الخطاب السياسية التي لا تدع مجالاً للتأويل.

ثانياً: الرابط الحجاجي (الواو):

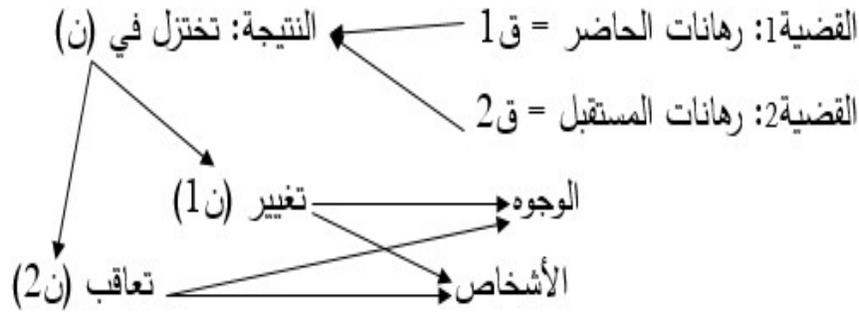
تعد الواو من روابط العطف الحجاجي (واو-الفاء-ثم)، وهي أقواها على الإطلاق، إذ يشير هذا الرابط إلى حجتين أو مجموعة من الحجج، ويوصل بعضها ببعض، مسكاً وترصيصاً ليزيد من قوتها المنطقية وحجيتها، إضافة إلى تجلية المقصد وتوضيح المعنى، إذ يدعم هذا الرابط الحجاجي نتيجة نهائية واحدة، بحجج شتى ومتعددة، وقد ورد ضمن الخطاب المرفق ستة وعشرون ومائتا مرة (226) وفي ذلك دلالة على أهمية الخطاب في تلك المرحلة الحاسمة والمصيرية، ومن أمثلة ورود (الواو) في خطابنا:

- قوله: "إنّكم اليوم مجتمعون في الموقع الأكثر رمزية، [و] الأكثر دلالة على معاني المسؤولية [و] الولاء للوطن [و] الجدارة بخدمة شعبكم من حيث أنكم أساس بناء جزائر العزة [و] الكرامة."



الحاضر [و]

المستقبل في تغير [و] تعاقب الوجوه [و] الأشخاص، [و] هم يروجون لهذا التوجه لحاجة في نفس يعقوب، لكن أنتم من تعملون في الميدان [و] تغالبون التحديات الأمنية [و] الاجتماعية [و] الاقتصادية يومياً، أكثر الناس دراية بأن الرهان يتجاوز ذلك بكثير. "



ثالثا: الرابط الحجاجي (بل):

من الاستعمالات التي يستخدم لها الحرف "بل" كرابط لغوي ذا وظيفة دلالية أو اتساقية تداولية حجاجية، وذلك وفق معانيه حسب السياق الذي يرد ضمنه، وهو على العموم يفيد الإضراب عن الأول والإيجاب للثاني، وعليه فإنها رابط حجاجي يستعمل للإبطال والاستدراك الذي يقوي حجة قضية تالية على قضية سابقة، مثل الأداة أو الحرف (لكن)، ومن أوجه استعماله:

1- تستعمل كحرف عطف يعني الإضراب والإبطال وذلك إذا دخلت على المفرد. مثال: عمر رجل خدوم بل مخلص في عمله.

2- تستعمل كحرف استدراك بمعنى (لكن)، إذا دخلت على المفرد بعد النفي أو النهي، كقولنا: ما قصر العمُّ بل ابنه. وفي ذلك تقرير لنفي التقصير عن الأول وإثباته على من بعده.

3- حرف ابتداء عند دخولها على الجملة وتكون بمعنى الإضراب الإبطالي أو الانتقالي حسب سياق الجملة.

ومن أمثلة ذلك من الخطاب المرفق قوله:

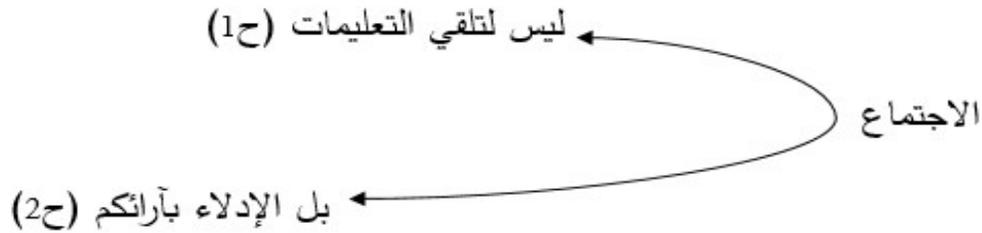
أ- " إنكم اليوم مجتمعون في هذا اللقاء ليس لتلقي التعليمات فحسب، بل للإدلاء بآرائكم وتصوراتكم..."

ب- "المسألة ليست مسألة فتح مناصب جديدة وكفى، بل يجب قبل ذلك الاستغلال الأمثل للموارد المتاحة..."

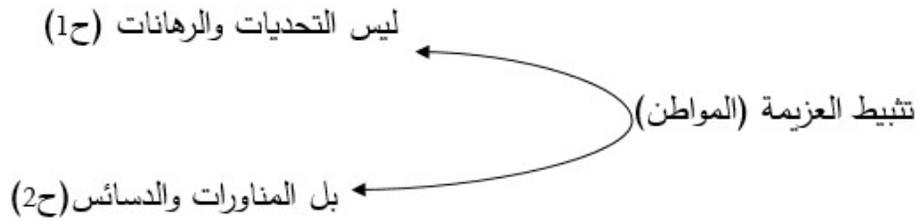
ج- "لا يمكن التسامح معها بل يقتضي الواجب من كل منكم".

د- "ما يثبط عزيمة مواطنينا ليست التحديات التي يواجهونها ولا الرهانات التي يخوضونها، بل هي تلك المناورات الدنيئة والدسائس".

ففي كل الأحوال الممثلة من الخطاب المرفق نجد أن الرابط الحجاجي (بل) قد استعمل للإضراب عن (حجة 1) والإقبال على (حجة 2)، بغية تقويتها ودعمها كبديل عن الحجة التي سبقتها.



ولو تأملنا القول "أ" المجسد في الشكل أعلاه، لوجدنا أن الرابط الحجاجي (بل) قد وُظف على عكس ما يقتضيه لغويا، حيث إنّ "المرسل" يغالط بأنه دعا المجتمعين من ولاية والمنتخبين وإداريين مركزيين، من أجل تلقي آراءهم وتصوراتهم، في حين عندما نحلل الخطاب ككل نجده يجمعهم ليلقي إليهم بالتعليمات صراحة وضمنا، وهذا ما يتصف به الخطاب السياسي من الخداع والمغالطة.



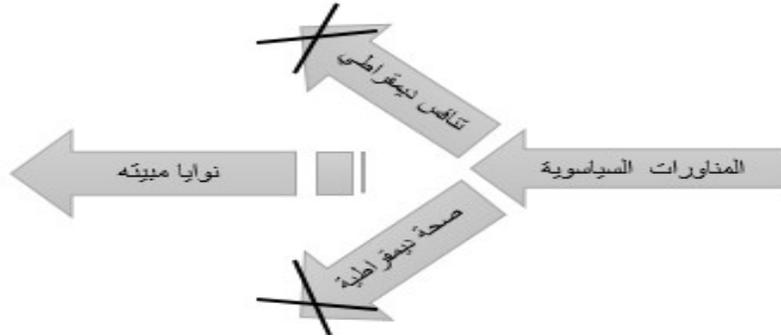
ولو تأملنا أيضا الشكل الثاني الذي يجسد القول "د" نجده هو الآخر يعكس الحجج، ويوظف الرابط الحجاجي (بل) بعكس ما وضع له، حيث إن الحقائق تثبت أن ما يثبط عزائم المواطنين هو فشل كل التحديات والرهانات، وليس - كما يقول - المُخاطَبُ بأنها المناورات الدنيئة والدسائس، إذ إن كل ما يجري من أحداث سياسية لا يهم في غالب الأحيان المواطن الجزائري الذي يتوق للتنمية والحياة الكريمة والمستقرة.



رابعا : العامل الحجاجي (ما إلا...).

جاء في الخطاب قوله: "فما نلاحظه من مناورات سياسية مع اقتراب كل محطة حاسمة من مسيرة الشعب الجزائري إلا دليل واضح يفضح هذه النوايا المبيتة فالعامل الحجاجي هنا لا

يؤدي وظيفة الربط، بل يعمل على توجيه وحصر الإمكانيات الحجاجية، وتقييدها حتى لا تبقى مطية لتأويلات أخرى غير تلك التي يريد المرسل.



ويقول أيضا في مكان آخر من خطابه: "إنكم تلاقون باستمرار محاولات هذه العناصر الضالة في يومياتكم، والتي لا تترك أي ساحة في برامج عملكم إلا وتحاول استغلالها لتحقيق مآربها الآثمة، في مختلف قطاعات النشاط."

ففي الوقت الذي يرى فيه المجتمع المدني بأطرافه كشريك في صناعة التنمية في البلدان الديمقراطية، يرى عندنا في الجزائر بمنظور السلطة السابقة أنه متحين للفرص من خلال البرامج الحكومية ليستغلها من أجل تحقيق مآربه الآثمة.

لقد استعمل المرسل عاملا حجاجيا يفيد القصر لغويا، ويوجه الحجاج نحو نتيجة واحدة لا غير (مآربها الآثمة)، ليسد بذلك كل المسالك نحو أي تأويل أو نتيجة أخرى، داعما ومقويا بذلك وجهة نظره.

1-5-5 الخطاب السياسي النقدي:

من المتعارف عليه أن الخطيب السياسي لا يمكنه أن ينزل مخاطبا جمهوره بأسلوب مدح الذات وحسب، بل عليه أن يتوسل أسلوبا ناقدا كي يثبت التمايز بين الذات والآخر، حتى ولو كان النقد موجها ضد مجهول، أو نكرة، مثل ما كان يعتمد إليه الرئيس الليبي "معمر القذافي" من نقد وتجريح في الحكام العرب، ليقنع الشعب الليبي بأنه الرئيس الأحسن، وما يمكن أن

نلمسه في مضمون الخطاب المرفق والذي يتجلى بوضوح هو الوقفات النقدية الموجهة ضد مجهول، والتي لم تكن ضئيلة بمساحتها التي تكاد تكتسح الخطاب وهي فقرات كبيرة تمثلت في قوله: "من الطبيعي اليوم أن تستهدف الدوائر المتربصة والخلايا الكامنة استقرار البلاد وتكالب عليها قصد تشييط همتها والنيل من عزيمة أبنائها."

فالسؤال المطروح هنا : ← ما هي الدوائر المتربصة؟
← وماهي الخلايا الكامنة؟

التي تستهدف استقرار البلاد (عدو مجهول) وتكالب عليها (دلالة على الكثرة)

والتي تقصد ← تشييط همتها
← النيل من عزيمة أبنائها

ويقول: "فما نلاحظه من مناورات سياسية مع اقتراب كل محطة حاسمة من مسيرة الشعب الجزائري إلا دليل واضح يفضح هذه النوايا المبيتة التي سرعان ما تختفي بعد أن يخيب الشعب الأبى سعيها."

"إنه من واجبكم اليوم، أنتم أيتها السيدات والسادة الولاة والمنتخبون، أن تتحلوا باليقظة وأن تدأبوا في عملكم من أجل تمكين الشعب من ممارسة سيادته ومواصلة مسيرته."

يصف حقوق الأحزاب السياسية المشروعة بكونها ← مناورات سياسية.

يصف الانتخابات بكونها ← محطة حاسمة. ← نوايا مبيتة.

← مسيرة الشعب.

يريد للشعب الأبى أن يخفيها ← بتخيب سعيها.

← وذلك بدعم من الولاة والمنتخبين.

ثم يسترسل في خطابه الناقد لهذه الكيانات: "إن البعض يختزل رهانات الحاضر والمستقبل (الانتخابات) في البعض يروجون لـ تعاقب الوجوه والأشخاص، وهم يروجون لهذا التوجه لحاجة في نفس يعقوب، لكن أنتم من تعملون في الميدان وتغالبن التحديات الأمنية والاجتماعية والاقتصادية يوميا، أكثر الناس دراية بأن الرهان يتجاوز ذلك بكثير.



يقول أيضا: إن المسألة تتعلق بصون وحماية الإنجازات التي حققها الشعب خلال العقدين المنصرمين وحفظها وتأمينها خدمة له، والارتقاء إلى مستوى أعلى من العمل التنموي والسياسي.



"إن المغامرين، الذين يسوقون لثقافة النسيان والنكران والجحود، لا يمكن أن يكونوا أبدا سواعد بناء وتشديد، فهم يخفون وراء ظهورهم معاول الهدم التي يسعون لاستخدامها من أجل الزج بالبلاد نحو المجهول."

وفي الأخير يحسم القول: بأنّ العدو المجهول مغامر يسوّق لثقافة النكران والجحود وبالتالي لا يمكنه أن يكون ساعد بناء، بل يخفي وراء ظهره معاول للهدم والدفع بالبلاد نحو المجهول.

1-5-6 الخطاب والعنصرية:

إن الخطاب العنصري لم يكن جديدا أو من محدثات العصر بل هو لون من ألوان الخطاب السياسي الضارب في القدم، وخير دليل على تجذره في الدول القديمة هو نار الحروب التي لم تكن تهدأ أبدا، وقد سادت أوروبا وأغرقتها في الجهل والظلامية، إلا أنه مع الإصلاحات السياسية والسلام الذي حققته البشرية مع النهضة في أوروبا وبعدها، بدأت العنصرية تنحصر وأخذت منحى آخر ذا علاقة بالموارد مثل: الحرب الكونية النازية، ولكن مع تأسيس هيئات دولية بدأت تخدم نار العنصرية وتراجعت لتتلفع وتكمن في صدور تيارات معينة مثل: الأحزاب اليمينية المتطرفة.

وعليه صار من غير اللائق أخلاقيا في السياسات الغربية أن يُجهر بالتوجهات والنعرات العنصرية في الخطابات السياسية أو غيرها، خاصة بعدما جرّته من نتائج وخيمة على الولايات المتحدة الأمريكية والتي لاتزال آثارها قائمة إلى اليوم فيما بين البيض والسود، وكذلك سياسة التمييز العنصري على ذات الشاكلة في جنوب إفريقيا، والتي دفع الرمز نيلسون مانديلا كل حياته مقابله.

ولكن مؤخرا ظهرت بوادر هذه السياسة الإقصائية، لتضيق على المهاجرين بالولايات المتحدة الأمريكية جهارا نهارا، وفي الخطاب الرسمي من أعلى قمته على لسان الرئيس السابق دونالد ترامب، الذي وجد في هذا التوجه سبيلا إلى جمهوره العنصري في كل المناسبات، ومن

أمثلة التصرفات الهمجية والغوغائية التي مارسها هذا العنصري هي توقعاته لنقل السفارة الأمريكية إلى القدس، وبالبنط العريض مستعرضا ومتباهايا ومنتشيا أمام وسائل الإعلام العالمية.

وقد ترك هذا الفعل الشنيع في النفوس الخبيثة على الصعيد العربي أثرا ظلت الدهر تبحث وتفتش عنه، زرع في ذواتهم الجرأة كي يعلنوا مجاهرة بالموالاة لإسرائيل وتفضيلها على بني جنسهم وأهل دينهم، ومن هؤلاء الأجهزة الحاكمة في الخليج وعلى رأسها البحرين والإمارات العربية. أمّا سياسة العصاة الحاكمة سابقا فقد عمدت إلى إخراج المطبلين لها، بمصطلحات (الزواف، الصبايحية) وفي مقابلها (الباديسية والنوفمبرية)، محاولة تشتيت أوصال الجزائريين، لكن الشعب كان أكبر وعيا منهم ومن آلاعيهم الآثمة.

لقد تم تداول الخطاب العنصري الذي يعمد إلى الشيطنة بكل الحجج الواهية التي لا أساس لها في تاريخ ولا في علوم إنسانية، بغاية التأثير على الشعب وإقناعه بأن حراكه مجرد مخطط سري خبيث ومندس يحاول أصحابه السيطرة على الجزائر والاستحواذ على السلطة فيها، وقد انسقت لهذه اللعبة فئة تفتقر إلى المناعة ضد الأراجيف، ولديها شيء من الكراهية لإخوانهم في الوطن والدين.

1-5-7 الأفعال الكلامية وقوتها الإنجازية في الخطاب:

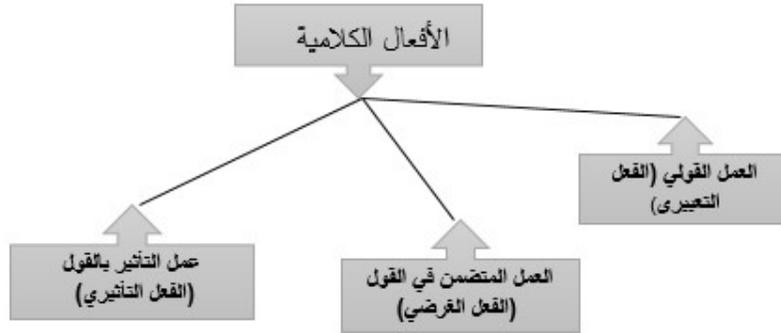
إنّ ما أرست عليه اللسانيات التداولية بعد نظرية التلفظ *enonciation* ونظرية الحجج *argumentation*، هو الأفعال الكلامية، *speech act*، وهي تداولية من الدرجة الثالثة حسب هانسون، اهتم بها وأثرها كل من أوستين وسيرل.

جدول تصنيف منطوق الخطاب بين اقوال تقريرية وصفية واقوال إنجازيه

أقوال إنجازيه	أقوال تقريرية وصفية
إنكم، أنتم الولاة والإطارات... والأعوان العاملين في الميدان، أنتم الذين تضطلعون بخدمة بلانكم وشعبكم، وتحملون على عاتقكم أمانة شهداء الثورة وشهداء الواجب الوطني.	إن التثام جمعكم، في لغاتكم السنوي هذا جاء مترامنا مع احتفالات شعبنا بذكرى انتفاضته التاريخية ضد المستعمر وخوضه غمار حرب تحريرية من أجل استرجاع حريته وكرامته، تلك الحرب التي كان لنا شرف المشاركة فيها إلى جانب إخوان كرام لأشواوس، منهم من قضوا نحبهم ونالوا الشهادة ومنهم من واصلوا مسيرة التحرير إلى أن بلغوا غايتهم، ثم شاركوا في البناء والتشييد.
من الطبيعي اليوم أن تستهدف الدوائر المتربصة والخلابا للكامنة استقرار البلاد وتتكالب عليها قصد تثبيط همتها والنيل من عزيمة أبنائها.	إنكم اليوم مجتمعون في الموقع الأكثر رمزية، والأكثر دلالة على معاني المسؤولية والولاء للوطن والجدارة بخدمة شعبكم من حيث أنكم أساس بناء جزائر العزة والكرامة.
فما نلاحظه من مناورات سياسية... إلا دليل واضح يفصح هذه النوايا المبيتة التي سرعان ما تختفي بعد أن يخيب الشعب الأبي سعيها.	إن العقدين المنصرمين من حياة أمتنا لم يكونا هينين، ولقد كان للعديد منكم شرف مرافقتي في هذه المسيرة في مختلف مستويات المسؤولية وأبليتكم البلاء الحسن وقمت بتضحيات وإنجازات عظام.
إنه من واجبكم... أن تتحلوا بالليظة وأن تدأبوا في عملكم من أجل تمكين الشعب من ممارسة سيادته ومواصلة مسيرته.	لقد سعينا بصنق وإخلاص إلى إخراج أبناء هذه الأمة من فتنه التناحر وكابوس الهمجية الذي استحكم فيها، مستلهمين عزمنا من قيم نوفمبر الخالدة وشيم التسامح والأخوة والثوام.
إن البعض يخرزل رهانات الحاضر والمستقبل في تغير وتعاقب الوجوه، وهم يروجون لهذا التوجه لحاجة في نفس يعقوب، لكن أنتم من تعملون في الميدان وتغالبون التحديات الأمنية والاجتماعية والاقتصادية... وأكثر الناس دراية بأن الرهان يتجاوز ذلك بكثير.	وعملنا على العودة بالبلاد من جديد إلى جادة التنمية، بإعادة بناء ما أمعنت في تهديمه قوى الشر والدمار، وتحقيق إنجازات عمومية كبرى في مدة لا مكان فيها للتواني، مدة شققنا فيها الطرق وربطنا القرى والمدائير والمدن بمختلف الشبكات، وشيدنا أقطابا صناعية ومدنا جديدة ومرافق عمومية شاهدة على جهود هذا الشعب وقدرته على تجاوز أحتى الأزمات والمحن.
إن المسألة تتعلق بصون وحماية الإنجازات التي حققها الشعب خلال العقدين المنصرمين وحفظها وتشييدها .	
إن المغامرين، الذين يسوقون لثقافة النسيان والذكرا والجحود، لا يمكن أن يكونوا أبدا سواعد بناء وتشبيد، فهم يخفون وراء ظهورهم معاول الهدم التي يسعون لاستخدامها من أجل الزج بالبلاد نحو المجهول.	
ولا يمكن، بعد ما تم من عمل أن نعود إلى الوراء ونأخذ بطروحات مثبثة انهزامية لا غاية منها سوى تعطيل مسيرتنا.	

<p>إن الأمة تعلق عليكم وعلى ما تبذلونه الآمال لكبار، ذلك أن الجماعات الإقليمية مطالبة بأن تضطلع على أحسن وجه بنورها في المسار التنموي الوطني، ولقد أصدرت تعليمات واضحة من أجل تعميق اللامركزية وترقية المرفق العمومي وتمكينكم من النهوض بمسؤولياتكم كاملة في تسيير الشأن العام المحلي.</p>	<p>إن ما فجزناه معاً، على الصعيدين الأمني والتنموي بفضل التضحيات الجسام التي قسمها هؤلاء وأولئك، بات محلاً لإعجاب الشعوب لشجاعة والصدقية، يرون فيه مثالا للتنمية لاجتماعية شاملة، أعادت الاعتبار للإنسان بوضعه في قلب المقاربة التنموية.</p>
<p>أتوقع من كل واحدة ومن كل واحد منكم أن ترتقوا بجذبتكم ومثابرتكم فوق العمل الروتيني الرتيب المقتصر على تنفيذ برامج عمومية وسياسات مبلورة ومقررة مركزياً، واعتماد نهج جديد في التسيير قوامه المبادرة والاستباقية والتسيير بالأهداف والمقاربة بالنتائج.</p>	<p>على الصعيد الأمني، أضحت المصالحة الوطنية والعيش معاً بسلام عنوانين رئيسيين لمقاربة استراتيجية دولية لمحاربة الراديكالية والتطرف في العالم، استراتيجية ولدت من رحم معاناة هذا الشعب الأبي الذي أعطى بالأمس درساً للعالم في التضحية والاعتناق وصار اليوم، بفضل تضحياته وتبصر أبنائه ورشدهم، مرجعاً في إخماد الفتنة ورأب الفجوة والقضاء على منطلق الكراهية...</p>
<p>ولكي تتمكنوا من بلوغ هذه الغاية، يتعين على كل منكم تهيئة القدرات البشرية ... والتكفل بانشغالات العاملين تحت إمرتكم ووصايتكم ...</p>	
<p>يجب قبل ذلك الاستغلال الأمثل للموارد ... ووضع العون المناسب في المكان المناسب، في الوقت المناسب، وضمان مردوبيته كاملة ...</p>	
<p>نكتفي بهذا الجزء من الخطاب المرفق حيث لا يمكن التطرق إليه كلية نظراً لطوله</p>	

بالنظر إلى التصنيف الثنائي للأفعال ضمن جملها(الأقوال) في سياق الخطاب نجد أن الصنف الأول تعلق بالأقوال الوصفية التقريرية، التي تُعدُّ من قبيل الإخبار وليس الإنشاء، وهي ذات علاقة مباشرة مع العالم الخارجي (واقع الدولة)، لذا فهي تحتمل حكما من اثنين إما الصواب أو الكذب، ولا يتيسر لكل متلق أن يكتشف ذلك إلا بقدر اطلاعه المسبق على الوقائع، وعليه يترتب تأثير أفعال الكلام بالنسبة إليه، أما الثاني ألا وهو القسم الإنشائي الذي يجمع بين مجموعة من الأساليب البلاغية المعروفة (الطلب-التعنيف-التوبيخ-الاستفهام-التحذير-القسم...)، لذلك نجده موزعا بين أصناف بينها التداوليون تتفاوت في درجة تأثيرها وفعالها في المتلقي.



فيما يتعلق بأفعال الكلام الواردة في نص الخطاب المستهدف كعينة للتحليل والدراسة فهي كثيرة جدا لا يتسع المجال لحصرها هنا جميعا، لذلك سنكتفي بجزء منها نتصور أنه مشحون بالدلالة أكثر من غيره، وكذلك لا يمكننا أن نحلل الأفعال التعبيرية كل على حدى، بل سنجملها في شكل مجموعات حسب أصناف أفعال الكلام لنستخرج ما تكنه من مضمرات ومقاصد ودّ المرسل تبليغها لجمهوره الخاص كي تعمل بما أوتيت من قوة تأثيرية وإنجازية.

عينة من الأفعال الكلامية ضمن الخطاب				
أصناف الأفعال	الأفعال والمصادر	العمل القولي (الفعل التعبيري)	العمل المتضمن في القول (الإنجازي)	الفعل التأثيري
الإخباريات التقريرات	التنام، جاء، خوضه، استرجاع، قضوا، نالوا، واصلوا، بلغوا، شاركوا، وأبليتيم، قتم سعيينا، استحكم، عملنا، أمعنت، شققنا، ربطنا، شيدنا، انجزنا، قدمها، بات، يرون، أعادت، أضحت ولدت، أعطى، صار....	صدور الكلام وطريقة التلفظ به منطوقا على مسامع المتلقين مع ما صاحبه من نبر وتنغيم وصعود في الصوت ونزول وإشارات من لغة الجسد.	تعداد وتذكير بالمنجزات بأنواعها والتركيز على مسألة إنقاذ البلاد مما ؤرطت فيه مع السابقين، وإعادتها إلى مكانتها الدولية وإفشاء السلم والمصالحة.	محاولة وضع المتلقي ضمن سياق عسير مرت به البلاد لانتزاع إقرار منه بالفضل.
	الحكميات الإعلانيات	تتكالب، تستهدف، تنفيذ يروجون، يسوقون، يتعين أعتبركم، يخفون، يسعون،	إصدار أحكام طعن وتسفيه	إعادة انتشال المتلقي من أحضان الآخر

<p>المعارض، واسترداده لأحضان السلطة القائمة، وترك أثر سيء لديه يجعله يتراجع عما كان مقدما عليه.</p>	<p>واتهام، لضرب الفئة المعارضة ومحاولة الانتقاص من إخلاصها وتشويهه نواياها بغرض التقليل من سطوتها وتأثيرها.</p>		<p>اعملوا، يتفرغوا، نتوجه، يجب، تشييط عزائمكم...</p>	
<p>منح تغذية راجعة للمتلقي وإمالة اللثام عن الضباية المحتملة، وطمأنته من جديد وتجديد آماله في سلطة بلاده.</p>	<p>تعزير الخطاب بأساليب معبرة وأكثر تنوعا بين الخبري والإنشائي للمحاجة والاقناع. تضمنت</p>	<p>صدور الكلام وطريقة التلفظ به منطوقا على مسامع المتلقين مع ما صاحبه من نبر وتنغيم والاقناع.</p>	<p>نلاحظ، يفضح، تختفي، يخيب، ممارسة، يمنعنا تضطلع، أصدرت، يتفاني تعميق، ترقية، أتوقع، باتت تعوقنا، ترتقوا، يختزل، ليس لتلقي، للإدلاء، تجاوز، اعتناق، تتمين، تكوين...</p>	<p>التعبيرات</p>

	التأكيد، والدم، والأمل والرجاء، والتعريض	وصعود في الصوت ونزول وإشارات من لغة الجسد.		
بث روح الأمل في النفوس فيما يخص قضية استمرار السلطة القائمة بأدواتها ورجالاتها.	تضمنت أقوال الطلب والنصح والتهيب.		التوجيهيات	تضطلعون، تحملون، تبصر، تعملون، تغالبون، رأب، القضاء تحلوا، تدابوا، تتمكنوا...
حسم الموقف وقطع كل التأويلات والشكوك المتعلقة بمغادرة السلطة أو تجددها،	إسداء التوجيهات والأوامر والتعليمات للدفاع عن كيان ومصير السلطة.		الالتزاميات التعهدات	نأخذ، تنفيذ، تمكينكم، تجسيد، يوجب، التكفل، تحصين، تطبيق، استكمال، تطوير، سنواصل، نعود

والاقتناع				
ضمنيا				
بالتجند				
للمساندة				
والتأييد.				

إن القوة الإنجازية لأفعال الكلام المنتقاة لخطاب الرئيس السابق تمثلت في القدرة على استقطاب أدوات السلطة (أجهزتها ورجالاتها وحتى الأحزاب)، وإعادة تعبئتهم للتأييد والمساندة والاستمرار في إدارة البلاد، على الرغم من كل المؤشرات الدالة على استحالة القيام بذلك، وهنا فاض الكأس بالقطرة الأخيرة، واستفاقت الفئات المُسيّرة (الشعب) غير معولة على المعارضة الصورية، لتحذُث الهبة الشعبية غير المسبوقة منددة بكل ألوان السيطرة والهيمنة على مقدرات الأمة وحرّيات الأفراد والجماعات، وقد حققت نجاحا باهرا بأسلوبها الاحتجاجي السلمي وما أحرزته بفضلته وبالصبر من اعترافات الفاسدين أنفسهم، حيث دفعت الرئيس السابق إلى التنحي والاستقالة من منصبه، كما زجّت بالكثير من الرؤساء التنفيذيين والإطارات ورؤساء الحكومات في السّجن وفعلت القضاء الذي حرّك الكثير من ملفات الفساد التي كانت حبيسة الأدراج، ولا يزال إلى يومنا هذا يحاكم رؤوس الفساد.

إذن بهذا نكون قد حاولنا تطبيق نظريات التداولية وبالأخص نظرية أفعال الكلام وكذا النظريات الحجاجية، وكشفنا عن القوى الإنجازية ومحدداتها وكيفية ممارسة السلطة للإقناع في الخطاب السياسي، والذي أخذنا منه أحد النماذج المتمثلة في خطاب الرئيس السابق الموجه للولادة والمنتخبين يوم 28 نوفمبر 2018، بنادي الصنوبر.

خاتمة

خاتمة

ختاما لما كنا قد بدأناه، وبعد بلوغنا منتهى خطة العمل المنتهجة، نكون قد وقفنا على مجمل الأبعاد التداولية للخطاب عموما والخطاب السياسي على وجه الخصوص، حيث وجدنا أن الأبعاد التداولية -مهما يكن- تبقى دراسة لغوية بامتياز حيث تتلاقى ضمنها على وجه معين جملة من ميادين المعرفة المختلفة أهمها: علوم اللغة، والبلاغة، والمنطق، والحجاج، وفلسفة اللغة، وعلم الاجتماع، وغيرها من العلوم المهمة بالبعد الدلالي والتداولي للغة، إذ تجاوزت التداولية حدود اللغة لتنتقل إلى مجال الأدب وتتحول إلى ما يسمى بالذرائعية الأدبية.

فالتداولية كنظرية مركبة اهتمت بدراسة التعامل اللغوي من حيث هو جزء من التعامل الاجتماعي، لتحقيق بذلك نقلة من المستويات اللغوية والنحوية والنفسية للغة، إلى مستوى آخر يجمع بين الاجتماعي والتواصل، في ضوء دائرة من التأثير والتأثر -باللغة طبعاً- من خلال تداول اللغة في حد ذاتها لتحقيق التواصل بنظام لساني بالأساس.

وللنظام بالنسبة لتواصلنا، معنيان عام وخاص: فمعناه العام هو مجموعة العناصر المتعلقة ببعضها البعض وفق الوضع الذي يقتضيه علم النحو، ويعمل على قوانينه وأصوله، والتي تقول في نهايتها إلى تكوين ما يُعبر به (وحدات، جملة نواتية، جملة مركبة، فقرة، خطبة، قصة، قصيدة، رواية) وهذه العناصر المفترض فيها الانضباط والانتظام وفق نظام قواعدي ونظام علاماتي كليتها البنيوية تفرض علاقات تبعية وتضامن فيما بينها.

فالتداولية عموما تعني دراسة اللغة من وجهة نظر وظيفية، وتعني أيضا دراسة كل جوانب المعنى التي تهملها النظريات الدلالية، والتداولية هي دراسة الجوانب السياقية للخطاب، وهي فرع من فروع علم اللغة يبحث في كيفية اكتشاف السامع قصيدة المتكلم، ويقوم على جوانب هامة في دراسته للمواقف الحوارية أو الخطابات، تتمثل في: (الإشارة - الافتراض السابق - الاستلزام الحوارية - الأفعال الكلامية) كما أشرنا إلى ذلك بالتفصيل في متن البحث.

الأفعال الكلامية تُعدُّ عمدة الدرس التداولي، وتروم كيفية استعمال اللغة، وما تحدثه من أثر لدى المتلقي، واللغويون يجدون فيها الحلول لكثير من مشكلات الدلالة والتراكيب، وإضافة

إلى هذا كله فالتداولية في بداياتها كانت مرادفة للأفعال الكلامية، فحسب أوستين اللغة ليست مجرد وسيلة للوصف ونقل الخبر، بل هي أداة لبناء العالم والتأثير فيه، وعليه فموضوع البحث قد تمحور بالأساس حول ما نفعله بالكلام الذي ننطق به (أفعال الكلام) ومدى القوة الإنجازية التي يتمتع بها من وضع إلى آخر ومن حال إلى حال.

وعليه تمثل عملنا في توضيح صورة أهم المفاهيم المتعلقة بالتداولية وخلفياتها الفلسفية والفكرية وفروعها في علوم اللسان ضمن مدخل البحث، ثم حاولنا توضيح ودراسة مفهوم القوة الإنجازية في اللسانيات التداولية من خلال نظرية أفعال الكلام منذ نشأتها وخلال تطورها، آخذين بعين الاعتبار أنواعها وشروطها، لنصل إلى محددات القوة الإنجازية في الحجاج، التي تتغير من قول لآخر ومن سياق لسياق، كل ذلك ضمنًا الفصل النظري الأول، بينما تطرقنا في الفصل النظري الثاني إلى سلطة الإقناع ضمن النظريات الحجاجية، مبينين مفهوم الحجاج وعلاقته باللغة من خلال الطرح المنطقي و اللساني، وما ينجم عن ذلك من أساليب إقناعيه، واستراتيجيات مؤثرة.

وقد كان الفصل الأخير من بحثنا تطبيقًا إجرائيًا لكل ما سبق تناوله من قضايا نظرية ذات علاقة بالدرس التداولي والحجاجي وما تعلق بهما من فعل تأثيري أثناء التواصل، وذلك بتطبيق آليات التداول على الخطاب السياسي، إذا تجنبنا الخوض في نماذج وشذرات من هنا وهناك وعمدنا إلى خطاب واحد مطول وفصيح، وجدنا أنه غني من حيث اللغة والأساليب الخطابية التي لا تيسر لأي خطيب، وهي من دون شك من لدن محترف ضليع في كتابة الخطب السياسية، وقد تتبعنا في هذا النص:

- 1- مضان الحجة بكل أصنافها لتحقيق الإقناع لدى المتلقي.
- 2- تلون الخطاب السلطوي بكل ثوب يراه يخدم قضيته.
- 3- ممارسة السفسطة باستدلالات خاطئة، مجانية للمنطق والواقع، بقياسات وهمية مقدماتها صحيحة ونتائجها كاذبة، ظاهرها حق وباطنها باطل، الغرض منها المغالطة والخداع.

- 4- استُخدم في الخطاب سلسلة من السلالم الحجاجية، التي تتأسس بحجج بسيطة ثم تتقوى تدريجيا لتبلغ أوج قوتها الإقناعية، بل تجعل المتلقي ينخرط فيما يريد الباث ويتماهى وموضوع الخطاب.
- 5- استخدم المرسل جملة من الروابط والعوامل الحجاجية التي كانت بمثابة الملاط الذي ربطت به لبنات الخطاب وتقوّت.
- 6- مارس المرسل إلى جانب الخطاب المغالط، خطابا من لون آخر ظل يهاجم بواسطته (العدو المفترض) ألا وهو الخطاب النقدي التهجمي التهكمي على الآخر، والآخر هنا هو المشجب الذي تعلق عليه كل الأخطاء والانحرافات.
- 7- وأخيرا وقفنا على الأفعال الكلامية التي وظفها المرسل للتأثير في الفئة المستهدفة المباشرة وغير المباشرة، وما لاحظناه أنها كانت أفعالا منتقاة بدقة متناهية، وفق استراتيجية مدروسة، وذات قوة فاعلة.

قائمة المصادر

والمراجع

- القرآن الكريم رواية حفص.

المصادر العربية:

- ابن منظور، لسان العرب، دار صادر، بيروت، ط1، 1997.
- أبو الحسن حازم القرطاجني، منهاج البلغاء وسراج الأدباء، تح: محمد الحبيب بن الخوجة، دار الغرب الإسلامي، ط3، بيروت 1986.
- أبو الفضل عياض بن موسى، مشارق الأنوار على صحاح الآثار، دار التراث، القاهرة، (دت).
- أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري، أساس البلاغة، تح: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت، 1998.
- أبو الوليد الباجي، المنهاج في ترتيب الحجاج، تح: عبد المجيد التركي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط3، 1987.
- أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، رسائل الجاحظ، تح: عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1964.
- أبو عثمان عمرو بن بحر، البيان والتبيين، تحقيق: عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط7، 1998.
- أبو نصر الفارابي، كتاب الحروف، تح: محسن مهدي، دار المشرق، بيروت، ط2، 1990.
- أبو هلال العسكري، الفروق اللغوية، تح: محمد إبراهيم سليم، دار العلم والثقافة، القاهرة.
- أبو هلال العسكري، كتاب الصناعتين، تح: علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، بيروت، 2004.
- الأزهرى، تهذيب اللغة، الدار المصرية للتأليف والترجمة، مصر، 1976.

- الجصاص، أحكام القرآن، تح: محمد الصادق قمحاوي، دار إحياء التراث العربي - بيروت، 1405هـ.
- الخطيب القزويني، الإيضاح في علوم البلاغة، تع: محمد عبد المنعم خفاجي، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ط6، 1985.
- الرازي، مختار الصحاح، دار المعاجم مكتبة لبنان، بيروت، 1976.
- الراغب الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن، تح: مركز الدراسات والبحوث نزار، دار نزار للنشر، (دت) .
- عبد القاهر الجرجاني، أسرار البلاغة في علم البيان، تح: محمد الاسكندراني ومحمد مسعود، دار الكتاب العربي، بيروت، ط2، 1997.
- عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، تح: على محمد زينو، مؤسسة الرسالة، بيروت، 2005.
- نجم الدين الكاتبي القزويني، الشمسية في القواعد المنطقية، تح: مهدي فضل الله، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، 1998.
- يحيى بن حمزة العلوي، الطراز، دار الكتب الخديوية، مصر، 1919.

المراجع العربية:

- إبراهيم إمام، الإعلام الإسلامي، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، 1980.
- إبراهيم أنيس، في اللهجات العربية، مكتبة الأنجلو المصرية، ط8، القاهرة 1990.
- أبو بكر العزاوي، اللغة والحجاج، العمدة في الطبع، المغرب، 2006.
- أحمد المتوكل، آفاق جديدة في نظرية النحو الوظيفي، سلسلة بحوث ودراسات، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة محمد الخامس، المغرب، رقم05، 1993.
- أحمد مختار عمر، علم الدلالة، عالم الكتب، مصر، ط5، 1998.
- أحمد مختار عمر، معجم اللغة العربية المعاصرة، عالم الكتب، مصر، 2008.

- أحمد مومن، اللسانيات نشأة وتطور، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ط2، 2005.
- أسعد حومد، أيسر التفاسير، دمشق، ط4، 2009.
- أمينة الدهري، الحجاج وبناء الخطاب، دار المدارس للنشر، الدار البيضاء، 2011.
- بشرى البستاني، التداولية في البحث اللغوي والأدبي والنقدي، سلسلة الآن، مؤسسة السياب، لندن، 2012.
- بهاء الدين محمد مزيد، تبسيط التداولية، دار شمس للنشر، القاهرة، 2010.
- تمام حسان، اجتهادات لغوية، عالم الكتب، مصر، 2007.
- ثروت مرسي، في التداوليات الاستدلالية، كنوز المعرفة، الأردن، 2018.
- جابر عصفور، آفاق العصر، ط1، دار الهدى للثقافة والنشر، دمشق، 1997.
- جابر عصفور، مفهوم الشعر (دراسة في التراث النقدي)، مكتبة الأسرة المصرية، القاهرة، 2005.
- جميل حمداوي، الفلسفة والأسئلة الكبرى عند ميشيل ماير، دار الريف، المغرب، 2019.
- جميل صليبا، المعجم الفلسفي، دار الكتاب اللبناني، بيروت، 1982.
- جواد ختام، التداولية أصولها واتجاهاتها، دار كنوز المعرفة، الأردن، 2016.
- حافظ اسماعيلي علوي، التداوليات علم استعمال اللغة (تأليف جماعي)، عالم الكتب الحديث، الأردن، ط2، 2014.
- حافظ إسماعيلي علوي، الحجاج مفهومه ومجالاته (مؤلف مشترك)، عالم الكتب الحديث، الأردن، 2010.
- حسن عباس، النحو الوافي، دار المعارف، مصر، ط3، 1974.
- الحسين بنو هاشم، بلاغة الحجاج: الأصول اليونانية، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، 2014.

- حمادي صمود، أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغريبة من أرسطو إلى اليوم (مؤلف مشترك)، سلسلة الآداب، جامعة منوبة - تونس، (دت).
- حمو النقاري، التحاجج، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط، 2006.
- خليفة الميساوي، المصطلح اللساني وتأسيس المفهوم، منشورات الاختلاف ودار الأمان، الجزائر-الرباط، 2013.
- الراضي رشيد، الحجاج والمغالطة، دار الكتب الجديدة المتحدة، بيروت، 2010.
- رشدي أحمد طعيمة ومحمود كامل الناقة، تعليم اللغة اتصاليا بين المناهج والاستراتيجيات، منشورات الأيسيسكو، المغرب، 2006.
- زكريا السرتي، الحجاج في الخطاب السياسي، عالم الكتب الحديث، الأردن، 2013.
- سامي كليب، البراغمية القولفعلية في تحليل أفعال الخطاب السياسي، دار الفارابي، بيروت، 2017.
- سامية دريدي، الحجاج في الشعر العربي بنيته وأساليبه، عالم الكتب الحديث، الأردن، ط2، 2011.
- سعيد يقطين، تحليل الخطاب الروائي المركز الثقافي العربي، بيروت-الدار البيضاء، ط3، 1997.
- صابر الحباشة، التداولية الحجاج مداخل ونصوص، دار صفحات للنشر، دمشق، 2008.
- صلاح إسماعيل عبد الحق، التحليل اللغوي عند مدرسة أكسفورد، دار التنوير، لبنان، 1993.
- صلاح الدين الزعبلوي، دراسات في النحو-مقالات، اتحاد كتاب العرب، دمشق، (دت).
- طالب السيد هاشم الطبطبائي، نظرية الأفعال الكلامية بين فلاسفة اللغة المعاصرين والبلاغيين العرب، مطبوعات جامعة الكويت، 1994.

- طه عبد الرحمن، اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، المركز الثقافي العربي، المغرب، 1998.
- طه عبد الرحمن، في أصول الحوار وتجديد الكلام، المركز الثقافي العربي، المغرب، ط5، 2014.
- عاطف جودة نصر، الخيال مفهوماته ووظائفه، الشركة المصرية العالمية للنشر، القاهرة، 1997.
- عبد الجليل مرتاض، اللسانيات الأسلوبية، دار هومة، الجزائر، 2013.
- عبد الرؤوف بن المناوي، التوقيف على مهمات التعاريف، تح: عبد الحميد صالح، عالم الكتب، 1990.
- عبد السلام المسدي، السياسة وسلطة اللغة، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، 2007.
- عبد العالي قادا، بلاغة الإقناع، كنوز المعرفة، الأردن، 2016.
- عبد العزيز عتيق، علم المعاني، دار النهضة العربية، بيروت، 2009.
- عبد اللطيف عادل، بلاغة الإقناع في المناظرة، دار الأمان، الرباط، 2013.
- عبد الله بريمي وآخرون، الكتابة والسلطة (مؤلف جماعي)، كنوز المعرفة، الأردن، 2015.
- عبد الله صولة، الحجاج في القرآن من خلال خصائصه الأسلوبية، دار الفارابي، بيروت، ط2، 2007.
- عبد الله محمد الغوشن، كيف تقنع الآخرين، دار العاصمة للنشر، المملكة العربية السعودية، ط4، 2004.
- عبد المنعم الحفني، موسوعة الفلسفة والفلاسفة، مكتبة مدبولي، القاهرة، ط3، 2010.
- عبد النعيم خليل، نظرية السياق بين القدماء والمحدثين، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، مصر، 2007.

- عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب مقارنة تداولية، كنوز المعرفة، الأردن، ط2، 2015.
- عبده الراجحي، اللغة وعلوم المجتمع، تح: محمود عبد الصمد الجيار، دار الصحابة للتراث، مصر، 2013.
- عبير حمدي، الإقناع والتأثير، دار سما للنشر، القاهرة، 2017.
- عزت محمد جاد، نظرية المصطلح النقدي، الهيئة المصرية للكتاب، 2002.
- علي إسماعيل سعيد، فلسفات تربوية معاصرة، عالم المعرفة، الكويت، 1995.
- علي عبد الهادي المرهج، الفلسفة البراجماتية أصولها ومبادئها، دار الكتب العلمية، بيروت، 2008.
- علي محمود حجي الصراف، الأفعال الإنجازية في العربية المعاصرة، مكتبة الآداب، الكويت، 2010.
- عمر أوكان، اللغة والخطاب، أفريقيا الشرق، المغرب، 2001.
- عمر بلخير، مقالات في التداولية في الخطاب، دار الأمل للنشر، الجزائر، 2013.
- العياشي ادراوي، الاستلزام الحوارية في التداول اللساني، منشورات الاختلاف ودار الأمان، الرباط، 2011.
- قوتال فضيلة، حجاجية الشروح البلاغية وأبعادها التداولية، كنوز المعرفة، الأردن، 2017.
- مبارك مبارك، معجم المصطلحات الألسنية، دار الفكر، بيروت، 1995.
- محمد الصغير بناني، النظريات اللسانية والبلاغية والأدبية عند الجاحظ من خلال البيان والتبيين، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1994.
- محمد العمري، البلاغة الجديدة بين التخيل والتداول، أفريقيا الشرق، المغرب، ط2، 2012.
- محمد العمري، البلاغة العربية أصولها وامتداداتها، أفريقيا الشرق، المغرب، 1999.

- محمد العمري، في بلاغة الخطاب الإقناعي، أفريقيا الشرق، المغرب، 2002.
- محمد الولي، الاستعارة في محطات يونانية وعربية وغربية، دار الأمان، المغرب، 2005.
- محمد سالم محمد الأمين الطلبة، الحجاج في البلاغة المعاصرة، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، 2008.
- محمد عبد الرحمن خطابي، لسانيات النص وتحليل الخطاب (مؤلف مشترك)، كنوز المعرفة، الأردن، 2013.
- محمد عبد المنعم الشرفاوي، الولايات المتحدة أرضا وشعبا ودولة، دار النهضة المصرية، القاهرة، 1956.
- محمد عطية أبو صواوين، تنمية مهارات التواصل الشفوي، دراسة عملية تطبيقية، إيتراك للطباعة والتوزيع، القاهرة، 2005.
- محمد مشبال، البلاغة والخطاب، منشورات دارالأمان، المغرب، 2014.
- محمد مشبال، في بلاغة الحجاج، دار كنوز المعرفة، الأردن، 2017.
- محمد يونس علي، مدخل إلى اللسانيات، دار الكتاب الجديد، بيروت، 2004.
- محمود أحمد نحلة، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، دار المعرفة الجامعية، مصر، 2002.
- محمود عكاشة، النظرية البراجماتية اللسانية (التداولية)، مكتبة الآداب، القاهرة، 2013.
- محمود عكاشة، تحليل الخطاب في ضوء نظرية أحداث اللغة، دار النشر للجامعات، القاهرة، 2013.
- مسعود صحراوي، التداولية عند العلماء العرب، دار الطليعة، بيروت، 2005.
- مسعود صحراوي، لحظة ميلاد التداولية، دار أزمنة للنشر، عمان(الأردن)، 2022.

- مي عبد الله، المعجم في المفاهيم الحديثة للإعلام والاتصال (المشروع العربي لتوحيد المصطلحات)، دار النهضة العربية، بيروت، 2014.
- ناصيف نصار، منطق السلطة مدخل إلى فلسفة الأمر، دار أمواج، بيروت، ط2، 2001.
- نوال الكتاتني، الشفرات الست للنجاح، سما للنشر والتوزيع، القاهرة، 2016.
- يحي هويدى، قصة الفلسفة الغربية، دار الثقافة للنشر، القاهرة، 1993.
- يعقوب فام، البراجماتيزم أو مذهب الذرائع، مطبعة لجنة التأليف، القاهرة، 1936.

المصادر والمراجع الأجنبية:

- Ch.Perelman et O.Tyteca, Traité de l'argumentation-la nouvelle rhétorique, Editions de l'Université de Bruxelles, 6^{eme} edition, 2008.
- Ch.Perelman, L'empire rhétorique. Rhétorique et argumentation, Librairie philosophique J.Vrin, Paris, 2^{eme} edition, 2002.
- Charles.W.Morris, Foundations of the Theory of Signs, International Encyclopedia of Unified Science, volume1, number 2, the university of Chicago press, 1938.
- François recanatti, Les énonces performatifs, Edition de minuit, 1987.
- George Yule, Pragmatics, oxford university press, 1996.

- J. Searle, *Expression and Meaning*, Cambridge University Press, 1979.
- J.L.Austin, *How To Do Things With words*, Oxford University Press, 1962.
- J.M.Sadock, *toward a linguistic theory of speech acts*, Academic press, 1974.
- J.Moechler, *Argumentation et conversation*, Publication Hatier, Paris, 1985.
- J.Searle and D.vandekaven, *Foundations of illocutionary logic*, Cambridge University Press, 1985.
- J.Searle, *Austin on Locutionary and Illocutionary Acts*, *The Philosophical Review*, Cornell University, Vol.77, No.4, oct 1968.
- J.Searle, *Speech Acts: An Essay in the Philosophy of Language*, Cambridge University, 1969.
- Michel Meyer, *Histoire de la Rhétorique des Grecs à nos jours*, Livre de poche, Paris, 1999.
- Michel Meyer, *Logique, langage et argumentation*, Hachette, Paris, 1982.
- Michel Meyer, *Questions de rhétorique*, Hachette, Le livre de poche, Paris, 1993.
- O.Ducro et J.Anscombe, *L'argumentation dans la langue*, Pierre Mardaga, Bruxelles, 1983.

- O.Ducro, Les échelles argumentatives, les éditions de minuit, Paris, 1980.
- Stephen C.Levinson, Pragmatics, Cambridge University Press, 1983.
- Trevor Pateman, NOTES AND DISCUSSION, journal of literary semantics, vol.18, no.3, 1989.
- Yan Huang, The Oxford Dictionary of Pragmatics, Oxford University Press, 2012.

المصادر والمراجع الأجنبية المترجمة:

- أرسطو طاليس، الخطابة، الترجمة العربية القديمة، تح عبد الرحمن بدوي، دار القلم، بيروت، 1979.
- أرسطو، الخطابة، تر: عبد الرحمن بدوي، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، 1986.
- أفلاطون، فايدروس أو عن الجمال، تر: أميرة حلمي مطر، مكتبة الدراسات الفلسفية، دار المعارف، مصر، 1969.
- آن روبول وجاك موشلار، التداولية اليوم علم جديد في التواصل، تر: سيف الدين دغفوس وآخرون، دار الطليعة، بيروت، 2003.
- بيير بورديو، الرمز والسلطة، تر: عبد السلام بنعبد العالي، دار توبقال للنشر، المغرب، ط3، 2007.
- تشارلز موريس، رواد الفلسفة البراجماتية، تر: مصطفى إبراهيم، دار المعرفة الجامعية، 2011.
- توماس ماسيللو، الأصول الثقافية للمعرفة البشرية، تر: شوقي جلال، هيئة التراث المجمع الثقافي، أبوظبي، 2006.

- توين فان دايك، الخطاب والسلطة، تر: غيداء العلي، المركز القومي للترجمة، القاهرة، 2014.
- جاك موشر وآن ريبول، القاموس الموسوعي للتداولية، المركز التونسي للترجمة، دار سناترا، تونس، 2010.
- جوتس هنده لانج، مدخل إلى نظرية الفعل الكلامي، تر: سعيد حسن بحيري، زهراء الشرق، مصر، 2012.
- جورج لايكوف، اللسانيات ومنطق اللغة الطبيعي، تر: عبد القادر قنيني، دار أفريقيا الشرق، 1991.
- جون ديوي، الطبيعة البشرية والسلوك الإنساني، تر: محمد لبيب النجيمي، مؤسسة فرانكلين، القاهرة، 1963.
- جون سورل، الأعمال اللغوية: بحث في فلسفة اللغة، تر: أميرة غنيم، دار سيناترا، المركز الوطني للترجمة، تونس، 2015.
- جون سيرل، العقل واللغة والمجتمع، تر: سعيد الغانمي، منشورات الاختلاف، الجزائر، 2006.
- جون لانغشو أوستين، الفعل بالكلمات، تر: طلال وهبة، هيئة البحرين للثقافة والآثار، المنامة، 2019.
- جيوفري ليتش، مبادئ في التداولية، تر: عبد القادر قنيني، أفريقيا الشرق، المغرب، 2013.
- دي بوجراند وولفغانغ ديسلر، مدخل إلى علم لغة النص، تر: إلهام أبو غزالة وخلييل علي أحمد، دار الكتاب، القاهرة، 1992.
- روزنتال يودين، الموسوعة الفلسفية (مؤلف مشترك)، تر: سمير كرم، دار الطليعة، بيروت، (دت).

- رولان بارث، درس السيميولوجيا، تر: عبد السلام بنعبد العالي، دار توبقال للنشر، المغرب، ط3، 1993.
- رولان بارث، قراءة جديدة للبلاغة القديمة، تر: عمر أوكان، إفريقيا الشرق، 1994.
- ف.ر. بالمر، علم الدلالة إطار جديد، تر: صبري إبراهيم السيد، دار المعرفة الجامعية، مصر، 1995.
- فان ديك، النص والسياق، ترجمة عبد القادر قنيني، إفريقيا الشرق، المغرب، 2013.
- فرانسواز أرمينكو، المقاربة التداولية، تر: سعيد علوش، مركز الإنماء القومي، بيروت، 1986.
- فيليب بروتون وجيل جوتيه، تاريخ نظريات الحجاج، تر: محمد صالح الغامدي، مركز النشر العلمي، جامعة الملك عبد العزيز، جدة، 2011.
- كيفين هوجان، علم التأثير، ترجمة ونشر: مكتبة جرير، العربية السعودية، ط4، 2008.
- مارتن هايدغر، اللغة أخطر النعم، ضمن كتاب اللّغة، تر: محمد سبيلا وعبد السلام بنعبد العالي، سلسلة دفاتر فلسفية، دار توبقال للنشر، المغرب، ط4، 2005.
- هاري ميلز، فن الإقناع، ترجمة ونشر مكتبة جرير، ط1، العربية السعودية، 2001.
- هربرت شنيدر، تاريخ الفلسفة الأمريكية، تر: محمد فتحي الشنيطي، دار النهضة المصرية، مصر، 1964.
- هنريش بليث، البلاغة والأسلوبية، تر: محمد العمري، أفريقيا الشرق، المغرب، 1999.
- ول ديورانت، قصة الفلسفة من أفلاطون إلى جون ديوي، مكتبة المعارف، بيروت، 1988.
- ويليام جيمس، البراجماتية، ترجمة: محمد على العريان، المركز القومي للترجمة، القاهرة، 2008.

المجلات والدوريات:

- جريدة العرب، لندن، العدد 10518، الجمعة 20 يناير 2017.
- حولية كلية الإنسانيات والعلوم الاجتماعية، جامعة قطر، العدد 13، 1990.
- صحيفة الوسط البحرينية، العدد 2764 -الأربعاء 31 مارس 2010.
- مجلة الأثر، كلية اللغات والآداب، جامعة ورقلة، المجلد 10، العدد 12، 2011.
- مجلة الدراسات اللغوية، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، السعودية، مج 6، ع 2، سبتمبر 2004.
- مجلة اللسانيات، مركز البحث العلمي والتقني لتطوير اللغة العربية، الجزائر، مج 10، ع 10، 2005.
- مجلة عالم الفكر، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، مج 34، ع 1، سبتمبر 2005.
- مجلة عالم الفكر، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، مج 30، ع 1، سبتمبر 2001.
- مجلة عالم الفكر، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، مج 40، ع 2، 2011.
- مجلة فصل الخطاب، جامعة ابن خلدون، تيارت، الجزائر، مج 3، ع 1، 2014.

الرسائل الجامعية:

- نور الدين بوزناشة، الحجاج بين الدرس البلاغي العربي والدرس اللساني الغربي، ش: خليفة بوجادي، (أطروحة دكتوراه)، جامعة سطيف 2، الجزائر، الموسم الجامعي 2015-2016.

المواقع الإلكترونية:

- موقع وكالة الأنباء الجزائرية الرسمية:

<https://www.aps.dz/ar/algerie/63193-2018-11-28-10-17-53>

- موقع جريدة الشروق الجزائرية، يوم الخميس 2019/02/28، الرابط:

<https://www.echoroukonline.com>

- موقع قناة الجزيرة:

<https://www.aljazeera.net/encyclopedia/healthmedicine/2018/>

[6/12](#)

ملحق

الخطاب السياسي (نموذج الدراسة)

وثيقة: النص الكامل لرسالة الرئيس السابق عبد العزيز بوتفليقة بمناسبة الندوة الوطنية

للحكومة والولاية

<https://www.aps.dz/ar/algerie/63193-2018-11-28-10->

[17-53](https://www.aps.dz/ar/algerie/63193-2018-11-28-10-)

بعث رئيس الجمهورية عبد العزيز بوتفليقة، برسالة إلى المشاركين في الندوة الوطنية للحكومة والولاية التي انطلقت أشغالها اليوم الأربعاء 28 نوفمبر 2018 بقصر الأمم بناوي الصنوبر بالجزائر العاصمة هذا نصها.

“بسم الله الرحمن الرحيم

والصلاة والسلام على أشرف المرسلين

وعلى آله وصحبه إلى يوم الدين

السيدات والسادة أعضاء الحكومة،

السيدات والسادة الولاية،

السيدات والسادة أعضاء المجالس المنتخبة الوطنية والمحلية، السيدات والسادة إدارات

مصالح الدولة، السيدات الفضليات، السادة الأفاضل، إن التمام جمعكم، في لقاءكم السنوي

هذا جاء متزامنا مع احتفالات شعبنا بذكرى انتفاضته التاريخية ضد المستعمر وخوضه غمار

حرب تحريرية من أجل استرجاع حريته وكرامته، تلك الحرب التي كان لنا شرف المشاركة فيها

إلى جانب إخوان كرام أشاوس، منهم من قضوا نحبهم ونالوا الشهادة ومنهم من واصلوا مسيرة

التحرير إلى أن بلغوا غايتهم، ثم شاركوا في البناء والتشييد.

إنكم، أنتم الولاة والإطارات المركزيين والمنتخبين، وإلى جانبكم الآلاف من الكفاءات والأعوان العاملين في الميدان، أنتم الذين تضطلعون بخدمة بلادكم وشعبكم، وتحملون على عاتقكم أمانة شهداء الثورة وشهداء الواجب الوطني.

إنكم اليوم مجتمعون في الموقع الأكثر رمزية، والأكثر دلالة على معاني المسؤولية والولاء للوطن والجدارة بخدمة شعبكم من حيث أنكم أساس بناء جزائر العزة والكرامة.

إن العقدين المنصرمين من حياة أمتنا لم يكونا هينين، ولقد كان للعديد منكم شرف مرافقتي في هذه المسيرة في مختلف مستويات المسؤولية وأبليتكم البلاء الحسن وقمتم بتضحيات وانجازات عظام.

لقد سعينا بصدق وإخلاص إلى إخراج أبناء هذه الأمة من فتنة التناحر وكابوس الهمجية الذي استحكمت فيها، مستلهمين عزمنا من قيم نوفمبر الخالدة وشيم التسامح والأخوة والوئام.

وعملنا على العودة بالبلاد من جديد إلى جادة التنمية، بإعادة بناء ما أمعنت في تهديمه قوى الشر والدمار، وتحقيق إنجازات عمومية كبرى في مدة لا مكان فيها للتواني، مدة شققنا فيها الطرق وربطنا القرى والمداشر والمدن بمختلف الشبكات، وشيدنا أقطابا صناعية ومدنا جديدة ومرافق عمومية شاهدة على جهود هذا الشعب وقدرته على تجاوز أعتى الأزمات والمحن.

إن ما انجزناه معا، على الصعيدين الأمني والتنموي بفضل التضحيات الجسام التي قدمها هؤلاء وأولئك، بات محلا لإعجاب الشعوب الشقيقة والصديقة، يرون فيه مثالا لتنمية اجتماعية شاملة، أعادت الاعتبار للإنسان بوضعه في قلب المقاربة التنموية.

على الصعيد الأمني، أضحى المصالحة الوطنية والعيش معا بسلام عنوانين رئيسيين لمقاربة استراتيجية دولية لمحاربة الراديكالية والتطرف في العالم، استراتيجية ولدت من رحم معاناة هذا الشعب الأبى الذي أعطى بالأمس درسا للعالم في التضحية والانعتاق وصار اليوم،

بفضل تضحياته وتبصر أبنائه ورشدهم، مرجعا في إخماد الفتنة ورأب الفرقة والقضاء على منطق الكراهية.

من الطبيعي اليوم أن تستهدف الدوائر المتربصة والخلايا الكامنة استقرار البلاد وتكالب عليها قصد تثبيط همتها والنيل من عزيمة أبنائها.

فما نلاحظه من مناورات سياسية مع اقتراب كل محطة حاسمة من مسيرة الشعب الجزائري إلا دليل واضح يفضح هذه النوايا المبيتة التي سرعان ما تختفي بعد أن يخيب الشعب الأبى سعيها.

إنه من واجبكم اليوم، أنتم أيها السيدات والسادة الولاة والمنتخبون، أن تتحلوا باليقظة وأن تدأبوا في عملكم من أجل تمكين الشعب من ممارسة سيادته ومواصلة مسيرته.

إن البعض يختزل رهانات الحاضر والمستقبل في تغير وتعاقب الوجوه والأشخاص، وهم يروجون لهذا التوجه لحاجة في نفس يعقوب، لكن أنتم من تعملون في الميدان وتغالبون التحديات الأمنية والاجتماعية والاقتصادية يوميا، أكثر الناس دراية بأن الرهان يتجاوز ذلك بكثير.

إن المسألة تتعلق بصون وحماية الإنجازات التي حققها الشعب خلال العقدين المنصرمين وحفظها وتأمينها خدمة له، والارتقاء إلى مستوى أعلى من العمل التنموي والسياسي. إن المغامرين، الذين يسوقون لثقافة النسيان والنكران والجحود، لا يمكن أن يكونوا أبدا سواعد بناء وتشيد، فهم يخفون وراء ظهورهم معاول الهدم التي يسعون لاستخدامها من أجل الزج بالبلاد نحو المجهول.

إن ما تحقق في بلادنا هو نتاج جهد جيل كامل من أبناء هذه الأمة من المخلصين، الذين قاموا ويقومون بواجبهم على أكمل وجه وأنتم في طليعتهم، جيل ضحى من أجل أن تخرج الجزائر من دوامة اللا أمن والتخلف وتعود من جديد إلى سكة التنمية والعصرنة.

إن ما قمنا به لحد الآن ليس سوى مرحلة تليها مراحل من مسار طويل، فما زال أمامنا الكثير من التحديات، ولا يمكن، بعد ما تم من عمل أن نعود إلى الوراء ونأخذ بطروحات مثبثة انهزامية لا غاية منها سوى تعطيل مسيرتنا.

إن الأمة تعلق عليكم وعلى ما تبدلونه الآمال الكبار، ذلك أن الجماعات الإقليمية مطالبة بأن تضطلع على أحسن وجه بدورها في المسار التنموي الوطني، ولقد أصدرت تعليمات واضحة من أجل تعميق اللامركزية وترقية المرفق العمومي وتمكينكم من النهوض بمسؤولياتكم كاملة في تسيير الشأن العام المحلي.

أتوقع من كل واحدة ومن كل واحد منكم أن ترتقوا بجديتكم ومثابرتكم فوق العمل الروتيني الرتيب المقتصر على تنفيذ برامج عمومية وسياسات مبلورة ومقررة مركزيا، واعتماد نهج جديد في التسيير قوامه المبادرة والاستباقية والتسيير بالأهداف والمقاربة بالنتائج.

إن الخطوط العريضة للاستراتيجية الوطنية مرسومة ومعروفة لدى الجميع وتم تداولها وتدارسها مرارا وتكرارا وهي بالأساس:

—التخلص من التبعية للريع النفطي وتحقيق التنوع الاقتصادي المنشود، انطلاقا من خصوصيات الأقاليم المحلية التي تمثلونها أو تشرفون على إدارتها.

—عصرنة إدارتنا وتأهيلها بإدماج واع وهادف لتكنولوجيات الإعلام والاتصال، في نموذج يكون فيه المرتفق في قلب المقاربة.

— مواصلة الجهد لتعزيز مكتسبات التنمية البشرية ومضاعفة الجهد من أجل الاستجابة لحاجات مواطنينا حتى في أقاصي ربوع وطننا ومرافقة الدينامية الاقتصادية بتوفير الهياكل والمرافق القاعدية الاستراتيجية اللازمة.

—تعميم منافع التنمية الاقتصادية والاجتماعية على كافة التراب الوطني وفقا لتوجهات المخطط الوطني لتهيئة الإقليم الدائمة، وذلك من خلال تنظيم إداري وإقليمي متناسق ومحكم.

- تحرير الطاقات الشعبية على كل المستويات وتعبئتها حول مشروعنا الوطني من خلال مقاربات تشاركية وحوافز مقاولاتية تفتح المجال لكل شاب جزائري بحيث يكون عنصرا فاعلا في حاضر ومستقبل بلاده، مسموعا ومحترما على كل المستويات ولدى كل الهيئات العمومية والخاصة.

- الحفاظ على مقومات هويتنا الوطنية وبلورة هوية متميزة للإنسان الجزائري، تكون بمثابة علامته الفارقة في العالم، عالم متحول سريع التغير، يهدد بطمس كل الخصوصيات في سيل العولمة، وذلك من خلال تجدد ثقافي و ديني و لغوي متناغم مع تاريخنا ومتساق مع تحديات العصر الحضارية.

- تطوير علاقات دولية متوازنة، أخوية، متفتحة ووفية لقيم الدولة الجزائرية المساندة للقضايا العادلة، الغيرة على سيادتها والمقدرة لسيادة غيرها، المكرسة لقيم السلام والاعتدال والاحترام المسؤول للحريات الفردية والجماعية.

إنها كلها أهداف نبيلة، حرصنا على أن تحكم كل سياساتنا العمومية. فعلى كل منكم الانخراط ضمنها والتشبع بقيمها حتى تتمكنوا من تطوير أدائكم المحلي وفق توجهاتها.

إنكم اليوم مجتمعون في هذا اللقاء ليس لتلقي التعليمات فحسب، بل للإدلاء بآرائكم وتصوراتكم، ذلك أنني أعتبركم قوة اقتراح، اقتراح الفاعل في الميدان المناط بهم تجاوز فلسفة المغالبة بالمطالبة وبعتناق عقيدة التشمير عن السواعد وتثمين المكونات والقدرات.

ولكي تتمكنوا من بلوغ هذه الغاية، يتعين على كل منكم تثمين القدرات البشرية المتوفرة لديه من خلال سياسات تكوين وإعادة تأهيل واعية، هادفة، ومتناسقة مع الاستراتيجيات المعتمدة، والتكفل بانشغالات العاملين تحت إمرتكم ووصايتكم حتى يتفرغوا لتجسيد الأهداف السامية لهذه الاستراتيجيات. إنهم قوتكم الضاربة في الميدان، ولديكم فيهم الكثير من المؤهلات التي لا تنتظر سوى نظرة متبصرة من قبلكم لاكتشافها.

فالمسألة ليس مسألة فتح مناصب جديدة وكفى، بل يجب قبل ذلك الاستغلال الأمثل للموارد المتاحة ووضع العون المناسب في المكان المناسب، في الوقت المناسب، وضمان مردوديته كاملة غير منقوصة.

السيدات والسادة الولاة،

السيدات والسادة الأفاضل،

بينما تعملون أنتم جاهدين من أجل تحويل الاستراتيجيات المرسومة إلى واقع معيش، نلاحظ تفاقماً لبعض الآفات التي تستشري في جسم المجتمع، وتتحول إلى طفيليات معوقة لكم ولأعمالكم خدمة لمقاصد خبيثة، تسخر في ذلك، وبلا تورع، كل مهاراتها في التعاطي لممارسات غير مطابقة مدمومة ومرفوضة قانونياً وأخلاقياً، من مثل الرشوة والمحسوبية والمعانة والتصرفات البيروقراطية الجائرة التي يراد بها الباطل.

إنكم تلاقون باستمرار محاولات هذه العناصر الضالة في يومياتكم، والتي لا تترك أي ساحة في برامج عملكم إلا وتحاول استغلالها لتحقيق مآربها الآثمة، في مختلف قطاعات النشاط.

إن هذه الممارسات هي أخطر ما ينخر مجتمعنا من أمراض وأعظم التحديات التي تواجهها بلادنا في الوقت الراهن، والتي لا يمكن التسامح معها بل يقتضي الواجب من كل منكم محاربتها بكل ما أوتيتم من قوة وقدرة على الردع، ولكم مني كل الدعم.

إن هذا جزء مما يمنعنا من تحقيق الأهداف المتوخاة من استراتيجيتنا ويحولها عن مسارها، وهو ما من شأنه المساس بمصداقية عمل السلطة العمومية والتأثير على المرتفق من حيث التزامه وتعبئته، ومن حيث ثقته حيال كل ما تمثله السلطة العمومية من معنى ومن قيم.

إن تحقيقنا لأهدافنا لا يمكن أن يتأتى سوى بالقضاء على هذا المرض العضال الذي يسعى للانتشار والتفشي، لذلك فبقدر ما أنتم مطالبون بتجسيد الأهداف الكبرى لسياساتنا

العمومية، أنتم أيضا مطالبون بتحسينها من مناورات هاته الفئة المنحرفة التي لا تأبه بمعاونة مواطنينا وانتظاراتهم، ولا بتموحيات بلادنا، لا تحركها سوى أنانيتها ومصالحها الفئوية الدينية. إن حرصكم يجب أن يكون من منطلق دوركم المحوري كمثلين للسلطة العمومية وسند المواطن في تطبيق القانون، وعون الدولة في تحسين مؤسساتها وتعزيز استقرارها. إن المساس باستقرار مؤسسات الدولة هو مساس بالدستور وبركن من أركان هذا البيت الحصين الذي يجمعنا ويؤمننا من كيد الكائدين، لذلك فمن واجب الجميع الالتفاف حول مؤسسات الجمهورية والذود عنها ومواجهة كل محاولة لاستغلالها من أجل قضاء مآرب آثمة أو النيل من استقرارها.

إن عملكم لا يختلف عن ذلك الجهد الذي يتفانى في القيام به ابناؤنا من أفراد الجيش الوطني الشعبي وبقية أسلاك الأمن الذين لا يغفوا لهم جفن، ولا يهدأ لهم بال في سبيل الذود عن هذه البلاد وحمائتها ممن تترصب بها في الداخل والخارج، فهم يحصنون البلاد في تخومها وأنتم تحصنونها من خلال مؤسساتها وتطوير أدائها وتحسين خدماتها.

لقد أنجزنا الكثير في الماضي لاسيما خلال العقدين السابقين وتمكنا من تحسين كل المؤشرات التنموية الأساسية، إلا أننا مقبلون، في مرحلة لاحقة، على التوجه نحو مسار قوامه كسب رهان النوعية والفعالية الاقتصادية والانخراط ضمن مسعى التنمية المستدامة.

إن الدولة بجانبكم تشد على أيديكم ولن تدخر أي جهد من أجل مواصلة دعمها للمسار التنموي الوطني وتعميقه، غير عابئة بالحواجز والعقبات.

الجزائر قادرة بأبنائها وبمواردها وبعزيمتها على تجاوز روح الانهزامية ومنطق التشكيك والتبئيس وتثبيط الهمم، وليس هناك ما يثنيها عن المضي قدما.

السيدات والسادة الولاة، السيدات والسادة الأفاضل،

سنواصل بذل الجهد قناعة منا بأننا على أبواب عصر جديد بأولويات جديدة وبتوجهات

مغايرة، يدعوننا ويدعوكم جميعا للتحول بالإدارة الإقليمية من سياق تدارك العجز في المرافق

العمومية إلى سياق تدارك العجز في نوعية الخدمات العمومية المقدمة والارتقاء سريعا إلى مراقبي الإبداع والتنافسية.

لذلك، اهيب بكم أن تجعلوا من لقاءكم السنوي هذا، فضاء لتصور أجدى السبل المؤدية إلى بلوغ الأهداف وتصويب السياسات وفق هذه المستجدات ولتقييم تنفيذها تقييما دقيقا دوريا، بعيدا عن المعالجات السطحية المناسباتية أو فلسفة المحميات القطاعية والبيروقراطية التي باتت تعوقنا عن المضي قدما في أعمالنا.

تلکم هي الوجهة التي نتوجه شطرها والتي سيؤول لكم شرف رسم معالمها وتحسينها حتى يتيسر لشعبنا خوض غمارها واستكمال صرحها، لان ما يثبط عزيمة مواطنينا ليست التحديات التي يواجهونها ولا الرهانات التي يخوضونها، بل هي تلك المناورات الدنيئة والدسائس التي يتخذ منها البعض موقف المتفرج المترصد أو المتواطئ، على الرغم من أنها تستهدف شعبنا وبلادنا.

إن مثل هذا السلوك غير المقبول يوجب على الجميع تحمل المسؤولية والانخراط كليا ضمن الخيارات السياسية والاقتصادية الوطنية أو الخروج منها كليا، فعهد إمساك العصا من الوسط قد ولى، “رفعت الأقلام وجفت الصحف”، “وقل اعملوا فسيري الله عملكم ورسوله والمؤمنون.”
المجد الخلود لشهدائنا الأبرار، والسلام عليكم ورحمة الله تعالى بركاته.”

فهرس

الموضوعات

الصفحة	الموضوع
أ	مقدمة
01	مدخل: الدرل التداولي مساءلة في المفاهيم
02	1. التداولية وعلوم اللغة
15	2. الخلفية الفلسفية والفكرية للتداولية
17	2-1. رواد البراغماتية (الذرائعية) الغربية
27	2-2. التداولية في الدرل العربي القديم
29	3. فروع التداوليات اللسانية
31	أولا- التداولية الاجتماعية
32	ثانيا- التداولية اللغوية
32	ثالثا- التداولية التطبيقية
32	رابعا- التداولية العامة
33	الإشارة deixis
35	الافتراض السابق
36	الاستلزام الحوارى
37	الأفعال الكلامية
38	4. السلالم والروابط الحجاجية

43	الفصل الأول: القوة الإنجازية في اللسانيات التداولية
45	1. نظرية الأفعال الكلامية
53	1-1. جهود أوستين في دراسة أفعال الكلام
58	1-1-1. معايير تمييز المقولة الأدائية
68	1-1-2. تصنيف أوستين للأفعال الإنجازية
72	2-1. جهود سيرل في دراسة أفعال الكلام
75	1-2-1. تحليل الفعل الكلامي لدى سيرل
78	2-2-1. تقسيم سيرل لأفعال الكلام
80	3-2-1. بنية الفعل الإنجازي وشروط نجاحه
83	4-2-1. معايير تصنيف الأفعال الإنجازية
88	5-2-1. أصناف الأفعال الإنجازية
90	6-2-1. الأفعال الكلامية غير المباشرة
94	3-1. الأفعال الكلامية في التراث العربي
95	1-3-1. الخبر والإنشاء أفعال كلامية
101	2. القوة الإنجازية للفعل الكلامي مميّزاتها وضوابطها
103	1-2. مفهوم القوة الإنجازية
104	2-2. مميزات وضوابط القوة الإنجازية
111	3-2. السياق في الفعل الكلامي
117	4-2. أنواع السياق في الفعل الكلامي
119	3. العلاقات الدلالية للأفعال الإنجازية
120	1-3. كلية الأفعال الإنجازية وقوتها

122	2-3. الأفعال الإنجازية في اللغة العربية المعاصرة
128	خلاصة
129	الفصل الثاني: سلطة الإقناع في النظريات الحجاجية
130	1. الحجاج واللغة
131	1-1. مفهوم الحجاج
135	2-1. ميلاد النظرية الحجاجية
140	3-1. الحجاج لدى الغربيين القدامى
140	1-3-1. الخطابة عند أفلاطون
143	2-3-1. مقومات الخطابة (الحجاج) لدى أرسطو
145	1-2-3-1. مراحل إنشاء القول الخطبي
151	2-2-3-1. الحجج والتصديقات غير الصناعية
152	3-2-3-1. الحجج والتصديقات الصناعية
154	4-1. الخطابة وسلطة الحجة
157	5-1. الحجاج الغربي الحدائي
157	1-5-1. أفعال بلاغة الحجاج ثم نهضتها
160	2-5-1. نظرية الحجاج عند شايم بيرلمان و تيتكا أولبريشتس
164	1-2-5-1. منطلقات الحجاج لدى بيرلمان وتيتكا
168	2-2-5-1. التقنيات الحجاجية الإقناعية لدى بيرلمان وتيتكا
178	3-5-1. ميشال ماير
180	4-5-1. الحجاج في اللغة (ديكرو)
187	6-1. الحجاج في مدونة التراث العربي

189	1-6-1. الحجاج لدى الجاحظ
194	2-6-1. حجاجية النظم والبلاغة لدى الجرجاني
194	1-2-6-1. حجاجية النظم
196	2-2-6-1. حجاجية البلاغة
198	2. الإقناع مبادئه وأساليبه البلاغية
198	1-2. مفهوم الإقناع
201	2-2. الإقناع والتواصل
203	3-2. مبادئ الإقناع
205	4-2. تطوّر الوظيفة الإقناعية
208	5-2. الإقناع بين الخطابة والشعرية
211	3. استراتيجيات الإقناع وعوامل تأثيره
215	1-3. استراتيجية العامل اللغوي
217	2-3. معايير تصنيف استراتيجيات الخطاب المقنع
218	4. الحجاج والإلزام وحرّة السلطة
218	1-4. الحجاج والإلزام
221	2-4. مفهوم السلطة في الخطاب
222	1-2-4. حجة السلطة ومصادرها
225	1-1-2-4. سلطة الخطاب وقوته الإقناعية
227	2-1-2-4. سلطة المرسل
230	3-1-2-4. سلطة المرسل إليه
232	4-1-2-4. سلطة اللّغة ولغة السلطان
235	3-4. أدوات الإقناع

236	1-3-4. مسوّغات استراتيجية الإقناع
238	الفصل الثالث: القوة الإنجازية وسلطة الإقناع في الخطاب السياسي
239	1. الحجاج في الخطاب السياسي
239	1-1. مفهوم الخطاب
241	2-1. تحليل الخطاب
242	3-1. الخطاب السياسي
243	4-1. سمات الخطاب
244	5-1. مفهوم السلطة وتلون الخطاب
245	1-5-1. خطاب المغالطة والهيمنة
248	2-5-1. سفسطة الخطاب المغالط
252	3-5-1. السلاّم الحجاجية في الخطاب الأنموذج
260	4-5-1. الروابط والعوامل الحجاجية
269	5-5-1. الخطاب السياسي النقدي
270	6-5-1. الخطاب والعنصرية
271	7-5-1. الأفعال الكلامية وقوتها الإنجازية في الخطاب
280	خاتمة
284	قائمة المصادر والمراجع
299	ملحق
311	فهرس الموضوعات ملخص الدراسة

ملخص الدراسة

ما يعيننا في بحثنا هذا هو اللسانيات التداولية بدرجاتها الثلاث المستلهمة من نظريات التلفظ، والحجاج، و أفعال الكلام، وهي بذلك تداوليات وليست تداولية واحدة، وتعد من أحدث العلوم اللغوية التي ظهرت على صعيد الدرس اللغوي الحديث، حيث تجاوزت ما ظلت كل من اللسانيات البنيوية والتوليدية التحويلية تقوم بدراسته من توصيف لنظام اللغة في جانبها الشكلي النسقي أو التعمق في مقتضيات النفس البشرية لدراسة الملكة اللسانية ككفاية وأداء، تجاوزت كل ذلك لتهتم بدراسة اللغة أثناء الاستعمال، وفقا لمقتضيات الحال وضمن أسبقته المختلفة.

ومع ذلك لا يمكن القول إن التداوليات كإتجاه قد اكتملت نضجا وبحثا، بل لا تزال جديدة تحتاج إلى جهد وعمل دائبين لا سيما ضمن الدرس العربي، وهذا ما يبرر اهتمام الباحثين بهذا الحقل الخصب، الذي اعتمد في قدومه إلى الجامعات العربية على جهود بعض المترجمين الذين يحتاجون إلى دعم أكبر كي تكون لهم القدرة على العمل الدؤوب والمركز حول مجالات وتشعبات هذا الحقل الحيوي الذي لا يمكنه أن ينبني ويتوسع إلى آفاق تضاهي أفقه في مواطن نشأته إلا بجهود حثيثة وصارمة.

الكلمات المفتاحية: التداولية، الأفعال الإنجازية، أفعال الكلام، الحجاج، سلطة الإقناع، الخطاب السياسي، تحليل الخطاب.

Abstract

What concerns us in this research is pragmatic linguistics with its three degrees inspired by the theories of pronunciation, argumentative, and speech acts, which are pragmatics and not one, and it is one of the most recent linguistic sciences that emerged at the level of the modern linguistic lesson, as it exceeded what remained both structural and generative linguistics Transformationalism studies it from a description of the language system in its formal aspect or in depth in the requirements of the human soul to study the linguistic faculty as sufficiency and performance, it has gone beyond all that to be interested in studying language during use, according to the exigencies of the situation and within its different contexts.

However, it cannot be said that pragmatics as a trend has completed its maturity and research, but it is still new and requires constant effort and work, especially within Arabic studies. To greater support in order for them to have the ability to work diligently and focused on the fields and ramifications of this vital field, which can only build and expand to horizons comparable to its horizons in its places of origin except by vigorous and strict efforts.

Keywords: pragmatics, Illocutionary acts, speech acts, argumentative, the power of persuasion, political discourse, discourse analysis.

ملخص الدراسة

ما يعيننا في بحثنا هذا هو اللسانيات التداولية بدرجاتها الثلاث المستلهمة من نظريات التلفظ، والحجاج، و أفعال الكلام، وهي بذلك تداوليات وليست تداولية واحدة، وتعد من أحدث العلوم اللغوية التي ظهرت على صعيد الدرس اللغوي الحديث، حيث تجاوزت ما ظلت كل من اللسانيات البنوية والتوليدية التحويلية تقوم بدراسته من توصيف لنظام اللغة في جانبها الشكلي النسقي أو التعمق في مقتضيات النفس البشرية لدراسة الملكة اللسانية ككفاية وأداء، تجاوزت كل ذلك لتتعمق بدراسة اللغة أثناء الاستعمال، وفقا لمقتضيات الحال وضمن أسبقته المختلفة.

ومع ذلك لا يمكن القول إن التداوليات كإتجاه قد اكتملت نضجا وبحثا، بل لا تزال جديدة تحتاج إلى جهد وعمل دائبين لا سيما ضمن الدرس العربي، وهذا ما يبرر اهتمام الباحثين بهذا الحقل الخصب، الذي اعتمد في قدمه إلى الجامعات العربية على جهود بعض المترجمين الذين يحتاجون إلى دعم أكبر كي تكون لهم القدرة على العمل الدؤوب والمركز حول مجالات وتشعبات هذا الحقل الحيوي الذي لا يمكنه أن ينبي ويتوسع إلى آفاق تضاهي أفقه في مواطن نشأته إلا بجهود حثيثة وصارمة.

الكلمات المفتاحية: التداولية، الأفعال الإنجازية، أفعال الكلام، الحجاج، سلطة الإقناع، الخطاب السياسي، تحليل الخطاب.

Abstract

What concerns us in this research is pragmatic linguistics with its three degrees inspired by the theories of pronunciation, argumentative, and speech acts, which are pragmatics and not one, and it is one of the most recent linguistic sciences that emerged at the level of the modern linguistic lesson, as it exceeded what remained both structural and generative linguistics Transformationalism studies it from a description of the language system in its formal aspect or in depth in the requirements of the human soul to study the linguistic faculty as sufficiency and performance, it has gone beyond all that to be interested in studying language during use, according to the exigencies of the situation and within its different contexts.

However, it cannot be said that pragmatics as a trend has completed its maturity and research, but it is still new and requires constant effort and work, especially within Arabic studies. To greater support in order for them to have the ability to work diligently and focused on the fields and ramifications of this vital field, which can only build and expand to horizons comparable to its horizons in its places of origin except by vigorous and strict efforts.

Keywords: pragmatics, Illocutionary acts, speech acts, argumentative, the power of persuasion, political discourse, discourse analysis.